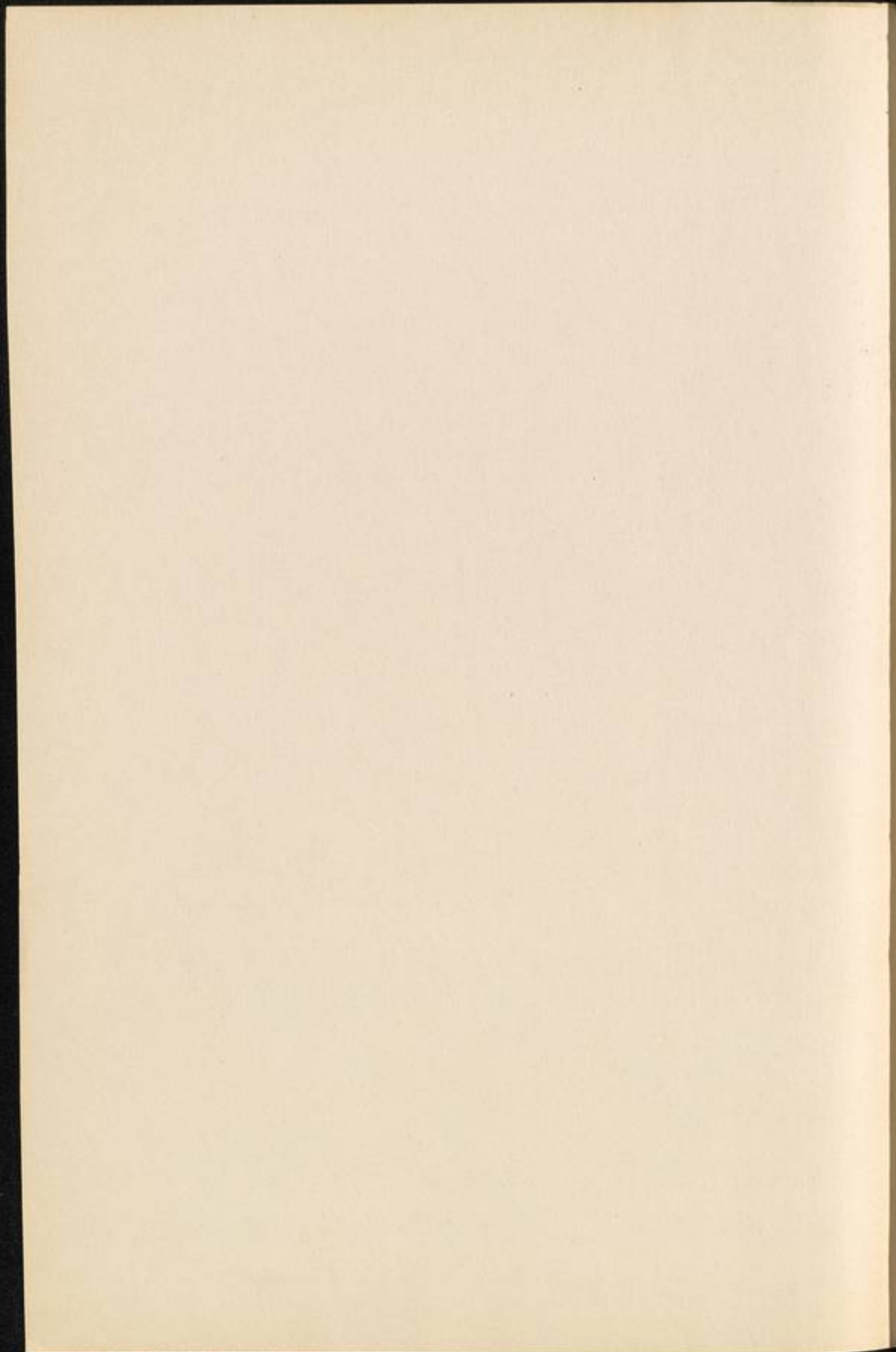
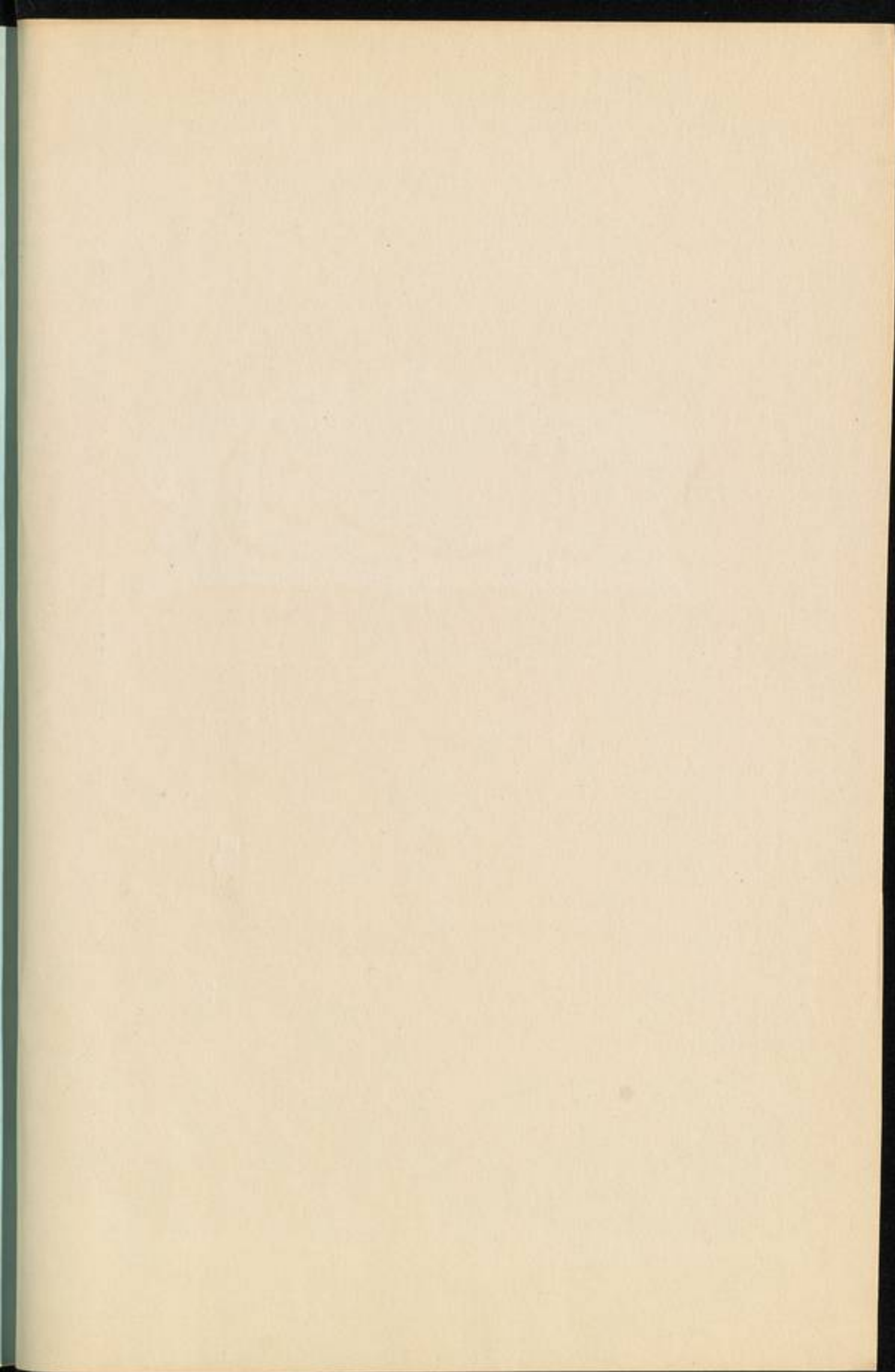


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







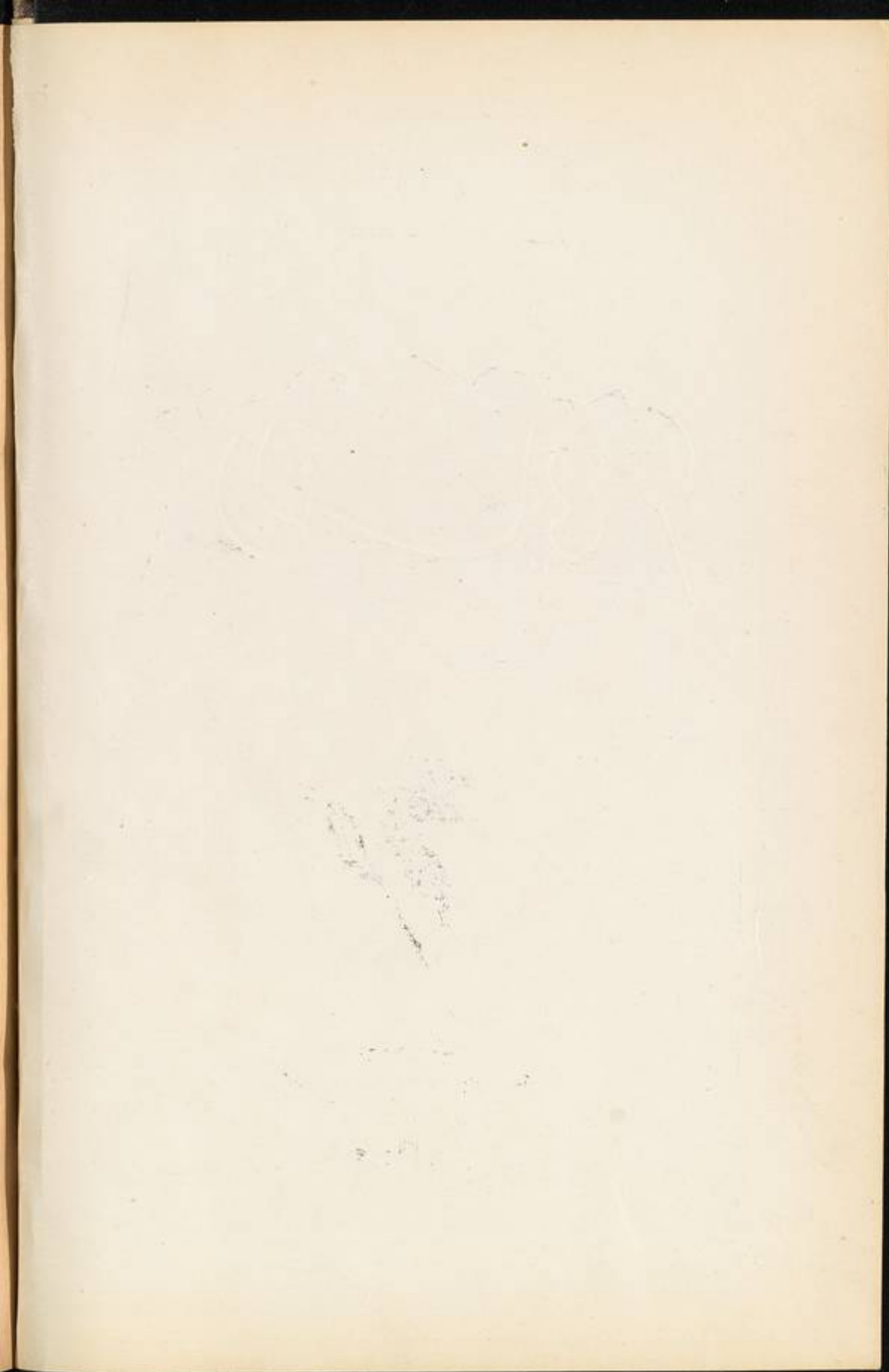
أبو القاسم محمد كرو

الشيخ أبي

حَيَاتِهِ - شِعْرُهُ



مَنْشُورَات
المكتبة العلمية وطبعها
تسارع المعرف - بيروت
الطبعة الثانية



أبو القاسم محمد كرو

الشكابي

حياته - شعره

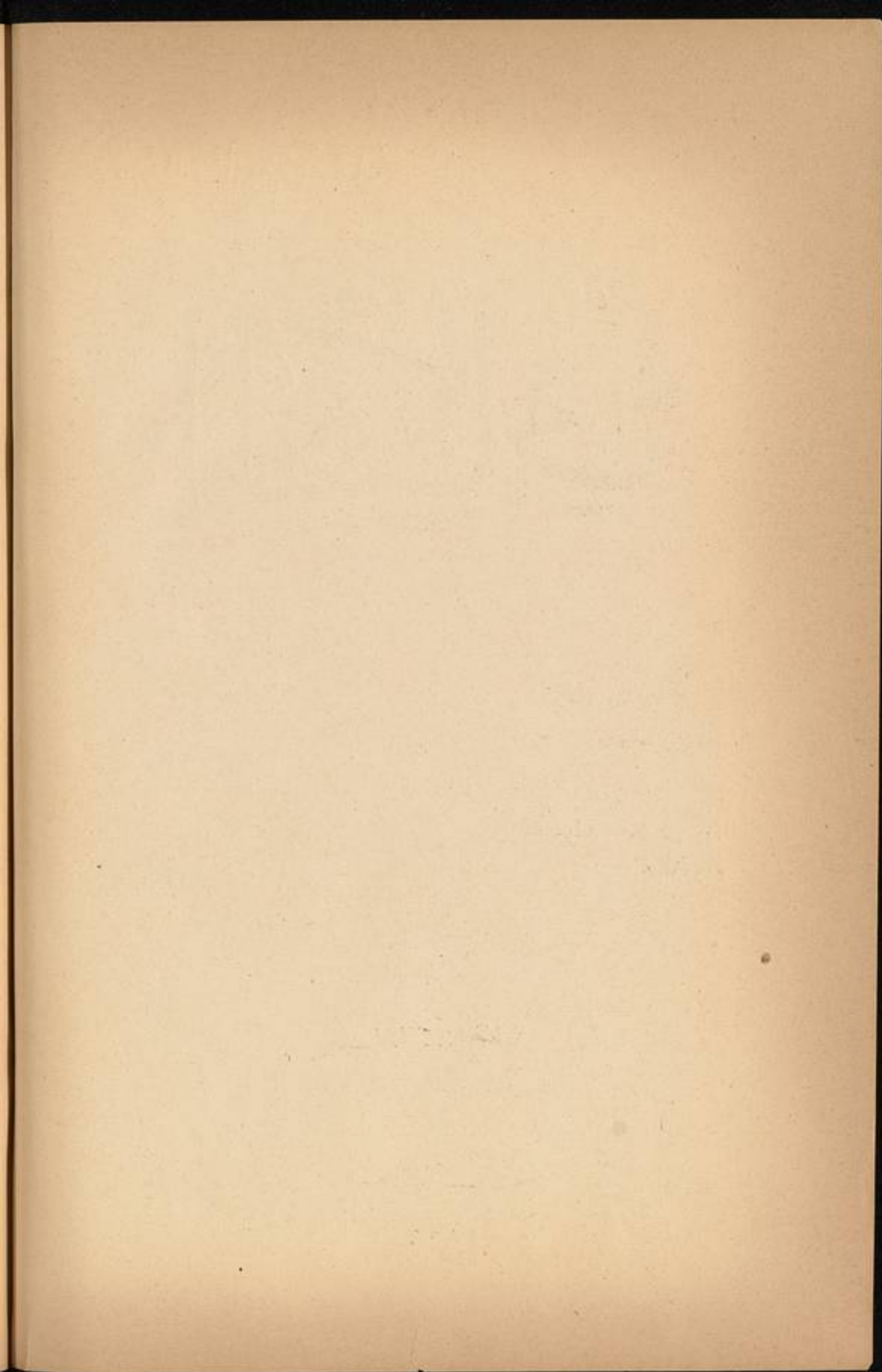
انت يا شعر فلذة من فؤادي
تتغنى... وقطعة من وجودي!
فيك ما في جوانحي من حنين
أبدي الى صميم الوجود...!!
« الشابي »

مفشرات

المكتبة العلمية ونظمتها
شارع الأمير بشير - بيروت

الطبعة الثانية

١٩٥٤



الاهداء

إلى عبقرية الشاذلي وروحه

وإلى محبي شعره ، ومقدري نبوغه

ارفع هذه — البداية — من الثمرات

التي جنيتها من دراستي لحياته وأدبه

النور الفاسم محمد كرتو

893.752 11
DK

16547E

مقدمة

ان الاكثية الساحقة من ابناء الشرق العربي ، لا تعلم شيئاً عن حقائق الحياة في بلاد المغرب العربي ، باقطارها الثلاثة (تونس ، الجزائر ، مراکش) . والقليل منهم من أتبح له ان يعلم بشيء يسير او غير يسير مما يعانیه ابناء المغرب العربي من اضطهاد استعماري بغيض . وذلك منذ وقت قريب ، حيث تكونت بالقاهرة - بعد تأسيس جامعة الدول العربية - مكاتب لهذه الاقطار ، تقوم بالدعاية لقضاياها والتعريف بها . ثم وحدث في شباط (فبراير) ١٩٤٧ تحت اسم « مكتب المغرب العربي » بالقاهرة . فضلاً عن المكاتب الاخرى التي لا تزال تعمل عملها في مصر وفي غيرها من الاقطار العربية والاوروبية . ولكن هذه المكاتب جميعاً بحكم المشرفين عليها وبقصد الغاية من وضعها ، فان عملها كان ولا يزال سياسياً او مطبوعاً بطابع السياسة . لذلك احببت ان اقدم الى القراء العرب في اقطار الشرق العربي علماً من اعلام النهضة العربية في تونس ، ليعلموا اي حد بلغت تونس في نهضتها الادبية والثقافية الماثلة اليوم .

ولقد تحيرت بادىء الامر فيمن أختاره من أعلام تونس ورجالها ، وهم
كثروا في كل حقل من حقول الحياة وكل مجال من مجالات الفكر والمعرفة .
ولكن هذه الحيرة ما لبثت ان تلاشت مرة واحدة حين استحضر الذهن اسم
نابعة الادب العربي المرحوم « ابو القاسم الشابي » (١) . الشاعر المجدد
والكاتب الثائر على كل عتيق لا ينفع وقديم لا يفيد . وقد زادني استحساناً
لاختياري ، انه معروف لدى كثير من ادباء الشرق العربي . غير ان معرفتهم
له لا تتعدى اطلاعهم على مختارات قليلة من شعره ، وترجمة قصيرة لحياته لا
تخلو من خطأ واجحاف . وذلك لعدم وجود مصدر صحيح تؤخذ منه المعلوات
الصادقة عن حياة الشابي وأدبه . لا سيما وان الأدب التونسي عامه ، وحياة
ادبائه خاصة ، يكتنفهما الغموض والجهل التامان . ولا اكون مغالياً حين اقول :
ان اخواننا الادباء في الشرق العربي لا يعرفون من الادب العربي في تونس
واعلامه ، الا نزرأ يسيراً ، يأتيهم هائماً في بعض المجلات الشرقية ، او
التونسية التي يتاح لها ان ترى بلاد الشرق ويراها ابنائهم . وبديهي ان
ذلك كله لا يستطيع معه الاديب الكبير - فضلاً عن القارئ العادي
- ان يكون رأياً خاصاً عن الأدب العربي في تونس ، او تتجلى عنده
صورة حية واضحة لما بلغ اليه الأدب التونسي في آفاقه من صعود
وتتجدد واشراق !..

(١) من الخطأ الشائع على ألسنة الادباء في الشرق ، قراءتهم لقب الشاعر « الشابي » بتخفيف
الباء . والصواب تشديدها .

على اننى لست بحاجة بعد ، لأن ابين الاسباب التي جعلت ابناء الجناح
الايسر يعيشون في عزلة تامة عن اخوانهم في الجناح الايمن ، وجعلت هؤلاء
يكادون لا يعلمون شيئاً يستحق الذكر من واقع الحياة في بلاد المغرب العربي ،
ومدى ما بلغت اليه أقطار هذه البلاد في نهضتها الماثلة اليوم ، من تقدم وازدهار
وتجدد وانبعث . سواء في ميادين السياسة والاقتصاد ام في الحقول العلمية
والادبية ام في مناحي الحياة الاخرى .

نعم . لست في حاجة لبيان الاسباب ، لأن الكبير والصغير والمتعلم
والجاهل يعلم اليوم انها اسباب استعمارية خالصة ، صنعها الاستعمار الغربي في
مصانع مطامعه ، واقامتها سداً حصيناً بين اقطار العرب ، اغراضه القنطرة
ومصالحه الحقيرة .

وقبل ان يمضي معي القارىء لغير المقدمة من فصول هذا الكتاب . اود
ان اقدم اليه أربع ملاحظات تتعلق بما سيأتي من حديث ، وبما سيأتي من
مختارات الشعر والنثر :

الاولى : اننى لم اقدم كل ما كان يجب ان يقدم من حياة الشابي وجوانب
شاعريته ، وانما بذلت جهدي في ان اعطي للقارىء صورة واضحة المعالم ، كاملة
الخطوط ، عن حياة الشابي وبيئته ، وجوانب اخرى تتصل بهذين اتصالاً وثيقاً
مرة وغير وثيق مرة اخرى .

الثانية : ان المختارات من شعر الشابي ، ليست تعنى انها جميعاً من
جيد شعره ، وانما اخترتها - قصداً - متفاوتة ، لتمثل لنا مراحل شاعريته واطوار

حياته . ولتتيح للقراء ان يتفهموا - اعتماداً على مواهبهم - مراحل التكوين في شخصيته ، وامداء الانطلاق في شعره . وبما ان ادراك هذه المراحل ، مرحلة فمرحلة ، وتحديد هذه الامداء مدى بعد آخر ، امر غير ميسور بكل معنى اليسر ، فقد توخيت ايضاح ذلك بقدر المستطاع ، فجعلت المختارات ذات قسمين : احدهما ما قاله الشاعر قبل العشرين من عمره ، والآخر ما جاء بعد ذلك . ولعل في هذا بعض ما يعيننا على تفهم شعره ومعرفة شاعريته بوضوح كثير .

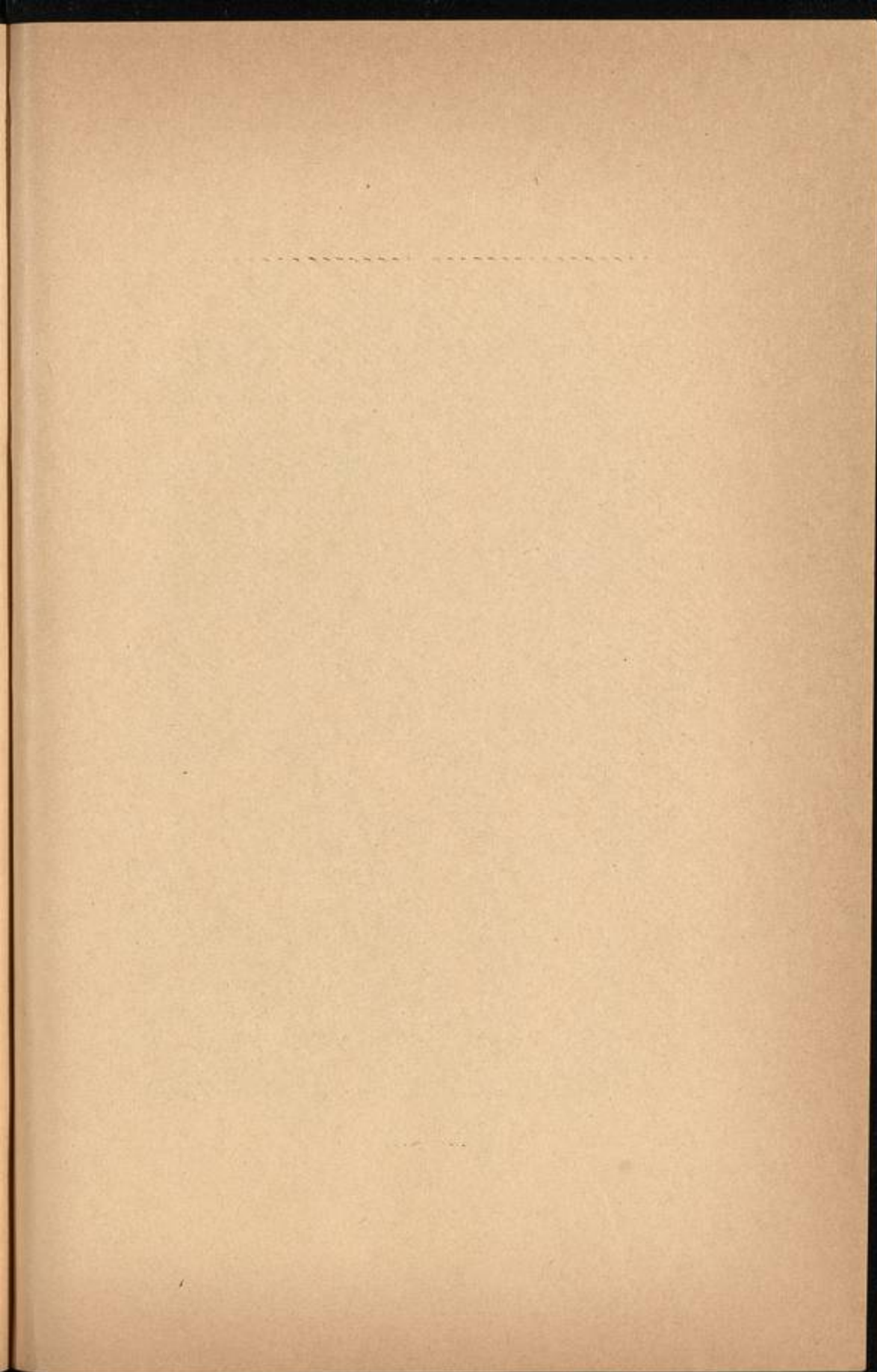
الثالثة - ان هذا الشعر المختار ، ليس كل ما ترك الشابي ، او احسنه ، وانما هو مجموعة مختارة من كل ما استطعت الحصول عليه من شعره . واني وان كنت غير مطلع على ديوانه (اذ لا يزال سرّاً في اعماق الغيب) الا اني استطيع ان اؤكد ان في هذا الديوان شعراً اكثر مما نشر على الناس في هذا الكتاب وفي غيره من النشرات الاخرى . وان من بين هذا الشعر قصائد رائعة قد تفوق الكثير مما في هذه المختارات .

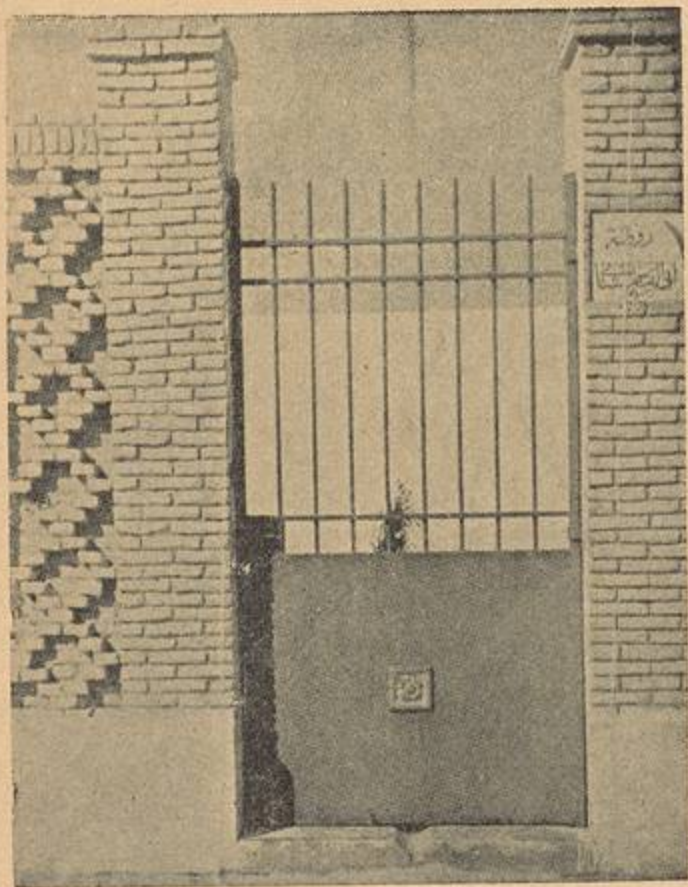
الرابعة : اني لم احاول ان افرض شيئاً على القارئ في كل ما كتبت . فله ان يقبل منه ما يشاء وان يرفض ما يريد . غير انه سوف لا يستطيع ان يرفض ناحيتين اثنتين ، بأي حال من الاحوال :

احدهما : تلك الحقائق والمعلومات التاريخية المتنوعة ، التي اشتملت عليها بعض الفصول من هذا الكتاب . واني اذ اتق في هذا الامر بالذات ، فلأني اتحدث عنه حديث من استقى الحقائق من مصادرها الأصلية ،



ابو القاسم الشابي





باب روضة ابي القاسم الشابي



ضريح ابي القاسم الثاني

واستخلص المعلومات من البيئة التي عاش فيها الشاعر ، ومن كل منابع الاخرى ذات الصلات الوثقى بالشاعر نفسه وبحياته ذاتها . فقد اتصلت بالكثيرين من زملائه واصدقائه واقاربه ، وبالكثيرين من الادباء التونسيين الذين عاصروه ولا يزالون على قيد الحياة . فكنت ابحث عن الصغيرة والكبيرة ، واسأل عن كل الاشياء القليلة الالهية ، والبالغة القيمة ، ما دام في معرفتها شيء من العلم والفهم لنواح جديدة من حياة الشابي واطوار شاعريته الفذة . فحديثي عنه - اذن - حديث مواطن من مواطنيه ، وحديث امرىء شغف بشعره ، وبهذه الحياة الرائعة المثلى ، التي عاشها مبدع هذا الشعر . وقد سبق ان اشرت الى الاسباب التي جعلت حياة الشابي وادبه يكتنفهما الغموض والخطأ في الشرق العربي . وهذا وذاك ما دفعني الى القيام بهذا العمل ، والى الاعتقاد بأن الفائدة من كل هذه الجهود التي بذلتها فيه ليست قليلة الالهية .

ثانيتها : ان الشابي كان نسيجاً من العبقريّة وحده ، ومجدداً بكل ما في هذه الكلمة من معان ومفاهيم . وعندى انه ليس مجدداً فحسب ، بل زعيماً جريئاً بين المجددين . وسوف يتحقق اكثر من ذلك يوم يتاح للقراء - وللادباء منهم بوجه خاص - ان يطلعوا على كل ما خلفه الشابي من شعر ونثر ، ويومئذ سيحتل مكانته الرفيعة ، لا بين شعراء العربية وحدهم بل بين الشعراء العالميين ايضاً !

ولن يبعد كثيراً ذلك اليوم الذي نرى فيه ادب الشابي يترجم الى

كثير من اللغات العالمية . بل ان طلائع هذا اليوم قد بدأت فعلاً ، فقد ترجمت عدة قصائد من شعره الى عدد من اللغات الحية كالفرنسية والايطالية والانكليزية . وقد اعجب ادباء هذه اللغات اعجاباً بالغاً بها . لا سيما حين علموا بأن شاعرها عربي خالص في لغته وثقافته ، فهو لم يعرف في حياته لغة اجنبية واحدة ، وبذلك بعد عن الطابع الغربي المباشر ، واخلص للغته العربية اخلاصاً جعله يتفانى في بناء مجدها الأدبي الرفيع .

وهذا الشاعر الايطالي « قويدو ميدينة » الذي عاش في تونس زمناً من حياته غير قليل ، يناجي زملاءه الشعراء في كتابه « افريقية » . فيقول عن الشابي وعن « سكاليزي » (١) . مهدياً اليهما هذا الفصل الرائع :

(باسميكما يزداد كتابي هذا ثروة ، ولولا كما كان اصفر اللون حقيراً . واني اهدي هذه الصفحة لذكراكما - يا اخوي في القافية - لأنكما كتتما وحدكما مطربي هذا الوطن :

(١) « .. وسكاليزي ، هو شاعر بائس ولد بتونس ، من اب صقلي وام مالطية ، وعاش بها للفقر والجوع والعناء ، ومات وعمره ثلاثون سنة بداء الصدر والجنون بماوى « بارمو » من جزيرة « صقلية » واسماره نشرها في مجلات تونسية متباينة ، وجمتها وحدة كتاب الشمال الافريقي الفرنسيين . واذا عنتها في الناس مصدرة بكلمة الاستاذ « دوريل » ويعجب القارىء إذ يعلم ان قصائده لا تتجاوز الخمسة والثلاثين صفحة ، ومع هذا فلها كل الفضل فيما يتمتع به سكاليزي من ذبوع وشهرة ، وبها استطاع هذا البائس ان ينفذ الى قلوب الكثيرين ويأخذ من احترامها بنصيب غير تافه ، وهي قصائد او نقل هي مشاهد دامية من حياة البؤس والعناء ، وتقرأها فاذا انت تلقاه صديق بل تلقاه اخ ، لا تملك له - وهو تحت اطلاق الثرى - غير العطف ، ولا تستطيع لتبرمه وتشاومه غير الاشفاق والرائه .. » : عن مجلة العالم الادبي التونسية من مقال بقلم الاستاذ المرحوم محمد البشروش . ع ٣ سنة رابعة ص ٦٠ .

فاذا ما تحرك النخيل وداعبته الرياح ، فأنا لا افكر إلا فيك يا شابي ! .
مهما مررت من شارع «المالطين»^(١) فانت يا سكاليري هو الذي تمر امامي .
لقد ملأتما كافة اطراف هذا البلد بلغتكما الموجهة ، وانتشيتما بجمال المآذن
والمساجد ، وشوارع تونس الملتوية ، ولكن تغاريدكما كانت دائماً - يا اخوي -
حزينة بانسة !

شأن اغانيكما شأن البلابل التي تختفي في الظلمات لا لميلها عنها ، ولا
لأنها تخشى النور ولكن لأن الشمس تحدث لها اوجاعاً كثيرة .. اجل الشمس
التي تجلب السرور والخير ، اما اتما فانكما لم تقدر اقط على قبول هذا السرور
وهذا الخير ! ...

لقد كان نداء الشمس للحياة والسرور مصادماً لحركتكما ، جارحاً
لعواطفكما . واني لاعذركما يا اخوي وارثي لحالكما !
لقد بحث كلاكما عن الوحي والالهام في المظاهر السمجة الغريبة ،
في الغالب !

انت يا شابي كان قلبك يتألم ويتفطر عند رؤية الطبيعة وهي نائرة ، والبحر
وهو متلاطم بالامواج !

وانت يا سكاليري ! كنت تجد راحتك في المخلوق الانساني الثائر !
لم يتطرق السرور ولا الابتسام قط لاشعاركما .

لقد اتحد روحكما وتفكيركما وقلبكما ، في كل ما كان ينزف بالدم والدموع .

(١) احد شوارع العاصمة التونسية .

لقد تقمنا الى المرأة دون ان تنبسا في حقها بكلمة استحقاق قط !
لقد قضيتما في مستهل الحياة ، وتحملتما طيلتها استرقاقاً لا يعرف الرحمة .
ولقد ذاب عذابكما وغاب شقاؤكما مع اسرار الشرق ...!) (٢) .
حقاً ، لقد ذاب عذاب الشابي وغاب شقاؤه في احضان الابدية ، وانطلق
الى كون من ضياء ومن نور ، ليعانق في رحابه عرائس الشعر وعذارى
العبقرية .

وها أنا اعرض على الناس آلامه وعذابه وشقاؤه وأساه ، مجموعة في هذا
الكتاب ، الذي هو اول عمل يتم بهذا النوع عن حياة الشابي وادبه ، اذ لم يظهر
حتى الآن في مجال الادب العربي كتاب يتحدث عن الشابي بأي لون من الوان
الحديث ، رغم ما في أدب الشابي وحياته من مجالات القول والتعبير .
واذا كان ادباء الشرق العربي على حق في عدم قيامهم بشيء في هذا المجال
لعدم توفر المعلومات والنصوص عندهم ، فان ادباء العربية بتونس والمغرب
العربي عموماً ، لمسؤولون عن هذا التقصير المخجل في حق شاعرهم ابي
القاسم . فهم اكثر الناس اتصالاً به وبأدبه في حياته وبعد موته . وهم المسؤولون
عن آثاره ودراسة أدبه . ومع كل هذه المسؤوليات الجمة والحقوق البينة فانهم لم
يفعلوا شيئاً لنشر ادب الشابي ودراسته ، سوى اعمال صغيرة مبعثرة في المجلات
والحفلات التذكارية التي تقام للشابي كل سنة تقريباً . فلا يزال ديوانه « أغاني
الحياة » مجهول المصير . كما لا تزال مؤلفاته الاخرى (لدى اهله واصدقائه)

(٢) عن مجلة الثريا التونسية ع ٢ س ٣ ص ٣٥ .

عرضة للضياع والاندثار . ومن يدري ، فعمل بعض آثاره قد عفى عليها الدهر واصبحت في اعماق الفناء . فلا واجب الادب حرك الايدي للعمل ، ولا حقوق الصداقة ايقظت الضمائر وبعثت في النفوس هممة لاحياء آثاره ونشرها على الناس . واذا كان لزاماً علينا ان نذكر الحق ونسجل الوقائع للتأريخ ، فإنه لواجب علينا ان نذكر بالثناء والتقدير الاستاذ زين العابدين السنوسي (١) الذي عرف القراء في المغرب بالشابي وأدبه ، ونشر في كتابه « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » مختارات من شعر الشابي ، وهو بعد لم يبلغ العشرين من عمره ، كما تولى نشر كتابه الرائع « الخيال الشعري عند العرب » وذلك فضلاً عن العدد الخاص الذي اصدره من مجلته « العالم الادبي » في ذكرى الاربعين لوفاة الشاعر . وعن كل ما احتوته مجموعات مجلته من آثار الشابي ، ودراسات مقارنة بينه وبين بعض الشعراء الغربيين الى خدمات اخرى ليس هنا مجال تفصيلها ،

ومن الحق كذلك ان نذكر بالثناء والتقدير الاستاذ نورالدين بن محمود (٢) ، لما أسداه للادب العربي من خدمات بنشره بعض اشعار الشابي في مجلته « الثريا والاسبوع » وعنايته بكل ما يتصل بهذا الشاعر وآثاره .

واني لأهيب بالادباء في المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة ان

(١) هو صاحب « دار العرب للطبع والنشر بتونس » ومدير جريدة « تونس » ومجلة « العالم الادبي » .

(٢) هو صاحب « دار المعرفة للنشر والتوزيع » ، ومؤسس « دار الهدى » اكبر دار للطبع في المغرب العربي ، ومدير مجلتي « الثريا » و « الاسبوع » .

ينهضوا لاداء واجبههم نحو هذا الشاعر العبقرى ، وتجاه آثاره . فلقد مضت تلك
الفترة المظلمة . التي كان يخشاها بعضهم ، واصبح شعره اليوم ، غذاء للعواطف
وللقلوب . وادرك الجيل الجديد مدى ما في هذا الشعر من القوة والحيوية ، ومدى
ما يحويه من صادق الشعور وعميق الصور . وان املي فيهم لكبير ، اما اخواني
الادباء في جناح العروبة الايمن ، فانهم سيجدون في هذا الكتاب - بقسميه - مجالاً
فسيحاً يتيح لهم الدراسة العميقة ، والعمل الفني المحكم ، لفهم نفسية الشاعر
والنفوذ الى اعماق قلبه وخبايا معانيه .

واخيراً ارجو ان اكون قد وفقت الى عرض حياة الشابي عرضاً شاملاً ،
والى ايضاح جوانب ادبه بأكمل صورة عرضت حتى الآن . واتمنى ان اكون
بذلك قد عرفت القراء في الشرق العربي جانباً من الأدب العربي في تونس ،
واغلقت باباً كان مفتوحاً للخطأ والتصحيح في حياة الشابي وأدبه . وعسى ان
يتاح لي في مقبل الايام تقديم ألوان جديدة أخرى من ادباء العرب وحياتهم في
تونس ، وفي بقية اقطار المغرب العربي .

ابو القاسم محمد كرو

بغداد ١٩٥٠/٣/٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

عندما قدمت هذا الكتاب الى الطبع والنشر لأول مرة سنة ١٩٥٢ كنت واثقاً من ان القراء في اشد الحاجة اليه ؛ لأن الشابي لم يكن شاعراً معروفاً ومحبوباً لدى القراء فحسب ، بل كان الشاعر المفضل لدى كثير من الشعراء والكتاب في جميع البلدان العربية . غير ان هؤلاء لم يعرفوا عنه - سيما في اقطار العرب الشرقية - سوى بضعة قصائد من شعره وجزء يسير من حياته . وكانت اكثر القصائد تعرف محرقة او مبتورة ، كما كانت حياته محاطة بالغموض والابهام وربما بالاختفاء ايضاً . فكان احساسى وادراكي لذلك كله اكبر حافز على اخراج الكتاب ونشره على الصورة التي عرف بها ، كما اشرت الى ذلك وفصلته في مقدمة الطبعة الاولى . وكنت واثقاً بأن نجاح الكتاب واستقباله بالترحيب واللفتة سيكون - على الاقل - بسبب انه اول كتاب يطالع الناس بحياة الشابي مفصلة وبمختارات متنوعة من شعره . وكنت اعتقد ان اخراج الكتاب بصورته تلك سيعطي احسن فكرة واكملها عن الشابي ، وسيؤدي الى ايضاح كثير من الغموض وازالة كثير من الخطأ اللذين كانا يشملان حياته وادبه . كما كنت اقدر ان الكتاب سيقوم بواجبه لا نحو الشابي فحسب بل نحو تونس وادبها الحديث ، اذ يعرف القراء

بنموذج فذ من شعرائها المتفوقين ، وبشعر حي يفيض جمالاً وسحراً ، ويبعث في النفوس الجياشة والقلوب الواعية نوراً وحباً وإيماناً .

وكان حسابي ان الكتاب سيكون له صدى في جميع البلاد العربية ، وفي تونس بوجه خاص ، لأنه قام بعمل مهما كان صغيراً وناقصاً فقد كان ضرورياً ومحتوماً ، لأنه بعث شاعراً كاد يطويه التقصير والخوف ويعفي عن آثاره العجز والحمول .

وفعلاً لقي الكتاب ترحيباً وتقديراً متناهياً من جميع الادباء والنقاد في البلاد العربية كلها ، فكتب عنه كثير منهم في الصحف والمجلات كتابات مشجعة وموجهة معاً ، مما جعلني اطمئن الى انني لم اخطيء بعملي ولم اتهور به ، كما حاول ان يصفني بذلك بعض الناس في تونس نفسها .

وانني لاعتز بكثير من تلك الكتابات والاراء التي حملتها الي الصحف او الرسائل الخاصة ، وهذا وحده يجعل الانسان مرتاحاً مع ضميره ويحفزه على المضى قدماً في طريقه المرسوم نحو غايته النبيلة .

ورغم اختلافي مع بعض هؤلاء النقاد فيما ابدهه من ملاحظات واراء ، فاني قد رأيت انصافاً لهم وللكتاب نفسه، ان اثبت في اوله نماذج من كتاباتهم؛ لتكون مناراً لي وحافزاً ، ولتعيد للذين تسرعوا في ارائهم بعض صوابهم ، ولتكون في الوقت نفسه خير حكم على العمل الذي قمت به بدافع من الحب العميق للشاعر والاخلاص لموطنه الذي اشترك معه في الانتساب اليه والاعتزاز بذلك .

واخيراً اود ان اشكر القراء عموماً والادباء والنقاد خصوصاً ، لما جبنوني به

جميعاً من تقدير وعطف واهتمام . آملاً ان اكون عند حسن ظنهم بي ، وان احقق ما لم استطع تحقيقه في هذا الكتاب في كتاب جديد ضخم ، انهمك الآن في اعداده ، واحسب انه لن يظهر قبل خمس سنوات ، ان منحني الله اياها لاتمم عملي خلالها . هذا العمل الذي اعدته واجباً لا مفر لي منه .

وقد رأيت ان اترك الكتاب في طبعته الثانية على صورته الاولى استجابة لرأي بعض النقاد الذين اثق بهم واعتز بصداقتهم .

وعسى ان يلقي الكتاب في طبعته الثانية ما لقيه لأول مرة من ترحيب وعناية وتقدير .

وختاماً اتوجه مرة اخرى بالرجاء الحار والرغبة الصادقة الى اسرة الشابي والى زملائه واصدقائه الذين يملكون آثاره الادبية الكثيرة ويعرفون عنه وعن ادبه معلومات جمّة ، اتوجه اليهم جمعاً بالرجاء ويشاركني في هذا جميع القراء والادباء العرب ، الى ان يسرعوا بنشر هذه الآثار ، وان يبادروا قبل كل شيء بنشر ديوانه (اغاني الحياة) على الصورة الكاملة التي هيأها الفقيه لينشر بها . فان في ذلك قياماً بواجب مقدس نحو الشاعر خاصة ونحو بلاده والادب عامة . فهل تراهم يستجيبون هذه المرة ؟

ابو القاسم محمد كرو

بيروت ١٩٥٤/٨/١٥

كتب حياة

الشابي : حياته - شعره^١

تأليف ابو القاسم محمد كرو

هذا كتاب ممتاز لأديب ممتاز عن شاعر ممتاز. ألفه احد نوابغ الأدباء التونسيين السيد أبو القاسم محمد كرو من خريجي دار المعلمين العالية ببغداد، ومن الشباب الناهض الواعي الوطني الغيور الذي درس وساح وفكر، ثم بدأ يُزكي عن معرفته لأبناء الضاد جميعاً، فأتحفنا بنخب من شعره المنشور في كتابه (كفاح وحب)، ثم نفتح العربية بدراسة متمعة لحياة أبو القاسم وشعره، سيتبعها بدراسة اضخم. وتقع هذه الدراسة التي نحن بصدها في كتاب يتنظم ثمانياً وثلاثين ومائتي صفحة من القطع المتوسط مطبوعة طبعاً أنيقاً ومزدانة بصور ملونة جميلة للقوائد البديعة التي اثبتنا أو على الأصح لأهمها بريشة الفنان ع. شغال، وقد عنيت باخراجها في صورة جذابة المكتبة العلمية ومطبعتها في بيروت. وما كان الاستاذ كرو ولا شاعرنا العبقرى ابو القاسم الشابي بحاجة الى شيء من البهرج والتزويق، ومع ذلك فانه يبهجنا ان نرى الطبع الأنيق والشعر الأنيق والرسم الأنيق في

(١) نشر بمجلة الأديب اغسطس ١٩٥٣ « المؤلف » .

مثل هذه الوحدة الجميلة الخلافة .

وبروح المعلم ، وأسلوب الأديب الشاعر المعلم ، يحسن الاستاذ كروفي تقسيمه الكتاب وفي عرضه مواد فيتحدث بعد مقدمته البليغة عن الحياة الثقافية في تونس القديمة ، ثم عن النهضة الحاضرة ، فعن حياة الشاعر وبيئته الاجتماعية ، وعن تأثره بالأدب المهجري ، وعن طاقته التصويرية والتعبيرية ، ثم عن زواجه ووجه وعن مؤلفاته ، ثم يأتينا بمختارات شائقة من شعره فيقسمها قسمين - اولهما ما يرجع إلى ما قبل العشرين ، وثانيهما ما يرجع إلى ما بعد العشرين من سني الشاعر حتى وفاته ، ثم يختم كتابه بنماذج رائعة من نثر الفقيه ومعظمه بمثابة شعر منشور .

وليس بوسعنا في هذه الامامة ان نتناول تفاصيل ما عرضه المؤلف الفاضل تمهيداً للكلام عن ألمعية الشابي ، ولكن بحسبنا ان نشير الى ان هذا النابغة ظهر - ككثير من النوابغ - في وسط متأخر بحكم الظروف السياسية والاجتماعية المعروفة ، فلم يتجاوب ذلك الوسط معه ، ولكنه ارتفع فوق الوسط كما ترتفع المنارة ، فلا تحسر بها الأرض التي تحتها ولكنها تشع الى مسافات بعيدة .

وفي بداية الكتاب اهتم المؤلف بالتنبيه الى أن صحة اسم شاعرنا هي الشابي لا الشابي ، نسبة الى الشابية إحدى ضواحي مدينة (توزر) كبرى بلاد (الجريد) بالجنوب التونسي . وهذا غير مجهول في الشرق العربي الذي يميل أهله عادة الى تخفيف النطق بالاسماء - ولا سيما في مصر - ومن ثمة نطقوا اسم شاعرنا المحلق بالباء المخففة والياء الممدودة ، وجاراهم الخاصة في هذا النطق ، وان لم

يجهلووا الوضع الأصلي لأسمه (١).

وقد أعجبنا بتحليله للعناصر التي أسهمت في تكيف حياة الشاعر وأغلبها مزيج من الاحزان والحلمان ، وبألها من عناصر أئيمة تألبت على كئيرين من الموهوبين فصرههم صهراً وضحت بهم لئغنم نورهم الوهاج المنبعث من احتراقهم . وبين الخيوط التي حاكها الأستاذ كرو في نسج سيره الشابي بيئة الطبيعة الجميلة التي حففت بالشاعر ، ودراسه الواسعة التي انتهت بئخرجه من كلية الحقوق التونسية في سنة ١٩٣٠ م . وهو في الحادية والعشرين ، ونكبته بوفاة والده عائل الأسرة ، وفشله في زواجه ، ومرضه الطويل المؤلم الى أن توفي في الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) من سنة ١٩٣٤ م . غير متجاوز خمسة وعشرين عاماً ، إذ ولد مع الربيع في آذار من سنة ١٩٠٩ م .

يقول المؤلف الكريم في رسالة أدبية إلينا بتاريخ الخامس من مايو سنة ١٩٥٣ جاءتنا إثر تسلمنا كتابه الممتع : « يسرني أن تفضلوا بأبداء رأيكم ... خصوصاً وان لكم صداقة شخصية قديمة بالفقيد الشابي ، ويعود لكم الفضل الاول في تعريف القراء بأدبه منذ عشرين سنة مضت وحتى اليوم ، وانتم تكتبون عنه في مناسبات مختلفة دراسات عميقة قوية ، ومع ذلك فان أدب الشابي لا يزال بحاجة كبيرة الى البحث والكتابة والدرس . وكم كان مؤسفاً حقاً موقف أهله بعد موته . ورغم مرور ثمانية عشر عاماً على وفاته فانهم لا يزالون مبصرين على عدم نشره ،

(١) ثبت عندي من تجوالي في بلاد العرب الشرقية ان ما ذهب اليه هو الصحيح ، وقد اشترت لذلك في هامش المقدمة .

لا لسبب سوى عقلية مخنطة وافهام متحجرة .

وهكذا لم اجد مناصاً من العمل بكل ما لدي من جهود وامكانيات على خدمة هذا الفقيد المنكوب في حياته وبعد موته . لقد كان أهله سبب موته المادي ، وهاهم اليوم يتآمرون على قتله المعنوي ، فيرفضون في عناد نشر مؤلفاته وديوانه المعد للطبع رغم كل العروض المغرية التي عرضت عليهم . وقد كان الفقيد اعده للطبع واتفق معكم - حسبما أظن - على طبعه في مصر ، ثم عاجله الموت قبل أن يرسل اليكم الديوان بيوم واحد . هذه حقائق لست أدري اذا كان لكم علم سابق بها ام لا . وقد رأيت - كأحد مواطني الشابي - ان انشر عنه كل ما هو عندي من أدبه ومعلومات حياته خدمة له وللأدب العربي الذي يعتز بالشابي . فكان أول عمل قمت به هو نشر كتاب يشمل دراسة طويلة لحياة الفقيد وبيئته ومؤلفاته ثم عرض نماذج مختارة من شعره ونثره لتكون لدى القراء صورة كاملة عنه . ولست أدري مدى نجاحي في عملي هذا ، ولكنني أعلم مدى إخلاصي فيه وحيي للشابي . على انني سوف لا أقف عند هذا ، بل أني سأواصل العمل على إنجاز كتاب ضخيم عن الشابي يكون اكبر مرجع لحياته وأدبه . وأنا الآن بصدد إعداد هذا الكتاب الذي يحتاج الى زمن طويل كي ينجز على اكمل وجه مستطاع وانني أرحب سلفاً بكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم وتوجيهاتكم ، ويسرني كل السرور أن ألقى منكم كل اهتمام وعناية ومعونة ...

واننا لنبادر فنقول ان العمل المجيد الذي قام به الاستاذ كرتو هو في حد ذاته خدمة جليلة لذكرى الشابي وأدبه ، ونحن على علم بما ذكره ، وقد كانت رغبة

الفقيد العزيز ان نكتب مقدمة دراسية تحليلية لديوانه ، وان تتولى إصداره في مصر (جمعية أيولو) التي كان في طليعة أعضائها المرسلين ، وان وصيته لم تنفذ . لقد تجمعت لدينا رسائل كثيرة من الفقيد العزيز تعد بأسلوبها العالي وبصراحتها الوجدانية من عيون الأدب الفكري والعاطفي معاً ، ولكنها ، مع مئات الرسائل الأدبية من أدباء وشعراء أعلام شرقاً وغرباً . - وبينهم شعراء وادباء بارزون في المهاجر - قد ضاعت تحت وطأة العهد البائد في مصر قبل هجرتنا وبعدها ، وكنا نؤثر ضياع بقية مكتبتنا المخزونة على ان تنال الايدي المتطاولة المتجسدة ذلك الأدب الحي والتأريخ الأدبي المعاصر الذي سلب منا ، وقد جاء ضياع تلك الرسائل القيمة التي تجمعت لدينا منذ سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٤٦ من اقسى المآسي الأدبية المتعددة التي نكبنا بها في حياتنا المضطربة .

اما وهذا المصدر الهام لدراسة نفسية الشابي ليس تحت ايدينا فليس لنا الا ان نشاطر الاستاذ كرو الامل في ان اصداق الفقيد العزيز ، وفي مقدمتهم الاديب الموهوب الاستاذ محمد الحليوي ، وشقيق الفقيد الاستاذ محمد الامين الشابي ، سيتمكنون اخيراً من إنقاذ الآثار الباقية للشاعر الفقيد من ايدي اسرته ونشرها للعالم العربي ولعالم المستشرقين ودارسي الادب المقارن، ففي ذلك تشریف للأسرة بالذات وتشریف لابناء الضاد جميعاً .

وبعد ، فقد رأينا الاستاذ كرو يتحدث عن تأثير الشابي بالأدب المهجري ، وعندنا انه لم يتأثر به أي تأثير خاص ، ولو جاء شطر او بيت له في صياغته الكلاسيكية - مع اختلاف المعاني - مماثلاً لصياغة جبران او سواه ، مثلما تقع

الحافر على الحافر كما يقال ، (١) لقد كانت للشابي ذاكرة فوتوغرافية، وهو الذي أتم حفظ القرآن الشريف في التاسعة من عمره حفظاً كاملاً ، كما كان له اطلاع واسع - عن طريق اللغة العربية التي لم يكن يعرف سواها - على آداب شتى مترجمة، لا على الأدب العربي وحده ، وكانت له قبل كل هذا وبعده لودعية أصيلة حلقت فوق كل تقليد وتأثر حتى منذ نعومة أظفاره ، وعلى ذلك لنا ان نعتقد ان إرثه مشابهة بين شعره وبين بعض الشعراء المهجريين هي من باب المصادفة لا أكثر . ولعل أعظم تجاوب للشابي كان مع زملائه شعراء (أيولو) حتى قبل ظهور مدرستها . ونحن شخصياً أولعنا بالشابي لا لعبقريته الفنية فحسب ، بل لانسانيته الرفيعة ولوطنيته السامية ايضاً ، وكان التجاوب بيننا تاماً مع تميزه هو بأناقة لا نعرف لها نظيراً الا في قصائد الشاعر الفحل العظيم بشارة الخوري . مثال ذلك موسيقى الشابي في قصيدته الخالدة « صلوات في هيكل الحب » التي يقول في مطلعها :

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد !
 فهي متجاوبة مع قصيدة « عرس الماتم » التي كان يعجب بها الشابي (ديوان « زينب ») وقد جاء في مطلعها غير المسبوق الى طرازه :

عذبة أنت في الخفاء ، وفي الجهر ، وفي الهجر ، يا أغاني الظلام !
 بلغني العاشق الامين مدى العمر شقاء لقلبه المستهم
 وارقتي أدمعي ، فحسي عزاء ان يسر الحبيب من إيلامي !

(١) اعتقد ان ما ذهبت اليه في الكتاب من تأثر الشابي بالادب المهجري هو الصحيح « المؤلف »

ومثال آخر قصيدته العظيمة « إرادة الحياة » فإنه متجاوب في مغزاها مع
الشطر الاخير من قصيدة « النهضة إرادة » (ديوان الشفق الباكي) ، وقصيدته
الجميلة « الصباح الجديد » التي يقول في مطلعها :

أسكتي يا جراح ! واسكتي يا شجون !

فهو متجاوب منها بطراز موسيقاها مع قصيدتين رائدتين هما قصيدة
« الوداع » (قطرة من يراع - الجزء الثاني) وقد جاء في مطلعها :

إتهب يا شعاع نبض قلبي الحزين
حان وقت الوداع ليته لا يحين
إتهب يا شعاع أنا ذاك القريب
إن روحي مشاع في مداك العجيب !

وقصيدة « بعد الصيف » (ديوان « أشعة وظلال ») التي جاء في مطلعها :

إضحكي يا رمال من هدير المياه
غاب ملك الخيال وتجلى سواه
ذاك بحر الدموع من بكاء الزمان
فهو دوماً مروع من مآل الهوان
كل حسن بناه بيديه يزول
ومراراً رثاه وأطل العويل
إضحكي يا رمال من فتوتي العظيم
أنا عبد الجمال | الضرير الحكيم !

وكان الشابي كما كان ناجي - رحمة الله عليهما - معجباً بكلتا القصيدتين ،
وكلاهما نسج على منوالهما. فاذا اراد الاستاذ كرو التوسع في مبلغ تجاوب الشابي
مع شعراء عصره فليتجه الى الشرق قبل اتجاهه الى الغرب .
ومهما يكن من شيء فاننا نؤمن بأن الشابي كان ذا عبقرية فنية أصيلة في منتهى
الأناقة كما كان وطنياً عظيماً الاخلاص متأهباً للزعامة في بيئته ، وفي هذا يختلف
عن ناجي الذي اقتصر جل شعره على وجدانياته الذاتية وغنائياته العاطفية ولم يسهم
في الحركة الوطنية .

وكان هذا من اسباب ولوعنا بالشابي الذي يوصف إجمالاً بأنه الفنان المبدع
المحلق، والانساني النبيل، والوطني الغيور المضحى . وقد حقق بمثاليته الشريفة تأملنا
في ان يكون الشاعر زعيماً هادياً بين بني قومه، ان لم يكن ايضاً زعيماً انسانياً . وفي
هذه النزعة والتعبير عنها كان تجاوب الشابي معنا كاملاً وكننا نعمل كجنود في فرقة واحدة .
اما ما نقترحه الى جانب استقصاء التفاصيل للدراسة فهو شرح شعر الشابي
ونقده نقداً فنياً مقارناً قصيدة فقصيدة ، فنتنتج عن ذلك دائرة معارف أدبية لغوية
فنية واسعة يخدم بها الادب الحديث كما تنصف به مواهب شاعرنا الخالد الذكر .
اننا لمشغوفون فخورون بتدريس شعر الشابي وادبه وبالتحدث عن سيرته
الزكية ولن نمل ذلك ، ونعتقد ان قراء العربية لن يملوا من قراءة ما كتب وما
سيكتب عنه ولو تعددت التراجم والدراسات ، ونعتقد ان كتاب الاستاذ كرو هو
من خيرة الدراسات التي قرأناها عن اي شاعر او اديب ، فاليه نكرر التهئة كما
نرجيها الى الناشرين المحسنين .

احمد زكي ابو شادي

الشابي - حياته - شعره (١)

ان الكتاب الذي يقدم به الاديب التونسي ابو القاسم كرو مواطنه الشاعر المعروف « ابو القاسم الشابي » في « اكبر مجموعة من اشعاره نشرت حتى الآن » يسدي خدمة كبيرة للادب العربي ، باعطائه لوحة تكاد تكون كاملة عن شاعرية مخيفة تعد من ارووع واطرف واخصب ما عرفه الشعر العربي المعاصر . وهو الى ذلك ، يقدم الدليل على استمرار الارض المغربية في العطاء الحضاري الرفيع ، وعلى مدى رسوخ البيان العربي والاصالة الفنية في نفوس ابنائها .

ولا يسعنا الا ان نشي على صراحة ابو القاسم كرو الذي حاول ان ينتهز هذه المناسبة لذكرنا ، في مقدمته الدراسية عن حياة الشابي وآثاره ، بفضل المغربي على الحضارة . واننا لنحتمل منه حتى حرصه على افهامنا انه لا يقدم الشابي الا كنموذج للطاقة الابداعية التي تكمن في نفوس الشعب المغربي ، واننا لنشاركه في تقدير الدلالات التي يرمي اليها بتعداده اسماء المفكرين والفلاسفة والعلماء الاعلام الذين يحفل بهم التاريخ التونسي : وبذكره الايادي العديدة التي اسداها

(١) نشر بمجلة الأديب عدد يناير ١٨٥٣ .

هذا الشعب للفكر الانساني خاصة بيناء الجامعات الشهيرة في شمالي افريقيا ،
وصقلية وايطاليا والتي كان لها الدور الاول في حفظ التراث الفكري الاسلامي
واليوناني في القرون الوسطى ، وفي نقل هذا التراث من الشرق الى الغرب ومن
العالم القديم الى العالم الحديث .

ولكن المؤلف بعد هذه اللوحة الخاطفة ينتقل بمقدمته الى عرض مختلف
النواحي الجديرة بالناية من حياة الشابي وادبه .

وبعد ان يصور لنا طفولته وبيئته العائلية والدراسية الاجتماعية يحاول ان
يقودنا الى ينابيع التفكير عند الشابي ويدلنا على المصادر التي كان لها أثر في
توجيهه في اوائل حياته الادبية . فيضع أدب المهجريين اللبنانيين وخاصة جبران
خليل جبران في طليعة العوامل التي أثرت في أدب الشابي وفي طبعه « بطابع
من التبرم الناعم والثورة الجارحة ، والصوفية الحالمة ، وضروب شتى من الوان
المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول والآمال » .

ولكنه لا يغفل عن ذكر العوامل الاخرى ومنها أثر الادب الغربي المترجم
وخاصة أدب المدرسة الرومنطيقية الفرنسية والامانية التي يتجلى طابعها في تفكير
الشابي ، ومنها أدب طه حسين الذي اثر في الاسلوب النثري عند الشابي ،
والادب العربي القديم .

واخيراً يستعرض مؤلفات الشابي . وهي كثيرة متنوعة . فمنها مجموعات
شعرية وقصصية ، ومنها دراسات ادبية ومنها مسرحيات ومذكرات . واكثرها لم
ينشر بعد ، ويعود للاستاذ كرو الفضل في كشف النقاب عن كثير منها وفي تنسيه

القراء الى وجودها ضائعة بين مخلفات الشابي . وان هذه المجموعة الكبيرة من المؤلفات عند الشابي ، تدلنا على تعدد جوانب عبقريته وعلى خصب مواهب هذا الفتى الذي مر في سماء الادب العربي كالشهاب تاركاً خلفه من الوهج ودوي الاصداء الحلوة في حياة لم تتجاوز الخمسة وعشرين ربيعاً ، ما تعجز عن مثله حياة كاملة .

وكلما اوغلت في قراءة شعر الشابي وتكشفت لي جوانب جديدة من شاعريته التي لم تزد الا رسوخاً وصقلاً وتبلوراً مع نمو معرفته وتجربته في عمره القصير ، ازداد شعوري بفداحة الفجيرة التي اصيب بها الادب العربي بموت هذا الفتى الفذ وبمدى الامكانيات التي كان مقدرأ لها ان تفتق على يديه .

واذا كان من اليسير تحديد العناصر التي كونت تفكير الشابي واسلوبه ، والتي اظهر المؤلف تعددها وتنوعها ، فان من العسير تحديد شاعرية الشابي في كنهها وفعاليتها . فهي ككل العبقریات الشعرية ، تقع في هذا المجال السحري ، في هذا العالم المرصود ، والذي لا تعرف له حدود ، هذا العالم القائم على لا اشياء هي النغم المترف والاناقة في اختيار الايقاع الراهن بين الوف الممكنات ، وشفافية العتمات والاضواء المبهوثة هنا وهناك بين الحروف والكلمات والصفاء المترقق في التأليف والتزويج بين الكلمات والانغام والاصداء والسكينات .

ان هذه الشاعرية تقوم على اشراق الديباجة وغنى الجو الانفعالي المتولد من أداء الافكار والصور والانفعالات بالكلمات وفراغ الكلمات اللازمة اكثر مما تقوم على الافكار والصور والانفعالات نفسها .

ولكن من ضياع الوقت البحث عن مقومات شاعرية الشابي في اسلوبه وافكاره ، فاننا قد لا نجد فيهما الا رسوبات لقراءته وظلالا لآلهته الالية ، من غوته الى جبران ومن لامرتين الى نيتشه « من خلال جبران » وقد يكون لادب هؤلاء الرومنطيقين السافرين او المقنعين ، يد كبرى في طبع شعر الشابي بهذا الطابع الكئيب ، الحائر ، وبهذه النزعة للهرب من الواقع الى دنيا الاحلام والاوهام ، وبكل هذه الاشواق الغامضة وبهذا التشاؤم والتهدم النفسى الذي تنعكس ظلاله في كل ادبنا الحديث .

ولا عجب فان ادبنا ظل منذ نصف قرن يستقي مادته من معين المدارس المثالية في الادب الغربي وخاصة من المدرسة الرومنطيقية التي كان تأثيره بها بالغ القوة .

اولاً : بسبب مناهج التعليم للادب الغربي في بلداننا ، هذه المناهج التي تكاد تقف عند الادباء الرومنطيقين وتبرز آثارهم وتحبيهم الى نفوس ناشتتا بكل الوسائل .

ثانياً : بسبب تلاقي هذه النزعات الرومنطيقية الهروبية مع ميول نشتنا الذي يغريه واقعه الاجتماعى المؤلم والقائم على الكثير من الكبت والحرمان بالاندفاع نحو مملكة الاحلام التي يرتفع فيها عن هذا الواقع المرهق .

ثالثاً : بسبب موافقة هذه النزعات الرمنطيقية للحالة النفسية عند الشباب الذين هم في سن المراهقة او بعد سن المراهقة مباشرة وهي السن الحاسمة التي يتكون فيها الذوق الادبى عند الانسان ، والتي تستيقظ في كيانه ، اثناءها ، مع

الازمة الجنسية العاصفة فيه ، قوى مبهمه واندفاعات لا محدودة لعمل اشياء خارقة ،
 قد تتحول، في مسارب متنوعة اما الى الخلق الادبي او الفني، او الى الحركة بالمغامرة
 والعمل الرياضي، واما الى ظواهر وصور اشد تعقيداً ، منها هذه الكآبة التي لا وجه
 ولا سبب لها (والتي خلدها بودلير بقصائده تحت اسم Spleen de Paris) وهذا
 الميل للهرب من الواقع ورتابته من جهة ، ومن جهة اخرى الاشواق والرغبات التي
 تحفز المراهق الى اجتراح العجائب او الى البحث عن احساس ومثيرات نفسية
 غير مألوقة .

فلا عجب اذن ان يطغى على شعر الشابي ، وهو الذي قال كل شعره في طور
 الصبا ، والذي عاش في وسط اجتماعي محتبس وفي بيئة عائلية محافظة ، هذا اللون
 من التشاؤم الرومنطقي ومن النقمة على نفسه وعلى الكون والمجتمع وهذه النزعة
 القوية للتجاء الى الحلم من اذى الواقع .

فاسمع في قصيدته « النبي المجهول » الى هذه النبرات الجريحة من ثورة على
 الكون ومن رغبة مخيفة في تدمير كل ما يحيط به وتدنيس كل ما يحب ، بسبب
 شعوره بالعجز عن مواجهة الواقع وعن تحقيق ارادته في ان تكون له قوة خارقة
 كقوة الخالق :

ايها الشعب ليتني كنت خطابا	فاهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول اذا سالت	تهد القبور رمساً برمس
ليتني كنت كالرياح فاطوي	كل ما يخنق الزهور بنحس
ليت لي قوة الاغصير ان ضجت	فادعوك للحياة بنس

وكذلك هذه الايات من قصيدته « زوبعة في الظلام » :

لو كانت الايام في قبضتي اذريتها للريح مثل الرمال
وقلت يا ريح بها فاذهبي وبدديها في سحق الجبال
بل في فجاج الموت ، في عالم لا يرفض النور به والظلال
لو كان هذا الكون في قبضتي القيته في نار ، نار الجحيم

اما القصائد التي يعبر فيها عن كآبته وآلامه ويأسه وسأمه فكثيرة . واكثرها من منظوماته قبل العشرين (وهذا يؤيد فكرتنا عن أثر العمر في التكوين الرومنطقي عند الادباء ، وعند الشابي) ونكتفي الآن بايراد عناوينها لنبين مدى عممة الجو النفسي الذي تصدر عنه :

« فن الظلام » ، « الزنبقة الذابلة » ، « الدموع » ، « اغنية الاحزان » ، « ماتم

القلب » ، « الملل الاليم » ، « حيرة » ، « في ظل وادي الموت » .

واكتفى كنموذج منها بهذه الايات من قصيدته « ايها الليل » :

كن كما شاءت السماء كئيباً أي شيء يسر نفس الاديب
انفوس تموت ، شاخصة بالهول في ظلمة القنوط العصيب
ام قلوب محطمت على ساحل لج الاسى بموج الخطوب
انما الناس في الحياة طيور قد رماها القضا بواد رهيب
يعصف الهول في جوانبه السود فيقضى على صدى العندليب

ففي هذه الايات مع النزعة اليائسة ، اسر فني وجو طلسمي من القلق والاحتباس النفسي والاستجابة لنداءات ونذر تتجاوز في عمقها وحرارتها سطحية

الوجدانية الرومنطيقية الباكية، فتذكرنا من بعيد بنبرات الشاعر راينر ماريا ريلكه،
وبعض رؤى الوجوديين.

ولكن ليس كل شعر الشابي من النوع الوجداني . فان في المجموعة قصائد
قد لا تصح تسميتها قصائد وطنية او اجتماعية بالمعنى الصحيح ، بسبب غموض
ارتكازها الواقعي ، ولكنها ذات قيمة اجتماعية بسبب شمول افكارها وسمو تعاليم
القوة والكبرياء والحرية التي تدعو اليها . ومنها قصيدة « يا ابن امي » وقصيدة « الى
طغاة العالم » ، واخيراً القصيدة المعروفة « ارادة الحياة » التي اصبحت اليوم على
كل شفة ولسان في العالم العربي ، والتي تعد بحق من اكمل قصائد الشابي ، بحسن
سبكها ، ووحدتها جوها ، ولطابع الفرح والعافية والقوة ، الذي تتسم به ، ولمعنى
الرجاء الذي تتضمنه فكرة « العودة الدائمة » والحياة المتجددة التي تعبر عنها (وهذه
ايضاً فكرة نيتشيه) :

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندر

ومن لا يحب صعود الجبال يعيش ابد الدهر بين الحفر

ان في جو هذه القصيدة كثيراً من النفس النيتشي ، كما في اكثر قصائد
الشابي المشرفة . وقد يكون تسرب اثر نيتشه الى الشابي بصورة غير مباشرة عن
طريق جبران او بصورة مباشرة عن طريق التراجم لمؤلفاته .

وقديكون الامر مجرد صدفة ، فالتقى الشابي مع الفيلسوف الالماني بهذه النبرات
القوية والناضجة بالعزومات والتسامي البطولي عندما انحدر الى واقع بلاده ، فالهاه تيار الحياة
التي تعصف فيها عن مشاكل ذاته وعن الدوران في حلقة عقده النفسية ووجدانيته الفردية.

واخيراً فأنني اكتفى بالإشارة الى بعض القصائد التي يغلب عليها الوصف ولكنها لا تخلو من نفس غنائى حلو . واذكر منها القصائد « قلب الشاعر » « الأبد الصغير » ، « قال قلبي للاله » ، « زوبعة في الظلام » ، « الجنة الضائعة » ، « النبي المجهول » ، نشيد الجبار .

وفي ختام هذا الحديث اود ان اصارح الاستاذ ابو القاسم كرو بان فكرته في عرض شعر الشابي عرضاً زمنياً، مبتدئاً بقصائده التي نظمها قبل العشرين، ومكتملاً بقصائده ما بعد العشرين لا تخلو من سيئات (١) . فان استهلال المجموعة بقصائد رديئة، او من النوع التي قد لا يرضى الشاعر عن اثباتها، لو قيض له ان ينشرها، يطالع القارىء بجوليس في صالح الشاعر ، وقد يثبط عزائمه في المضى الى موارد الشعر الحقيقي في المرحلة الثانية من حياة الشابي ومن جهة اخرى فأنني كنت احب للاستاذ كرو ان يقلل من تكرار المعانى الواحدة في صيغ مختلفة ومن الاسترسال مع الوجدانية الملتبها في الحديث عن الشابي بصورة تبعده في بعض الاحيان عن تحفظ البحث العلمى وتجرده .

ولكن ذلك لا ينعني من تجديد شكري للاستاذ كرو على الخدمة التي اسداها للعربية بتقديم شعر الشابي هذا الشاعر الذي سحقت الايام قلبه الطفل، وحصدت الاقدار عمره قبل ان يستنفد كل ما يخترن من ماوية وحيوية ، وقبل ان تتألق ثماره بالارج الذي كان يضج في جنوره والذي اسكرنا بالقليل الذي نم منه .

(١) اختلف مع حضرة الناقد في هذا ، فان التفسير الذي جعلته قد استفاد منه هو نفسه في كتابة هذا المقال وذلك واضح لكل قارىء مثبه ، انظر ص ٣١ . « المؤلف »

وأى قلب لا يدمى عند سماع هذه الايات الزاخرة بالالم وبمرارة الخيبة :

فرفت على الصخور بجهد	في جبال الهموم أنبت أغصاني
وأزهرت للعواصف وحدي	وتغشاني الضباب فأورقت
فلم تفهم الأعاصير قصدي	وبمجد الحياة والشوق غنيت
وظلت في الثلج تحفر لحدي	ورمت للوهاد افناني الخضر
ستغشى الرياح بالعطر مجدي	ومضت بالشذى فقلت لنفسي
وجاء الردى فما تم بعدي	وتغزلت بالريبع وبالفجر

علي سعد



رسالة خاصة من :

مخائيل نعيمة

« بعث المؤلف بنسخة من كتابيه « الشابي »
« وكفاح وحب » الى الاستاذ مخائيل نعيمة ، فرد
عليه بالرسالة التالية :

بسكتنا - لبنان

١٠ اذار ١٩٥٣

عزيزي الاستاذ ابو القاسم كرو

سلام عليك وبعد فقد تناولت النسخة التي تلطفت باهدائها الي من كتابك
« كفاح وحب » والنسخة من مؤلفك في حياة المرحوم ابي القاسم الشابي وشعر.
فالشكر لك . وفي الكتابين تبشير نهضة ادبية مباركة في المغرب العربي . وانك
لعلي حق في قولك ان تلك النهضة تكاد تكون مجهولة تماماً في سائر الاقطار
العربية من مصر حتى الخليج الفارسي .

وجدتك في « كفاح وحب » متأثراً بأسلوب جبران الى حد بعيد . وعلى
الاخص في مقالك « ذكرى مولدي » فقد قرأته وكأني اقرأ صدى لمقال جبران
« يوم مولدي » ولا لوم عليك ما دمت في محاكاةك لجبران تستمد من قلبك وخيالك

لا من قلبه وخياله . فتماشيه من غير ان تضيع فيه . واما كتابك عن الشابي فهو
في نظري خدمة جليلة للأدب العربي وللمكتبة العربية . فهذا الشاعر الفذ الذي
طوت المتون صحيفة عمره وهو ما يزال في ريق الشباب جدير بأن يعرف العرب
في كل اقطارهم اين نبت وكيف عاش وعماداً تفتقت قريحته الجياشة بالثورة على
الظلم والبشاعة ، والتواقة الي العدل والحرية والجمال . فليس يكفيننا ان نعرف انه
القائل :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر

ولا ابالغ اذا قلت ان اكثر الذين سمعوا بالشابي لا يكادون يذكرونه الى
بتلك القصيدة - « ارادة الحياة » واذن فكتابك عنه قد جاء في وقته . بارك الله فيك .

المخلص

مخائيل نعيمة



الحياة الثقافية

لمحات من الماضي ..

للقطر التونسي حركة علمية وادبية متتالية الانتاج ، عريقة في التاريخ لا سيما منذ الفتح العربي حتى يومنا المائل. ولو ان احداً استعرض التاريخ التونسي - قبل الاسلام وبعده - لوجد ان البلاد التونسية كانت منذ عشرات القرون موطناً لحضارات عديدة نشأت فوق ارضها وبجهود ابنائها، او جاءت عن طريق المهاجرين والزاحفين . وفي طليعة هذه الحضارات حضارة قرطاجنة التي دامت سبعة قرون كاملة، تسيطر على حوض البحر الابيض المتوسط وتنافس روما على تجارته، وكادت تقضي على روما نفسها في زحف « هانيبال » القائد القرطاجني الشهير . وتجيء بعد ذلك حضارات اخرى اهمها الحضارة العربية التي بدأت في منتصف القرن الاول الهجري ، حين وضع القائد العربي عقبة بن نافع الأسس الاولى بتشييده مدينة القيروان ، التي تشهد آثارها اليوم بعظمة الفن العربي وقوة الحضارة العربية وروعها . ومنذ قامت مدينة القيروان ، اي منذ ثلاثة عشر قرناً ، والحضارة العربية تزخر بنايعها على جوانب الحياة التونسية في شتى ميادينها ومظاهرها . ولو اتيح لبعضكم - ايها القراء الاعزاء - ان يزور البلاد التونسية ، لشاهد بنفسه مظاهر

ال عمران والفن العربي الاصيل، في طراز المباني والملابس ، وفي النواحي الاخرى
من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية ...

ولست بحاجة بعد ، لأن استعوض لكم تاريخ الأدب والثقافة العربية في
تونس ، اذ يكفي ان اذكركم باعلام تونسيين ملأت شهرتهم الآفاق ولا تزال
مؤلفاتهم غذاءاً شهيماً للفكر البشري .

ان في طليعة هؤلاء ، ولي الدين ابن خلدون وهو في غنى عن التعريف ، ثم
جمال الدين ابن منظور صاحب لسان العرب ، اكبر موسوعة في اللغة العربية ،
فضلاً عن مؤلفاته العديدة الاخرى . وابو العباس احمد بن يوسف التفاشي العالم
الرياضي الكبير ، والشاعر الكئيب المبدع القائل :

لا اظلم الليل الطويل واشتكي منه ، ومالي في الصباح رجاءُ
من كان يطمع في الصباحة براحة ويسره إن لاح منه ضياءُ
فجواي متصل الظلام بضوئه الليل عندي والنهار سواءُ

(ثم الحصري القيرواني صاحب زهر الآداب الذي نشره وعلق عليه الدكتور
زكي مبارك . وابن ظفر الصقلي هو اول من الف في ادب الاطفال . وابن رشيق
صاحب العمدة ، الكتاب الادبي الشهير . وحازم القرطاجني هو اول من اتخذ من
فن الجمال الادبي والمناهج الادبية علماً خاصاً قائماً بذاته . وابن حمديس الذي
علم الايطاليين القافية والزجل ، والشعر الغنائي والوصفي . وابن الجزار من
الاطباء العالميين المعتمدين في المذهب والتدريس باوروبا من القرن العاشر الى
القرن السابع عشر ميلادياً . وعلي بن ابي الرجال هو من اساطين الفلك في

العصر الوسيط ، وقد كانت كتبه معتمد كوبرنيكس محيي علم الفلك الحديث. اما
اما محمد بن سحنون وابو الحسن القاسبي وابن خلدون فهم اول من وضع علم
التدريس وخصه بالتأليف ، وقد اقتبست تأليفهم في علمي التدريس والتربية
الحديثين . اما الملك المعز ابن باديس فهو اول من ألف في فن الخطوط وانواعها .
وصناعة الرق والورق والتجليد. اما ابن الصلت المهدي و ابراهيم الرقيق القيرواني
فهما من عظماء المؤلفين في فن الموسيقى في تاريخ الثقافة العربية (١) .

هؤلاء جميعاً هم قلة يسيرة من اعلام الثقافة والادب العربي في تونس الذين
بنوا مجد العروبة فيها ، وشادوا حضارة العرب على ارضها ، ونشروها في ارجاء من
العالم . وحسبكم ان تعلموا ان معالي الاستاد حسن حسني عبدالوهاب عضو تونس
في المجمع اللغوي بالقاهرة قد ألف كتاباً ضمنه ترجمة الف ومائتين من العلماء
والادباء الافارقة ، وتحقيق اثني عشر الفاً من مؤلفاتهم (٢) .

اما اثر التونسيين في تأسيس الجامعات ، فان اعظم الجامعات الاسلامية
في العالم الاسلامي اليوم هي من تأسيسهم . فالجامعة الزيتونية بتونس بناها عبدالله
بن الجحباب سنة ١١٤ هـ . وجامعة القرويين بفاس بنتها الاميرة فاطمة ام البنين
سنة ٢٥٥ هـ . والجامعة الازهرية في القاهرة بناها المعز لدين الله الفاطمي سنة
٣٦٥ هـ . وليس هذا فحسب فان عرب تونس قد ضربوا بسهم في تأسيس الجامعات

(١) مقتبس بتصريف عن مجلة المباحث التونسية من مقال « في الثقافة التونسية » ع ٢٩ - ٣٠
بقلم الاستاذ عثمان الكماك امين القمم العربي من دار الكتب التونسية .
(٢) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً عند مؤلفه . واسمه « صدور الافارقة » وقد نشر منه مؤلفه
عدة فصول في مجلة « الثريا » التونسية .

العلمية باوروبا ، وذلك فضلاً عن جامعة « دار الحكمة » بالقيروان . اما جامعاتهم باوروبا فهي : جامعة بالرمو ، التي اسسها بنو الحسين حكام صقلية التونسيين ، وجامعة كاسينو التي كان يدرس بها اساتذة تونسيون ، وبكتب تونسية وكان بعض الاساتذة التونسيين بها ينقلون الى اللاتينية امهات الكتب العربية في كافة العلوم . فاذا علمنا ان النهضة العلمية الاوروبية الحديثة ، قد انبثقت من جنوب ايطاليا ، علمنا الى اي حد كانت عظيمة ورائعة تلك الخدمات التي اسداها التونسيون الى الى الذهن البشري والثقافة العالمية .

النهضة الحاضرة ..

إن الجذور الاولى للنهضة الثقافية الماثلة اليوم في تونس ، تعود الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حين قام المصلح التونسي الكبير الوزير خير الدين باشا ، بوضع اسس ثابتة لنهضة علمية واجتماعية شاملة ، اثمرت في عهده ولا تزال تعطي احسن الثمرات واشهاها ، وقد بدأ خير الدين سلسلة اعماله الاصلاحية بايجاد معهد الصادقية للعلوم واللغات الاجنبية وقد تخرج في هذا المعهد عدد هائل من رجالات الفكر والعلم ، ولا يزال حتى اليوم يقدم في كل جيل رجالاً من خيرة الادباء والعلماء ، والى جانب هذا المعهد وضع قانوناً لاصلاح التعليم وتنظيمه بالجامعة الزيتونية ، التي يعود اليها الفضل الاول في نمو الأدب واللغة العربية في عهدها المتأخرة . كما ارسل البعث العلمية لفرنسا وايطاليا ، وما لبثت هذه البعث ان عادت الى بلادها فساهمت في بناء صرح النهضة الحديثة مساهمة

فعالة . الى آخر ما قام به هذا الوزير المصلح من اعمال جليلة باهرة في كافة
الميادين الاخرى .

وفي ١٢ مايس ١٨٨١ نكبت البلاد بالاستعمار الفرنسي البغيض ، ولا تزال
تعاني ظلمه وعدوانه رغم مرور سبعين عاماً على احتلاله البلاد . وقد سلك
الاستعمار في هذه المدة كلها سياسة اجرامية للقضاء على هذه النهضة في مهدها ،
محاولاً ابقاء الشعب في حالة من الجهالة والتأخر تفسح امامه المجال للاستغلال
الاقتصادي القذر ، وتحقيق مطامعه الشريرة الاخرى . وهنا بدأ لون جديد من
كفاح الشعب التونسي ، اذ شمل نضاله ضد الاستعمار ميدان التعليم والثقافة
العامة ، فلم يتراجع عن نهضته التي بدأها بل مضى يشق طريقه في سبيل تنميتها
وازدهارها والمحافظة عليها . وقد استطاع ان يتغلب بنضاله على سياسة الاستعمار
ضد ثقافته وكيانه الفكري ، فاكثر النوادي والجمعيات المختلفة ، واسس المعاهد
العلمية والمدارس الوطنية الحرة ، وانشأ المكتبات الشعبية العامة ، وبذلك لم تتوقف
نهضته عن النمو والازدهار . وصحيح ان هذا الكفاح كان بطيء السير في ذاته ،
وكان الاستعمار يقف في وجه هذا السير البطيء كالمارد الجبار . لا يسمح بشيء ،
ولا يتيح لاحد فرص العمل والبناء لخير الشعب وتقدمه ، ولكن الشعب التونسي
كان لا يعرف الرجوع الى الوراء فلم يستسلم لكل ما وضعه الاستعمار في طريقه
من عقبات وسدود . وهذا ما أتاح لتونس في نهاية الربع الاول من القرن الحالي
ان تنشق فيها حركات قوية كاسحة ، تهدف في شتى ميادينها الى تحقيق نهضة
جبارة واعية . تقوم على اسس راسخة من العلم والتنظيم والتضحية والفداء . وقد

حمل لواء هذه النهضة ، وتقلد اعباءها عن جدارة وايمان ، نفر قليل من الشباب المثقف الواعي ، الذي ادرك بمرارة مدى الهوة السحيقة التي تردى فيها شعبه ، فاخذ على عاتقه انقاذ هذا الشعب من كل محنه وجميع اوصابه .

وتقدمت هذه الطليعة الواعية من الشباب المخلص المستنير ، الى ميادين الكفاح ، واخذت تعلن عن آرائها الجديدة في جرأة نادرة وحماس شديد ، مبشرة بان ذلك منها مقدمة لكفاح شاق عنيف . وسرعان ما التفت حولها جماعة قليلة اخرى من الشباب المتحفز الطموح . وسرعان ما اصطدمت هذه الطلائع المتوثبة بقوتين خطيرتين هما : الاستعمار الفرنسي العاشم والحركات الرجعية الخادرة ، التي كانت سادرة في احلامها ومتعها الرخيصة على حساب الشعب الجاهل المنكود .

ولم يكن من اليسير الهين التغلب على واحدة منهما ، فكيف بهما متكاتفتين متحفزتين للقضاء على كل من يفتح شفقيه بغير التسبيح والتمجيد ، او يفتح عينيه لرؤية النور ومشاهدة الحق في جلاله وبهائه .

ولكن الذي يسجل باعجاب واكبار ، هو ان هذه الطلائع قد صمدت صمود الجبال وكافحت كفاح الابطال ، واستطاعت خلال الربع الثاني من هذا القرن ان تكتسح امامها كلتا القوتين العاشمتين - الرجعية والاستعمار - وهي اليوم تتحفز للاجهاز على ما تبقى لهما من فلول مبعثرة وانفاس تتفصض انتفاضة الموت الاخيرة .

وبديهي ان هذا الكفاح الشاق العنيف لم يكن ليحالفه النصر ويلازمه

النجاح دونما ضحايا غالية وخسائر باهضة في عدده وعتاده ، وفي قاداته وانصاره .

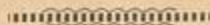
وها نحن نرى الحياة اليوم تتدفق ينابيعها الفوارة ، زاخرة كالدماء الملتهبة في اعصاب الشعب العربي بتونس ، وذلك بفضل تلك التضحيات الجسيمة والكفاح الشاق اللذين تكبدهما جند الطليعة - وحدهم - خلال ربع قرن من الزمن .

وهذا ابو القاسم الشابي احد هؤلاء المكافحين الابطال ، بل نموذج رفيع منهم ، تقدمه اليوم للقراء في الشرق العربي ، كأسمى ما وصلت اليه حركة الانبعاث الفكري ، والتجديد الادبي في تونس . وكأروع شاعر ناوأته البيئة ، وصادمه المجتمع ، وناهضته العقول المحنطة والافهام المتحجرة فكان نصره عليها باهراً وثباته امامها قوياً ، رغم كثرة عديدها وقرة باطلها .

والشابي بعد ذلك كله ، صورة حية شاملة لحياة الشعب التونسي في هذه المرحلة القلقة التي بهرته فيها اضواء الحياة الجديدة ، فملأت قلبه بالاشواق والرغبات ، وايقظت في نفسه عوامل الطموح الوثاب ، والكفاح العنيف ، فكانت نفس الشابي خير معبر عن آلامه وآماله ، واصدق رجاء لثورته وانتفاضه ، في ادبها القوي الرفيع ، وتصويرها الصادق الامين .

والحديث عن ذلك الأدب وهذه النفس ، حديث عن تلك البيئة الراكدة وذلك المجتمع العنيد ، وعن هذه الثورة الجارفة . والانتفاض العارم الفتى . بما

في الجميع من قلق وحيرة او خوف وجمود ، ومن تبرم وسخط او جموح
واندفاع ، صوب حياة حرة سعيدة : وادب خالد فتي .
وهذا ما نحاول عرضه وتحليله في الفصول القادمة ، لتبين منه كافة العوامل
التي ابدعت شاعرية الشابي وصهرت نوعه ، وارتفعت به الى اعلى مراتب
الخلود .



حياة الشاعر

ان حياة الشابي حياة مليئة بالشقاء والالم ، عامرة بالاحزان والاتراح ، طافحة بالحرمان والتعاسة مغمورة بالكآبة والاسى . ولسنا نعرف شاعراً في مثل بيئة الشابي واجوائه تجمعت عليه مثل هذه من ضروب العذاب وألوان الشقاء ، ففجرت فؤاده بالاعاني ، وألهمت قلبه بالحب ، وقادته الى حياة صوفية سامية ، تميزت بتبرمه العنيف ، وثورته الجارفة . وليس من شك في ان للبيئة اثرأ كبيراً واضحاً في حياة الشعراء وآثارهم ، وان للمحن والاحداث التي تغمر حياتهم وتحيط بهم ، عملاً هائلاً شديداً في طبعهم بطابع خاص . وانا حين نعرض لحياة الشابي ، وحياة الشعب التونسي في الفترة التي قضاها الشاعر على مسرح الوجود ، ندرك مصادر الشقاء في نفسه ، ومنابع الألم والجراح من فؤاده ، ومبعث الكآبة والحزن من قلبه ، وأفق الظلام والتشاؤم في وجدانه .

مولده

في شهر آذار (مارس) من سنة ١٩٠٩ ولد المرحوم ابو القاسم الشابي ببلدة « الشايبية » احدى ضواحي مدينة « توزر » كبرى بلاد « الجريد »

بالجنوب التونسي . وهي بلاد جميلة فاتنة ، لما حوته من مناظر طبيعية رائعة .
 فهي واقعة بين بساتين البرتقال ، ووسط واحات شاسعة من شجر النخيل ، ومن
 حوالها عيون ذات ماء زاهر عذب . والى الجنوب الغربي من ذلك تمتد الصحراء
 ذات الرمال الذهبية الحمراء . ومن الجنوب الشرقي فالغربي يبدو شط الجريد
 بمائه الهادي العميق ، فيتراءى للناظر كبحيرة حاملة بآمال الاجيال واحداث
 السنين . في هذه المنطقة من الارض التونسية الساحرة ، والتي كان لها « بجمالها
 وفتتها » اثر بعيد المدى في شاعرية ابي القاسم ، والتي حدثنا عنها الشاعر بشوق
 بالغ وحنين فياض في قصيدته « الجنة الضائعة » ، في هاته المنطقة نشأ الشابي
 وترعرع . ولئن انتقل مع والده بعد ذلك ، الى مدينتي « قفصة » و « زغوان » ،
 كان ابوه فيهما رئيساً لمحكمتيهما الشرعيتين ، فان آثارها بقيت حية في نفسه ،
 يتغنى بها في اشعاره وقصائده .

وراسته

بدأ ابوه في تعليمه بادخاله احدى المدارس التقليدية « الكتابيب » وهو في
 الخامسة من عمره . وكان ابوه يحرص بشدة على تحفيظه القرآن . ومن يدري ،
 فلعله كان يأمل ان يصبح ابنه من رجال الدين . ولقد حقق الشابي حرص والده
 فما ان بلغ التاسعة من عمره حتى كان قد أتم حفظ القرآن بكامله حفظاً تاماً .
 فدل هذا عن نبوغ كامن وعبقرية توشك ان تبهر الورى بأضوائها . ثم اخذ والده
 يعلمه بنفسه اصول العربية ومبادئ العلوم الاخرى ، حتى بلغ الحادية عشر .

وفي خلال هاتين السنتين ، طالع شاعرنا شيئاً ليس باليسير من الكتب الدينية والصوفية والفلسفية القديمة المملوءة بها مكتبة والده ، وهي اهم ما تحتويه مكتبة رجل متدين صوفي .

وفي سنة ١٩٢١ ، وهو بعد في بداية الثانية عشرة من عمره ، ارسله والده الى العاصمة التونسية ، حيث تم التحاقه بالكلية الزيتونية . واستمر يدرس بها العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج فيها سنة ١٩٢٧ . نائلاً شهادة « التطويع » ، وهي ارفع شهاداتها الممنوحة في ذلك الحين .

والتحاق الشابي بالزيتونة وفي العاصمة ، كان نقطة تحول هامة في حياته . وليس ذلك لأن تعليم الزيتونة يومئذ ، كان تعليماً عصرياً بأتم معنى الكلمة ، وانما لهذا الجو الجديد من الحياة الذي انتقل اليه الشابي ، فوجد فيه كثيراً من الحرية ، وكثيراً من الانطلاق ، وكثيراً من النشاط الادبي ، ما كان قبل متمتعاً بشيء منها . وبذلك تحرر من كل قيد كان يزرع به ، وكل رقابة كانت تسيطر عليه . فمضى يستغل ذلك الى ابعد حدوده الممكنة . فانها لاول الامر على كتب المهجريين (كجبران ، ونعيمه ، وابي ماضي) يطالعها بشوق بالغ وادمان شديد . وقد ميزته هذه البذور بطابع « المدرسة المهجرية » التي تمتاز بصوفيتها الشعرية ، ونقدها اللادع ، وحدها على الانسانية المعذبة ، وسخرتها المرة بالحياة الراكدة والبشرية المتحجرة . وكل هذا نلمسه واضحاً في آثاره الاولى من شعر ونثر . ثم اخذ بعد ذلك يطالع كل ما وسعه الوقت لمطالعتة ، او وقعت عليه عيناه ، من كتب قديمة هامة او حديثة مشوقة . فمن القديمة طالع عدداً هائلاً من الكتب

المسماة بامهات الادب ، كالأغاني ، وصبح الاعشى ، ونفح الطيب ، والكامل ،
والأمالي ، والعمدة ، والمثل السائر ، وكتاب الصناعتين وغيرها . ومن المعاجم
امهاتها ، كلسان العرب والقاموس ... اما الدواوين فقد طالع جميع ما طبع من
قديمها وحديثها . ولجمل الشابي باللغات الاجنبية . فقد قرأ اهم ما ترجم من كتب
الآداب الغربية ، حتى استوعب تاريخها وفنونها وجميع اطوارها ، وكان يعيد
باستمرار قراءة كتب « لا مارتين » و « جوته » ، ويعجب بهما اعجابه بالمعري
وابن الفارض . والى جانب ذلك كله كان يتابع قراءة جميع المجلات العربية
الصادرة في ذلك الحين ، كالهلال والمقتطف والسياسة الاسبوعية والبلاغ وغيرها ...
وعلى اثر تخرجه من الزيتونة التحق بكلية الحقوق التونسية ، فتخرج منها
سنة ١٩٣٠ . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة من دراسته ، بذل الشابي نشاطاً
ادبياً واجتماعياً كبيراً . فقاد حركة طلاب الزيتونة التي كانت تهدف الى اصلاح
مناهج التعليم والادارة في الكلية . وتزعم اضرابهم عن الدروس وترأس لجنّتهم
وسير اعمالها بوطنية اعجب بها الجميع . ويعود له فضل كبير في تأسيس جمعية
« الشبان المسلمين » التي هي اليوم من الجمعيات التونسية الكبيرة ذات المشاريع
الثقافية والاجتماعية النافعة . كما ساهم في تأسيس « النادي الادبي » بتونس
- العاصمة - و « نادي الطلاب » ب « توزر » وكان من ابرز اعضائهما
حيوية ونشاطاً .

موت والده

ولكن هذا النشاط - ويا للأسف - لم يدم طويلاً . فقد عكرت صفو حياته

الاحداث والتكبات . وكان في طليعتها موت والده في الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٩ . وبموت والده تغيرت حياته تغيراً تاماً ، وأحدث ذلك في نفسه صدمة عنيفة هائلة ، طفحت بها قصائده في ألم حاد ويأس مر . ولم لا يكون ذلك ، وقد كان لايعرف من شواغل الحياة ومتاعب العيش شيئاً يستحق الذكر؟! فقد كان ابوه يقوم نحوه بكل حاجاته ، ويوفر عليه راحته ورفاهيته وهناءه . فاذا بذلك كله ينهار مرة واحدة ، واذا هو مسؤول عن كل ما خلفه والده في الحياة ، من ام ثكلى ، وأبناء صغار الى املاك مبعثرة هنا وهناك ، وفوق ذلك تبعات لا تحد امام ضميره وامام القانون .

مرض

هذه المتاعب الجمعة والمسؤوليات العريضة التي نزلت عليه في غير حينها لم يكن ليتصورها من قبل . ولعله كان يحسب ان حياته الشعرية المثالية سوف تستمر معه طويلاً ، فاذا بها تتحول فجأة الى ألم جارف ويأس عنيف وشقاء لا يطاق . واذا بنا نرى بعد ذلك بقليل ، ان هذا الالم الجارف . واليأس العنيف ، وتلك الاتعاب والمسؤوليات ، ما لبثت ان فعلت في جسمه التحيف فعلمها الخبيث ، فأصيب بداء تضخم القلب الذي عانى منه أشد انواع المرارة وأقسى ضروب العذاب . وعرض نفسه على كل طبيب اخصائي بتونس فكانوا جميعاً متفقين على امرين اثنين مع علاج بالادوية مستديم : اولهما : ان يكف عن ارهاق نفسه بالكتابة والقراءة .

وثانيهما : ان يعيش في المناطق الجبلية والطبيعية حيث الغابات والبساتين
والوديان والانهار .

فمضى الشاعر يجوب صيفاً وشتاء مناطق تونس الطبيعية الجميلة ذات
المصائف الفاتنة والمشاتي الرائعة . فمن بلاد « الجريد » الى « زغوان » ومن
« عين دراهم » الى « المشروحة » . وقد عاش شاعرنا ثلاث سنوات وحيداً بين
اشجارها وانهارها . يتغنى مع الاطيار بحبه ويناجي النجوم بأمانيه ، ويحنو على
الورود والازهار ، ويطرب لحرير المياه ، وحفيف الاغصان . وفي هذه الفترة
اخرج الشابي اجمل قصائده الخالدة في وصف الطبيعة والجمال ، وسحر الوجود
وحب الحياة .

وفاته

ثم استمر يرهق نفسه بما نهاه الاطباء عنه ، فاشتد به الداء وآلمه كثيراً ، ونال
منه العذاب والشقاء اكثر من اي وقت مضى . فثار على الحياة ومل وجوده فيها ،
وامطر البشرية بسيل جارف من تبرمه وسخطه واخذ يناشد الموت ان يريجه من
حياة ملؤها الشقاء والعذاب ، والأسى والألم فطلع علينا بقصائده : « في ظل وادي
الموت » و « زوبعة في الظلام » و « الجنة الضائعة » و « قال قلبي للاله » و « انا
ابكيك » و « الاشواق التائبة » و « السعادة » و « اغاني التائه » و « ابناء الشيطان » .
وكان من قبل عاكفاً يتلو « صلوات في هيكل الحب » ويعزف : « اغاني الرعاة » ،
و « ارادة الحياة » و « تحت الغصون » ، و « الايمان بالحياة » ، و « قلب الأم »

و « الساجرة » و « اراك » و « فكرة الفنان » .

يهلك القصائد جميعاً وبكثير غيرها تغنى الشابي ، وفيها سكب عصارة روحه ومعين حياته . وعلى اوتار قلبه المكلوم عزف للانسانية اعذب الألحان وامرها .
والآن !! ها هي جميعاً لا تجديه شيئاً ولا ترد عنه حكم القضاء النافذ ولا يد القدر العاتي . لقد اشتد معه الداء وقوي المرض ، فاستفحلت العلة واضطر للملازمة الفراش . ثم نقل الى المستشفى الايطالي بالعاصمة ، حيث سكب الحانه الاخيرة قبل ان يستريح من « عالم الآثام والبغضاء » و « يذوب في فجر الجمال السرمدي » . فقرأنا : « نشيد الجبار » و « الحاني السكري » و « الصباح الجديد » و « النبي المجهول » . . . وهناك قصائد غير هذه لم تنشر ولم تعرف بعد . ثم وجم الناي وغام الفضاء ، وذابت انفاس الشاعر الأخيرة آهات في ارجاء الكون . فقيل تحطمت قيثاره الانسانية ، وتلاشت انغام الحب والجمال ، والحان السحر والخيال . وصعدت روح الشاعر الى عالم الجمال المطلق ودنيا البقاء والخلود .

كان ذلك القول في فجر يوم الثلاثاء التاسع من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٤٣ . ثم نقل جثمانه الى مسقط رأسه بلدة « الشايبية » مشياً بالزفرات والدموع . ولم يكن عند موته قد بلغ السادسة والعشرين عاماً .

وبموته خسرت الآداب العربية المعاصرة ، اعظم خسارة اصيبت بها في تاريخها الحديث ، ونهضتها الماثلة .

ضريحه

وقد نقل جثمان الشابي الى مسقط رأسه ، بعد موته بيوم واحد ، ودفن ببلدة

« الشايبية » في مقبرة اسلافه . ونظراً لقرب الصحراء من بلاد الجريد فقد كادت الرمال الزاحفة ان تمحو قبره وان تجعله اثراً بعد عين . ولقد زاره كثير من الأدباء ، فبالهم ان يندثر قبر الشايبى وان يضيع بين القبور ولما تمض على وفاته عشر سنوات . فكتب بعضهم في الصحف والمجلات مستثيراً همم الشعراء والأدباء من زملاء الفقيه واصدقائه ، ولكن دون جدوى .

واخيراً تحركت هممهم بفضل المساعى الطيبة التي بذلها الأديب الاستاذ محمد بن محمود . فجمع الادباء التونسيون امرهم وألّفوا لجنة اقامت على قبر الشايبى بناء فخماً لائقاً . وقد شمل البناء وضع صندوق من المرمر على قبر الشاعر ، ارتفع به القبر عن سطح الارض مسافة ذراع ونصف كما اقيمت حول القبر روضة صغيرة فيحاء ، يحيط بها سياج من حديد وبذلك اصبح منظر القبر ومظهره رائعاً اخذاً ، يثير المشاعر ، ويغرق الزائرين في لجج من الذكريات والرحمات .

وقد احتفل الأدباء والشعراء حول ضريح الشايبى بهذه المناسبة في يوم الجمعة ١٧ / ٥ / ١٩٤٦ وتسابقوا الى تمجيد مآثره ومزاياه ، والى تقدير شاعريته ونبوغه . فكان اجتماعهم حول قبره ، والتفافهم داخل روضته ، واجلالهم لأدبه وعبقريته ، بمثابة احيائهم لذكراه التي لن تموت ، واعلانهم عن شعورهم نحوه وعرفانهم له بما اسداه - على قصر حياته - للأدب العربي الحديث ولشعبه البائس المنكوب ، من خدمات وجهود ، سوف تعرف قيمها الرفيعة الغالية يوم يكشف عنها الغطاء ، وتشر على الناس . فيعلم حينئذ ان الشايبى كان لحناً فريداً لم يتم ، ومنحة من من السماء لابناء الارض ، واغنية عاصفة نائرة . ستظل الحياة ترددها على مسامع البشرية جيلاً بعد جيل .

البيئة الاجتماعية

نشأ الشابي وشب في بيئة تحيط بها سجوف العماية والضلال من كل جانب ، وتسيطر على حياتها ومقدراتها ، عناصر بغيضة الى كل نفس ، كرهية لدى كل انسان يشعر بحقيقة نفسه ، وبحقيقة الحياة الطيبة السعيدة .

والمجتمع التونسي في الفترة القصيرة التي قضاها شاعرنا في محيطه ، كان مجتمعا مريضاً في جسده وروحه ، بالياً في تفكيره ، وآرائه ، مستسلماً لأوضاعه الفاسدة (استسلام العناصر غير العاقلة الى مشيئة الايام والليالي ...!) . كما يقول جبران .

وليس من اليسير على شاعر كالشابي ، وقاد الفكر ، مشبوب الخيال ، دقيق الحس والشعور ، ان يرضى عن هذا المجتمع ، وان يطمئن لنوع الحياة التي يعيشها ، او لاصناف الظلم التي يعانها والآلام التي يكابدها .

وما من احد وعى ذهنه شيئاً من مفاهيم الكرامة البشرية ، والعدل الانساني ، يستطيع ان يخلد الى الاطمئنان والراحة ، في مجتمع تضافت عليه قوى الشر وتجمعت حوله كل عوامل الابداء والافناء . فالاستعمار الفرنسي البغيض ، يمتص رحيق الحياة من كيانه العام ، ويستغل امكانياته في شتى الميادين ، ويستأثر

دونه بكل ثرواته وجهوده ، ويسلبه خيرات البلاد وثمارها . ويحول بينه وبين العمل على الاخذ باسباب الحياة الصاعدة ، ويعوقه في عناد وعنف عن كل نهوض يهيم به ، وكل حركة يهدف منها الى الانطلاق من اغلاله والافلات من اسره . وليس ذلك فحسب ، بل عمل الاستعمار - ولا يزال يعمل - جاهداً على تنمية جرائم الفقر والمرض والجهل ، بما يفرضه من ارهاق ، ويسنه من شرائع ظالمة عاتية ، وما يقيمه من عراقيل في سبيل العاملين المخلصين ، من ابناء الوطن .

وليس الاستعمار وحده العامل على محاربة الجهود المخلصة النزيهة ، الرامية الى تحرير الشعب التونسي من عبوديته وفقره ، ومن مرضه وجهله . بل كانت تساعد وتؤتمر بأمره ، عناصر رجعية خائرة ، تثير في الشعب روح العصبية الدينية المزيفة ، حين لا تجد سلاحاً للمقاتلة إلا هذا السلاح ، وتندم امامها الوسائل الا هذه الوسيلة . وهي تعمل جاهدة لتبقى على مكائنها وحظوتها لدى الشعب ، عن طريق الاحتفاظ بواقعه الفاسد المرير ، بما فيه من ضلال و جهل ، وبما يريزح تحته من اعباء الماضي السيئة . وبما يعانیه من عدوان الاستعمار وظلمه .

وكذلك كان الشعب نائماً في شقائه ، مستسلماً للتعاسة والبؤس ، مؤمناً

بصدق هؤلاء الموتى من الاحياء ، والاحياء من الموتى !!

فكان يسيراً على هاته الفئة المتحكمة - وحالة الشعب كما لاحظنا - ان

ترسل صيحتها في الشعب ، بان تقاليد مسخت ، وقدسياته امتنت ، ونفائسه

المحنة سحقت ، واصنامه المعبودة حطمت . كان يسيراً عليها ان ترسل صيحة كهذه لتدفع بجموع الشعب الجاهل الضليل ، الى محاربة القوى الجديدة الواعية ، المنبعثة من اعماق الشباب الثائر العنيد .

فتخبيل المساعي وتضيق الجهود ، وتلاشى هاتيك القوى الفتية الناهضة ظلماً وجهلاً وضلالة وجحوداً .

وإذ كانت هذه هي البيئة ، وهذا هو المجتمع الذي عايشه الشابي ، فأى شيء يمكن ان تفيض به نفس هذا الفتى الثائر الطموح ؟
واي شيء يستطيع ان يقدمه لشعبه ليتحرر من عبوديته وينطلق من أغلاله ؟ .

« لم يكن الشابي من رجال السياسة او الادارة فيسعى لقلب النظام او قائداً عسكرياً فيشنها ثورة دامية ، يزحزح بها تلك الهياكل المتجبرة عن عروشها ، ليفسح للشعب طريق التحرر والحياة ، حياة انسانية كاملة . وانما كان شاعراً . والشاعر لا يملك سوى قلبه » (١) ووجدانه وعواطفه . فدوّب قلبه اناشيد ، وحرق وجدانه بخوراً في معبد الحياة ، وجتّد عواطفه لمحاربة الظلم والخنوع . فثار على كل وثن من اوثان الأدب ، وكل رأي سقيم لا ينفع ، او قديم لا يفيد . وبدأ ثورته بفك قيود الأدب واغلاله ، وخلص بنفسه من طرائقه القديمة الممقوته ، واساليبه الرثة الميتة . فبعث طرائق فتيّة رائعة ، واساليب حية ممتعة ، قوية في روحها وموضوعها ، خلاصة في فنّها وجمالها ، ساحرة في تعابيرها وصورها .

(١) ذكرى الشابي للاستاذ الهادي العبيدي . (عن مجلة الاسبوع التونسية) .

وقد اوضح الشابي افكاره وآراءه بجرأة نادرة وحماس شديد ، في كتابه الخالد : « الخيال الشعري عند العرب » . وان اول دعوة صريحة ثائرة ، نقرأها في هذا الكتاب هي قوله :

(... لقد اصبحنا نطلب حياة قوية مشرقة ، ملؤها العزم والشباب ومن يتطلب الحياة فليعبد غده الذي في قلب الحياة . اما من يعبد امسه وينسى غده فهو من ابناء الموت وأنظاء القبور الساخرة ...) فهذه الصراحة المنبعثة من اعماق نفسه بكل حرارة وصدق ، وهذا الحماس اللاهب والاخلاص القوي ، المتدفقان من كل سطر من سطور الكتاب وكل كلمة فيه ، لم تكن - مجتمعة او منفردة - لترضي اولئك الخادرين والسادرين ، الذين القوا السكون واستسلموا للنوم الابدي ، وارتاحت قلوبهم الى ضروب من الجمود والعبودية ، وهضمت معهم طعام النذل الموروث ، ورضيت نفوسهم بارتداء ملابس فصّلت لغيرها ، وباخرى بليت لكثرة ما تناوبتها الاجيال . تلك الاجيال التي عاشت كما يعيشون ، عالة على غيرها ، لا تشعر بوجودها إلا في احضان الماضي ، ولا تستمد غذاءها إلا من نبش القبور وجثث الموتى . فهي لا تشعر بانها كائن حي ، ولا تحس بتيارات الحياة ، ولا تتصل بهذا العالم إلا كما تتصل به الاحجار او الرمال ، بل لعل هاتين اكثر اتصالاً وانفع منها للحياة . ولقد رُمي الشابي من اجل ذلك ، بنكران الماضي ومحاربة مجاده ، وبالعقوق لأبائه واجداده ، وبالثورة على المقاييس الشائعة ، والطرائق الذائعة ، وبالسخرية من التراث (المقدس) الجليل ، وتشويهه محاسنه ومسخ جماله !! ..

وصحيح ان الشابي كان نائراً على السخافة المستحكمة والعقول المحنطة ،
والتقاليد الجامدة ، والمقاييس المتحجرة .

وصحيح انه كان مجدداً جريئاً وبناءً قديراً ، يملك سلاح التجديد ، وبني
لنفسه ولأتمته حياة جديدة ومجدداً طريفاً ، ويعيش في حاضره ولغده ، لا في ماضيه
ولأمسه . ولكن ليس بصحيح ان الشابي كان - في لحظة من حياته - ساخراً من
اجداده او من تراث هؤلاء الاجداد .

وها هو يفصح عن نفسه ويوضح حقيقة آرائه في رد من ردوده على احد
ناقديه فيقول :

(... وبعد . فانا احب ان يعلم الأديب الفاضل (١) . انني اذا كنت ادعو الى
التجديد الأدبي واعمل له ، فان ذلك لا يدفني الى الهزء والسخرية بأداب الاجداد
- كما قد حسب - بل انني لأومن كل الايمان بما فيها من جمال في وسحر
قوي ، واعتقد انها قد آتت في عصورها الحية لاجدادنا كل ما طمحت اليه
اشواقهم من غذاء معنوي دسم ، ولكنني أومن الى جانب ذلك ان في الحياة أفاقاً
مجهولة ساحرة ، غير ما في الأدب العربي من أفاق ، وان هذا الادب اذا كان قد
سد خلة آبائنا الروحية ، فانه لعاجز كل العجز عن ان يشبع ما في ارواحنا من
جوع وعطش وطموح . وانه اذا كان لزاماً علينا ان نعجب بهذا الادب ونفخر به ،
كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية ، وكمنجم ذهبي نرجع اليه كلما أردنا ان نصوغ

(١) هو الاستاذ مختار الوكيل الشاعر المصري المعروف . وقد كتب نقداً لكتاب ، الحبال
الشعري عند العرب ، ونشره مجلة ابولو من ٨٣٣ س ١٩٣٣ .

لأفكارنا حليها الساحر الجميل ، فان ذلك الاعجاب لا ينبغي ان ينقلب في نفوسنا الى تقديس فعبادة فجمود فاطباق لأبصارنا عن كل ما في السماء من اشعة ونجوم .

هذا رأيي ، وهذا بعض ما دعوت اليه في كتاب « الخيال الشعري عند العرب » وما احسب في مثل هذا شيئاً من الغلو او الاغراق ، او تنقص ادب الاجداد او الزراية عليه .

فان كان ناقدني المفضل يأبى بعد هذا الا اعتباري « متطرفاً » غالياً ، ومتقصاً لأدب الاجداد ، فليفعل واجري على الله (١) .

لست اشك لحظة في انه ما من احد قرأ هذه الكلمات العذبة ، التي تنطوي في ايجاز بالغ وروعة محببة ، على آراء جريئة صريحة وافكار نبيلة قيمة ، ما من احد قرأ هذه الكلمات او استمع اليها ، الا تملكه الاجلال والاكبار لهاته النفس المؤمنة بحقها في الحياة ، البارة بحق آبائها واجدادها ، المخلصة لتراثهم واجدادهم ، العاملة على بناء مجد فتي وأدب خالد .

ولكن ، أنى لاولئك الخائرين ان يفهموا شيئاً من ضياء العزم ونور الايمان وجلال الحق وناموس الحياة .

انى لهم ان يستسيغوا تلك الانعام السماوية الساحرة ، المنبعثة عن كل بيت من شعره ، وكل سطر من نثره .

(١) من رد الثاني على ناقدته المنشور في المجلة السابقة ص ١١٧٢ سنة ١٩٣٣ .

أنى لهم إن يدركوا ذلك الجمال السرمدى ، وتلك الاجواء المستتيرة ، في
علم الخيال الرائع ، ورحاب الابداع الزاخر .
أنى للقلوب المريضة والنفوس المنهوكة السادرة ، ان تدرك طهارة الملاك ،
وجمال الذات المطلقة ، وصفاء الفن وقداسته .

ومتى كانت الاشواك والديدان تستطيب عطر الورود وزرقة النسيم، وتستشف
جمال الازهار ، وزرقة السماء !!؟

انت كالزهرة الجميلة في الغاب ولكن ما بين شوك ودود
فافهمي الناس ، انما الناس خلق مفسد في الوجود غير رشيد
ودعيمهم يحيون في ظلمة الائم وعيشي في طهر كالمحمود
أنت تحت السماء روح جميل صاغه الله من عبير الورود
وبنو الارض كالقروود ، وما أض يع عطر الورود بين القروود
انت من ريشة الاله فلا تا قمى بفن السما لجمل العبيد
أنت لم تخلقي ليقربك الناس ولكن لتعبدني من بعيد !!
أي نعم يا أبا القاسم ! فان نفسك الكبيرة تلك ، بروحها الطاهرة وقلبها
الحساس ، لم تخلق ليقرب بها الناس وتحيا بين العبيد ، وانما لتعبد من بعيد ، ومن
بعيد بعيد !...

وهكذا كان الشابي كشمعة تحترق لتضيء الى السائرين في شعاب الارض
ومسالك الحياة ، طريق المجد وسبيل النور ، فأذاب روحه اناشيد ، وألهب قلبه اغاني
وأهازيج ليقود قومه في موكب حافل بالانعام والألحان مكلل بالازهار والرياحين .

كان ذلك يوم أجال الشاعر بصره في ارجاء الكون ، ومحاسن الوجود ، فلم يجد سوى طيور طراب تنتقل بين الاشجار والربى ، وفي الاجواء والبطاح . وشمس تتهدى في الصباح . بعد فجر حالم منير ، فتعيد الى الدنيا حياتها الصاخبة ، وتبعث في الخلائق القوة والنشاط . وزهور عابقة في الحقول والاحراج ، وورود ناعسة في الرياض والمروج ، ونجوم تراقص في الليل البهيج ، على صفحات الماء العذب النмир ، او البحر المائج الفسيح . وبدر يرسل اشعته الفاتنة على الارضاء ، فيحيل ظلام الليل الداجي الى دنيا من السحر والجمال ، فيبدو الوجود كأحلام تراقصت نشوى في خيال شاعر زاخر المشاعر ، فياض الاحاسيس .

أجال بصره في ذلك كله ، واكثر منه ، فأيقن ان للحياة فتنة لا تدرکها الابصار ، وان للعالم جمالاً حقيقاً بالعبادة ، حرياً بالأجلال والتقديس . ثم عاد الى قومه فحدثهم عن جمال الحياة وسحر الوجود ، وقتنة الكون الكبير ، فما استمع احد منهم اليه ، ولا حفل بحدثه انسان . فتألم وتأوه ، ثم طوى أمله ، وأسكت آهاته ، وعاد اليهم في الصباح - صباح الحياة - وقد ضمخ اكوابه بعطر الورد ، وعبير الازهار ، وأترعها بخمرة نفسه وعصارة قلبه ، ثم قدمها صبوحةً للشاربين من ابناء شعبه ، ولكنهم ما ألفوا بعدُ خمرة النفوس المنصهرة ولا ذاقوا رحيق القلوب المتفجرة في صباح الحياة . فأهرقوا خمرته وحطموا كأسه - كأسه الغربية عليهم - فتألم الشاعر من اعماق قلبه الجريح ، وتوجع بكل حاسة مشبوبة فيه . ثم كفكف آلامه ودموعه وجمع احاسيسه وقواه ، ونضد باقة من ازاهير الحياة واوراد الوجود وقدمها اليهم ، عل شذاها يفتح حواسهم المغلقة ،

والوانها تستهوي ابصارهم الكليّة . ولكنهم - ويا للعار - كانوا اشد شراً منهم في
المرّة الاولى ، فأدرك انه مجهول في قومه غريب بينهم :

يا صميم الحياة ، كم أنا في الدنيا غريب ، أشقى بغربة نفسي
بين قوم ، لا يفهمون اناشيد فؤادي ، ولا معاني بؤسي
في وجود مكبل بقيود ... تائه في ظلام شك ونحس
فاحتضني ، وضمني لك بالماضي فهذا الوجود علة يأسي
ثم عصفت وثار ، فدمدم عليهم برعده واعصاره ، فكاد يعصف بهم في قصيدته
« النبي المجهول » :

أيها الشعب ليتني كنت خطاباً فأهوي على الجذوع بفأسي !
ليتني كنت كالسيول اذا الت ، تهد القبور رمساً برمس !
ليتني كنت كالرياح فأطوي كل ما يخفق الزهور بنحسي !
ليت لي قوة الاعاصير يا شعبي فألقي اليك ثورة نفسي !
ليت لي قوة الاعاصير لكن انت حي يقضي الحياة برمس !
انت روح غبية تكره النور ، وتقضي الدهور في ليل ملس !
انت لا تدرك الحقائق ان طافت حوالبك دون مس وجس !
في صباح الحياة ضمخت اكوابي وأترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك ، فأهرقت رحيقي ودست يا شعب كأسي !
فتألمت ثم اسكت' الآمي وكفكفت من شعوري وحسي
ثم نضدت من ازاهير قلبي باقة لم يمسه اي انس

ثم قدمتها اليك فمزقت ورودي ودستها اي دوس !
ثم البستي من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسي !
ولكن هذه العاصفة الهوجاء ، هدأت في نفس الشاعر ، وثاب بعدها الى شيء
من الرضى والاطمئنان ، والى نوع جديد من الحياة ، اعتزم ان يأخذ ايامه الباقية
عليه ، فاختر ان يحيا بعيداً عن قومه ، بعيداً عن بلاده :

ليت لي ان اعيش في هذه الدنيا بعيداً بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال والغايات بين الصنوبر المياد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف نفسي عن استماع قوايدي
عيشة للجمال ، والفن ابغيتها بعيداً عن امتي وبلايدي
لا اعني نفسي باحزان شعبي فهو يحيا في ظلمة الأباد
حسب نفسي من الأسي ما لديها من طريف مستحدث وتلاد
ولقد مضى شاعرنا الى الغابات فعلاً ، فقضى بقية عمره فيها ، وعاش بين
اشجار زيتونها ونخيلها وسروها وصفصافها ، كما يشاء وكما يحب الفنان ان يعيش .
وفي الغابات المحببة الى نفسه وبين سفوح جبالها المكلفة بالصنوبر والصخور
وتحت ظلال الاشجار الوارفة فيها ، طلع عليه صباحه الجديد ، فاذا جراحه
تسكت وأشجانه تسكن ، وآلامه تنتهي ، واذا به ينطلق ليعانق صباحه الجديد
« وليذوب في فجر الجمال السرمدي » . ثم رأيناه يمشي الى الشاطيء - شاطيء
الابدية - في سكون حالم وغفوة نشوى . حيث ركب هناك زورقه المسحور ،
ونشر قلاعه البيضاء ، ورفع يده مودعاً - عالم الآثام والبغضاء - ثم انساب في

خضم الأبدية العميق ، وكأنه حلم ليلة ساحرة ، أو رؤيا جمال عبقرى :

أسكتي يا جراحٌ واسكني يا شجون !
مات عهد النواح وزمان الجنون !
وأطلّ الصباح من وراء القرون !

من وراء الظلامٌ وهدير المياه !
قد دعاني الصباح ورييح الحياه !
يا له من دعاء هز قلبي صداه !!
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع !!
الوداع الوداع يا جبال الهموم !!
يا ضباب الأسى يا فجاج الجحيم !!
قد جرى زورقي ... في الخضم العظيم !!
ونشرت القلاع فالوداع الوداع !!!

والآن !... وقد انتهت آلام الشابي ، وسكنت جراحه ، وسكنت شجونه أفماً
يحق لنا ان نسأل عن ذلك المنبع الفياض ، الذي تدفقت منه هذه الآلام وتلك
الجراح وهاتيك الشجون ؟

لم تكن آلام الشابي وجراحه ، الا آلام شعب كامل وجراح امة باسرها ،
حملتها نفس بشرية واحدة ، وانطوى عليها قلبها الانساني الكبير ، ففاضت انغامها
الساحرة من اوتار قلبه ، وتصاعدت آهاتها المرة من اعماق نفسه .

وليس من شيء يصهر النفوس ، ويظهر الارواح والقلوب ، كالآلم الانساني العنيف ، حين ينبعث من اعماق الضمير وارجاء النفس ، بكل حرارة وعنف وبكل شوق وحنين .

والآلم ينبوع العبقريّة وفيض النبوغ . وكل شاعر فنان صهره الآلم ، وعذبتة الاوجاع ونال منه الحرمان في اية ناحية من نواحي الحياة ، الا تفجر قلبه عن ابداع الصور واروع الالحان ، وعزف للانسانية اعذب الاغاني وأمرها .

والآلم وليد الاحساس القوي المرهف ، والشعور العميق باسرار الحياة ، وعيوب البيئّة والمجتمع .

والشاعر الفنان يخلق لنفسه « في احلامه وامانيه » بيئّة مثاليّة سامية ، ومثلاً عاليّة في الحياة ، والواناً ساحرة من الاجواء والاضواء ، ولكنه سرعان ما تتحطم آماله وأمانيه ، وتنهار مثله واحلامه ، حين تصادمه حقائق البيئّة المرة ، ويعانده في عنف واقع يحيا عليه قومه . ويعيشون فيه عن رضى واطمئنان . ولكن اي واقع حزين هذا الذي يحيا عليه قومه ؟ ...

واي مجتمع منكود ، هذا الذي عاش شاعرنا بين اهله وبنيه ؟ ... انه مجتمع خائر منهوك في جسده ، غبي تافه في روحه ، حقير ساذج في مثله واحلامه ، باهت في الوانته ، ممل في انغامه .

واي شعب تجمعت في حياته هذه الخطايا ، الا كان شعباً غيباً خادراً ، لا يفقه شيئاً من معاني الحياة واسرارها ، وجمال الوجود وفتنته ، وعفة الحب

وطهره ، ونبل الحق وجلاله ، وشرف الكفاح وروعته ، ومجد الشباب وثورته ،
وشوق الشاعر واحلامه ...

والشابي كان ذلك الشاعر ، وشعبه كان هذا الشعب ، في تلك الفترة
القصيرة التي عاشها شاعرنا بين ابناؤه .

فكان للألم من ذلك كله نبع غزير في قلبه ، وكانت لآلام شعبه وجراحه
رجاعها القوية في نفسه ، فانسابت من بين شفثيه صرخات توجع ، وآهات انين .
وتدفقت من اوتار قلبه انغام قوة كاسحة ، والحان ثورة مدمرة جارفة .

ولقد أحس الشابي بعذابه وجراحه منذ اللحظة الاولى التي رأى فيها الحياة
على صورتها الحقيقية ، ومنذ اللحظة الاولى التي احس فيها بالآم شعبه وتعاسته ،
ومدى ما يريزح تحته هذا الشعب من اعباء الظلم واصناف الطغيان، ومن سجوف
الماضي وسيئاته . فتأوه لذلك وتألم ، ثم جمع قواه ، واندفع بايمان الشباب ،
وحيوية الفتوة ، وعزيمة الجبار ، الى الصفوف الاولى مناضلاً لخير بلاده وتقدمها ،
ومكافحاً في سبيل تحريرها واستعادة مجدها واحلالها المحل الذي يجدر بها ان
تناله بين أمم الارض وشعوبها . فخاطب شعبه بصنوف من القول لم تألفها
اسماعه ، وعرض عليه اسلوباً في الحياة لم تعود طباعه واخلاقه ولا يتفق مع
ركوده واستسلامه . فقبولت اقواله وأساليبه بالسخرية والاعراض من قومه ،
فزاد ذلك من آلامه وجراحه واحترق في اتون من السخط والثورة على هذا
الغباء المستحكم ، والجهالة المتأصلة والجمود الأخرس . فاستمع اليه مندداً
بذلك قوله :

أنت يا كاهن الظلام حياة تعبد الموت أنت روح شقي
كافر بالحياة والنور ، لا يصغي الى الكون قلبه الحجري
أنت دنيا يظلمها افق الماضي وليل الكآبة الأبدي
والشقي الشقي في الارض شعب يومه ميت وماضيه حي !!

ويشاء القدر العنود أن يزيد آلام هذا القلب الانساني الكبير آلاماً جديدة
كل يوم ، فوق ما يعانیه شعبه من آلام الاستعمار ، وآلام الركود والاستسلام .
آلام ناء بها جسمه النحيل وقلبه المعذب المكوم . وأي آلام اشد على مثل هذا
القلب من فقد الاعزاء والاقربين ؟!!! كانت اولى هذه الآلام فقد شاعرنا لوالده ،
اعز مخلوق عنده . ثم اصابته بـداء لا دواء له ، وبهذا تجمعت على هذا الانسان
الوحيد ، والقلب الانساني الأليم صنوف من الألم ، وضروب من العذاب ،
وسهام من كل صوب . وهنا تتجلى مظاهر العبقرية ، وقوة الايمان ، وبطولة
النفس الانسانية الخالدة . فلم يُحني هامته للظلم ، ولم يجرفه تيار الركود ، ولم
يستسلم حتى للقدر العاتي والقضاء المحتوم . فهذا الظلم ينازله قائلاً :

ألا ايها الظلم المصعّر خدّه ... رويدك ان الدهر يبني ويهدم !!
أغرك ان الشعب مغضٍ على قديّ لك الويل من يوم به الشرقشعم !!
ألا ان احلام البلاد دفينه تجمجم في اعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها وينشق اليوم النذي يترنم
هو الحق يبقى ساكناً فاذا طغى باعماقه السنخ العصوف يدمدم!
إذا صعق الجبار تحت قيوده سيعلم اوجاع الحياة ويفهم !!!

وهذه أمته ، يهيب بانائها ، ان انهضوا وسيروا في طريق الحياة ، فمن نام لم
تنتظره الحياة :

خلقت طليقاً كطيف النسيم وحرّاً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير اين اندفعت وتشدو بما شاء وحي الأله
وتمرح بين ورود الصباح وتنعم بالنور انى تراه
وتمشي كما شئت بين المروج وتقطف ورد الربى في رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود وألقتك في الكون هذي الحياه
فمالك ترضى بذل القيود وتحني لمن كبلوك الجباه ؟!
وتقنع بالعيش بين الكهوف فاين النشيد ؟ واين الأياه ؟!
أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور السما في فضاءه ؟!
الا انهض وسر في سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحياه !!
ولا تخش بما وراء القلاع فما ثم الا الضحى في صباه
الى النور فالنور عذب جميل الى النور فالنور ظل الاله !!

وهذا القدر يصارعه في عنف واعتداد ، وكأنه لا يقل عنه شيئاً في
القوة والجبروت . فأرهف السمع لهذه الانعام الصاخبة ، والقذائف
الشعرية الكاسحة ، في قصيده الخالد : « نشيد الجبار » او « هكذا غنى
بروميثوس » :

سأعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة السماء...!
... وأقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالي بكل بلاء!

« لا يطفىء اللهب الموجج في دمي
 فاهدم فؤادي ما استطعت فانه
 لا يعرف الشكوى الذليلة والبكاء
 ويعيش كالجبار يرنو دائماً
 .. سأظل امشي رغم ذلك عازفاً
 أمشي بروح حالم متوهج
 النور في قلبي وبين جوانحي
 اني انا الناي الذي لا تنتهي
 وانا الخضم الرحب ليس تزيده
 ... اما اذا خمدت حياتي وانقضى
 وخبا الهيب الكون في قلبي الذي
 فأنا السعيد بأنني متحول
 لأذوب في فجر الجمال السرمدي
 موج الاسى، وعواصف الارزاء!
 سيكون مثل الصخرة الصماء!
 وضراعة الاطفال والضعفاء!
 للفجر ، للفجر الجميل النائي
 قيثارتي مترنماً بغنائي!
 في ظلمة الآلام والادواء!
 فعلام اخشى السير في الظلماء؟!
 انغامه ما دام في الاحياء!
 الا حياة سطوة الانواء...!
 عمري واخرست المنية نائي!
 قد عاش مثل الشعلة الحمراء!
 عن عالم الآثام والبغضاء!
 وارتوي من منهل الاضواء!!

حقاً ، اننا لم نعرف لابي القاسم ذلة في الشكوى ولا دموعاً في الملمات ولا
 خنع لمخلوق في الوجود . وها اتم ترونه رغم آلامه الجمة وجراحه العميقة قد
 ظل (كالجبار يرنو دائماً للفجر ، للفجر الجميل) فجر الانطلاق من اغلال المادة
 وقيود الحياة ، وشروور الورى وآثام المجتمع .
 فهو السعيد بتحوله (عن عالم الآثام والبغضاء ، ليعيش في فجر الجمال
 السرمدي ، ويرتوي من منهل الاضواء) .

وانه لسعيد اليوم في عالمه المطلق وكونه الرحيب ، مع حبيبه الفجر ،
وصباحه الجديد .

فلتهدأ - أبا القاسم - بأملك الرحب الجسور ، وحيبك الفجر الجميل ،
وصباحك الجديد المشرق . ولتخلد هناك مع الخالدين الكبار . ولتسعد مع
الصدّيقين والابرار .



الأدب المهجري ...

« وأثره في شاعرية الشابي »

إن اثر الأدب المهجري في تفكير الشابي وادبه ، يكاد يفوق اي عامل سواه . ويعود ذلك الى سني الدراسة الأولى ، حيث عرف عن الشابي انه كان يكثر من من قراءة الأدب المهجري وحفظ اشعاره ، وليس من شك في ان النفس البشرية تتأثر اشد ما تتأثر في طفولتها ، فترتسم فيها كل صورة من صور الوجدان والفكر ، وكل طبع من طباع السلوك والأخلاق . والشابي كان عند مطالعته لكتب الأدب المهجري دون الخامسة عشر من عمره ، وهي سن جد خطيرة في التفكير والسلوك والعادات ، اذ فيها تتزاحم على ذهنية الناشئ صور غريبة جامحة ، والوان خلافة رائعة من الخيالات والحب والاحلام .

والأدب المهجري أدب يمتاز بتبرمه الناعم وثورته الجامحة ، وصوفيته الحاملة ، وضروب شتى من الوان المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول والآمال . وهي الى ذلك معروضة فيه بشكل ساحر أخذ ، كأنها عرائس الفردوس او عذارى الاساطير ، تتهادى بشبابها الناعمة كأزهار الروابي وأوراد البساتين . باحثة عن التائبين في افاق الوجود ، الناقمين على اوضاع البشرية ومساوئها المخزية ، الراغبين

عن مظاهر الحياة الزائفة والوانها الخادعة ، الناشدين الحب الخالص من القصد
 والغاية ، الباحثين عن الحياة المجردة من « أنا » و « أنت » و « لي » و « لك » .
 هذه الألوان البراقة والصور الراقصة الفاتنة ، قد خلقت نفس الشابي في
 طوره الاول ، وقادت خياله المتوقد وحسه المرهف الى معابد الطبيعة الساحرة
 وهياكلها الغريبة ، حيث اسمعته اغانيها الحلوة الناعمة ، وكشفت له عن مواطن
 الجمال والفتنة العارمة في نفسها ، واطعمته ثمارها المسحورة واسكرته برحيق
 ازهارها وورودها . فاذا هو ثمل بخمرة الجمال وفتنة الوجود ، هائم بحب الحياة
 المجردة كالزهور ، العارية كالانهار ، الحاملة كالورود في نسائم الاسحار ، المتغنية
 كأطياف الغابات وبلابل الحقول ، الراقصة كامواج البحار وسنابل الزروع . فرتل
 اغانيها بخشوع ، وردد انغام السماء على مسامع الكون ، وحرق في معبد الحياة
 و « هيكلكم الحب » اقدس ما يملك من قلب وعقل ووجدان . فاذا شعره انشودة
 ساحرة في مسامع الأيام والاجيال ، خالدة على مر الازمان والعصور .
 وكذلك كان الشابي في جميع ما كتب من شعر ونثر : شعلة تتقد فتسير
 مسالك الحياة وسبل المجد ، الى الثائرين في عنف ، الناقمين في قوة ، الطامحين الى
 القمم ، العاملين على بناء مجد فتى وأدب خالد ! .
 ذلك ما كان الشابي ، وذلك ما بعثه الادب المهجري في روحه من حيوية
 واشراق ، وصفاء وسحر ، غير ان ذلك كله لم يحل دون وجود عوامل اخرى ذات
 اثر واضح في ادب الشابي وتفكيره . وان اهم هذه العوامل - في نظري - ثلاثة :
 ١ - الادب الغربي المترجم .

٢ — اسلوب طه حسين وتفكيره .

٣ — الادب العربي القديم .

واكبر اثر لهذا العامل الاخير ، يعود للمعري وابن الفارض ، وابن الرومي والخيّام . اما الادب الغربي فقد قرأ جميع ما وقعت عليه عيناه من روائعه المترجمة ، لجهله باللغات الاجنبية . وكان يعجب بكبار الشعراء الغربيين ويكبر من شأنهم ، واشد اعجابه كان لجوته الالماني ولامرتين الفرنسي . وقد حمله هذا الاعجاب على شيء من الغلو العنيف في انكار « الخيال الشعري عند العرب » (١) وفي هذا الكتاب يتبين لنا - من ثنايا سطره وتساوق كلماته - اثر طه حسين في التفكير والاسلوب ، وان كان اثر الاسلوب اقل واضعف بكثير من اثر التفكير . كما يبدو فيه ايضاً اثر الادب العربي في تفكير الشابي وادبه . على ان ذلك كله لم يقف في طريق الشابي دون استكمال له شخصيته الادبية في التفكير والاسلوب . وليس بعيد ان يتأثر الاديب بغيره من الشعراء والكتاب . انما من المستحيل ان يوجد كاتب او شاعر ، دون ان يتأثر بغيره من القدامى او المعاصرين في طالع حياته الادبية - على الاقل - ولقد استكملت شخصية الشابي عناصر تكوينها قبل وفاته بسنوات لا تقل عن الخمس ، حتى لقد غدا في قصائده الاخيرة ومقالاته مدرسة قائمة بذاتها . ينتسب اليها كثيرون من ادباء الجيل الجديد ... وهذا احد المعجيين بأدب الشابي والمأخوذين بروعته وسحره يتحدث الينا عن اثر ذلك في نفسه فيقول : (... وها نحن نرى فرحة الحياة ما انبثقت في قلب قط انبثاقها في

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة العرب بتونس سنة ١٩٢٩ .

قلب ابي القاسم . ولا تفجرت من شعر تفجرها من اشعاره . وها هي الالفاظ في شعره وكأنها مفاتيح سحرية لعوالم من الانغام والفراديس نطوف فيها مع الشاعر مأخوذين بسحرها وفتنتها ، وانها لبرهان ساطع على ان الوقت قد حان للحكم على الشعراء ، لا بقدرتهم على تصيد المعاني وسبكها بل بقدرتهم على الانفعال النييل والتحليق في آفاق من المعاني لم تتكشف ، ومدى قدرة الالفاظ على رسمها وتنظيمها . وان اية محاولة لتحليل شعره ليست الا تشويهاً له ، فما تستطيع الالفاظ ولا الكلمات ان تنفذ الي سره الا اذا كانت كلمات ابو القاسم نفسه والفاظه . وهذه لو حللناها من عقودها الشعرية السحرية المنظومة فيها ، لا فقدناها ذلك السر الخفي الذي ينساب الى النفوس فيفعل فيها فعل الربيع بالزهر ... وغاية ما نستطيع قوله من هذا : انه نعمات من الخلد اثالت على مزمار هذا الشاعر في ساعة رضى من خالق الاكوان على ساكنيها .. (١) .

ومع ذلك فانك حين تقرأ شعر الشابي لا تعدم في تعبيره او تصويره وفي افكاره او آرائه خطوطاً واضحة تدل على منبعها الاصلي . غير انه يزيد بقوة في التعبير وبراعة في العرض والتصوير ، ومثانة في الاسلوب ، وسعة في اللغة ، وقوة في الخيال ، وجمال في التراكيب ، وروعة في التشايبه والاستعارات . وهي بلا شك ميزات جمة يستحق من اجلها الشابي ان يمجد ويخلد في صف شعرائنا الكبار القليلين . وذلك فضلاً عن مزايا ادبه الاصيله الاخرى . وليان ذلك ولايضاح

(١) الجزء الاول من شعراء الجيل للاستاذ محمد فهمي .

اثر الادب المهجري في ادب الشابي ، نذكر هنا قصيدتين ذات موضوع واحد ،
احدهما لجبران والاخرى للشابي . اما موضوع القصيدتين فهو « السعادة في حياة
الناس . وفي نظر كل من الشاعرين . يقول جبران عن السعادة في مواكبه :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يُرجى فان صار جسماً مله البشر

ويقول الشابي :

وما السعادة في الدنيا سوى حلم ناء تضحي له أيامها الامم

ألست ترى معي (ايها القارئ) : ان الصدر في البيتين واحد لفظاً ومعنى ،
سوى تغيير طفيف في اللفظ الاخير لم يغير من المعنى شيئاً ، ثم قارن العجز في
البيتين ايضاً فانك واجد - مثلما وجدت - من ان كلا الشاعرين صادق في تعبيره
وملهم فيه ، غير ان الشابي كان اعمق من جبران واصدى تصويراً منه للسعادة في
واقع الناس . على اننا حين نتبع ابيات القصيدة عند كل منهما ، نجد انهما
يفترقان ثم يجتمعان مرة اخرى : يفترقان حين يقول جبران :

كالنهر يركض نحو السهل مكتدحاً حتى اذا جاءه يبطي ويعتكر

لم يسعد الناس الا في تشوقهم الى المنيع فان صاروا به فترا

فان لقيت سعيداً وهو منصرف عن المنيع فقل : في خلقه العبر

ويقول الشابي ا

ترجو السعادة يا قلبي ولو وجدت في الكون لم يشتعل حزن ولا ألم

ولا استحالت حياة الناس اجمعها ولزلزلت هاته الاكوان والنظم

« فما السعادة في الدنيا سوى حلم ناء تضحي له ايامها الامم »

ناجت به الناس اوهام معرودة لما تغشتم الاحلام والظلم
 فهب كل يناديه وينشده كأنما الناس ما ناموا ولا حلموا
 خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً في كفها الغارام في كفها العدم
 وارقص على الورد والاشواك متتداً غنت لك الطيرام غنت لك الرجم
 واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضض والجحش شعورك فيها انها صمم
 فمن تألم لم ترجم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القمم

وبديهي ان هناك فروقاً كثيرة وعديدة بين آيات هذا وآيات ذلك . وليس
 مرجع ذلك الى كثرة آيات الشابي عن جبران ، كما قد يبدو لأول وهلة ، بل ان
 ذلك يتضح في ان كلا منهما يعرض الوان السعادة عرضاً يختلف عن الآخر .
 وقد سبق ان بينت اتفاقهما في معنى السعادة وصورتها في واقع الانسانية . ولكنهما
 هنا يختلفان ، فجبران يرى السعادة فكرة في اذهان البشرية وشبهاً ترجوه
 باشتياق دائم ، فان هي ادركته بعد طول عناء وجهد مر ، ملته ورغبت عنه جادة
 في سبيل غيره من الاشباح ، وهي في ذلك كالنهر يكده مسرعاً نحو غايته ، حتى
 اذا اشرف عليها توانى وتكاسل . وعنده ان الناس لا يستشعرون السعادة ولا
 يتحسسونها ، الا حين تشوقهم القمم وتغريهم المطامح ، فاذا نالوها او اشرفوا
 عليها ، اصابهم الملل وتملكهم الفتور .

والشابي على عكسه ، يرى ان الناس لا يستشعرون السعادة ولا يتحسسونها
 الا باستسلامهم لمشيئة الدنيا ، وامثالهم لقضائها واحكامها ، وتجنبهم الملل
 والتبرم منها . اذ ليس في الدنيا من تألم فرحهم ، او تجلد فرجهم . وهذه هي

سعادة الناس التي لا يدرك كنهها ويتذوق ثمارها ، الا رجل يريد ان يتسم له
الدنيا وتواتيه حظوظها ، فيما شياها كما تريد ويستسلم لما تحويه الليالي وتأتي
به الايام .

واذن ، فان جبران يرى السعادة في واقع الناس : شيئاً يسعون لنيه في شوق
ملح وتعب عسير ، حتى اذا نالوه او اشرفوا عليه ملوه وتحولوا عنه الى غيره . ويرى
الشابي ، ان السعادة في حياة الناس : شيء جميل طمحووا اليه فهبوا يجدون في
سبيله ، ولكنه ناء بعيد ، لا يدركونه بحال ، والسعيد من عاش كما شاءت الحياة .
وبعد ذلك يعود كل من الشاعرين فيلتقي بصاحبه ، وذلك حين يعرض
علينا كل منهما ألوان سعادته وصور الحياة السعيدة (عنده) . فيقول جبران :

ليس في الغاب رجاءٌ لا ولا فيه المللُ
كيف يرجو الغاب جزءاً وعلى الكل حصل
وبما السعي بغاب املاً وهو الأمل
انما العيش رجاءٌ احدى هاتيك العلل

أعطني الناي وغن فالغنا نار ونور
وأنين الناي شوق لا يدانيه الفتور

ويقول الشابي :

وان اردت قضاء العيش في دعة شعرية ، لا يغشي صفوها ندم

فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش او رسموا !
واجعل حياتك دو حاً مزهراً نضراً في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك احلاماً مغردة ان الحياة وما تدوي به حلم
وهكذا يتفقان مرة اخرى ، حين يعرض كل منهما صورة السعادة في نفسه
ورأيه فيها . فهما ، كما ترى ، لا يعرفان للسعادة وجهاً الا في حياة الغاب . فدونك
« اخي » والغاب ان كنت تريد ان ترى (السعادة) وتحضى بها فيما تبقى لك
من ايام . اما انا فحسي دون ذلك ، من هذه الحياة الصاخبة ، بما فيها من نظم
واعمال ، وكدح وأمل ، وأشواق واحلام .

هذا - ايها القارئ - مثال واحد سقته للتدليل على اثر الادب المهجري في
اسلوب الشابي وتفكيره . على ان الشابي يمتاز - كما قدمت - بدقة بالغة في تعبيره
وبراعة فائقة في تصويره ، الى غير ذلك من مقومات شخصيته الفنية العجيبة .
وليست تلك المزايا بالشيء القليل من شاعر قطفت يد الموت زهرة حياته الغضة ،
في سن السادسة والعشرين . وهي سن جد باكرة ، ان قدرنا على التحديد ، سن
الاستكمال الثقافي والنضج الذهني . ولكنها العبقرية تفعل ما تريد !...

تصوير وتعبير

اريد ان اعرض عليك الآن - ايها القارئ الكريم - شاعرية ابي القاسم ،
ممثلة في صدقه في التعبير ودقته في التصوير ، وما تفيض به صورته وتعايره من الوان
القوة والحوية . تلك القوة التي يغمرنا تيارها وتمتلك علينا مشاعرنا ، حين نستمع
لشعر القوة وانغام الحياة كالسيل من قصيدته « ارادة الحياة » :

اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر !!
ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر !!
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها ، وانثر !
كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر
فعبت بقلبي دماء الشباب وضجت بصدري رياح آخر



وقالت لي الارض لما تساءل ت يا أم! هل تكرهين البشر؟:
« ابارك في الناس اهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر !
والعن من لا يمشي الزمن ويقنع بالعيش ، عيش الحجر !
هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المنذر !

فلا الافق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر..!

○○○

..واعلن في الكون ان الطموح حبيب الحياة وروح الظفر..!

○○○

اذا طمحت للحياة النفوس فلا بد ان يستجيب القدر..!

إن هذه الأبيات المختارة من قصيدته «ارادة الحياة» لتعبر اوضح تعبير واصدقه على ما كان يجيش به فؤاد الشابي من حب للحياة وطموح الى الخلود، وايمان صادق قوي بان النصر حليف الطامحين، وغاية سامية يصل اليها المناضلون الذين غمرت قلوبهم الحياة، وامتلات بحبها، فمضوا ينشدون النصر عن طريق الايمان والطموح، والكفاح والنضال. وهؤلاء هم ابناء الحياة الصادقون، وويل لمن تعرض لآبناء الحياة، وسحقاً لمن كان عدواً لهم، باذراً للشر بينهم، خانقاً للحق ناشراً للجور. ألا انه لظالم جبار، وان يوم حسابه لعسير، وان مصيره لنار وعذاب ودماء ولهب، وذلك أقل جزاء للظالمين الطغاة الذين يسخرون بأنات الضعفاء، ويخضبون أكفهم بدماء الشعوب، ويدنسون سحر الوجود بارجاسهم، ويبذرون اشواك الاسى والعذاب في ارجاء العالم... هؤلاء هم طغاة العالم الذين سيجرهم سيل الدماء، يوم تريد الشعوب الحياة. فاستمع معي لهذا كله معزوفاً على قيثارة الشابي، في قصيدته «الى طغاة العالم»؛

ألا ايها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه

وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسي في رباه

رويدك لا يخدعنك الربيعُ وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الافق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجن الرياح!!

تأمل هنالك اني حصدت رؤوس الوري، وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل، سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل!!

ألا قلي بربك ، اي شعور فاضت به هذه النفس ، واي ايمان امتلأ به قلبها ؟ . انها لنفس تفيض بدافق الاحاسيس وزاخر المشاعر ، واذا تصادم الاحساس الثائر والشعور الملتهب ، على شاطيء العواطف ، فقد عزفت الحياة اروع الحانها واسمى اغانيها ، واسمعت البشرية انغام القلوب المتفجرة وترانيم المشاعر الملتهبة والعواطف الثائرة . وفي هذا كله سحر للعقول ، وقتنة للنفوس ، ومتعة للوجدان ، وامتلاك للاسماع والقلوب . وتلك حياة الفنان الموهوب : شعور زاخر واحساس فوار، وقلب فروح او حزين ونفس معذبة محطمة يمزق اوصالها الألم ، ويزيد عذابها لهيب المرارة . او سعيدة مرحة تملؤها المسرة وتغمرها الطمأنينة . تعيش مشوبة بمشاعرها ، وتحيا بقلبها وعواطفها :

عش بالشعور ، وللشعور .. فأنما دنيك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق وانها
واجعل شعورك في الطبيعة قائداً
صحب الحياة صغيرة ومشى بها
وعدا بها فوق الشواهد باسماً
والعقل رغم مشيه ووقاره
يمشي فتصرعه الرياح فيثني
ويظل يسأل نفسه متفلسفاً
عما تحجبه الكواكب خلفها
وهو المهشم بالعواصف يا له
هذه الايات ، نعمات من قصيدته : « فكرة الفنان » التي قالها بعد ان مر به
طور عفيف من الخيرة والشك والغموض . وفي هذه القصيدة يعبر عن اقصى
ما وصل اليه من هدوء وطمأنينة وسلام . فقد ظن بأن العقل ، بعد كل الذي بلغ
اليه في حاضر الناس اليوم ، من علم وفلسفة وادب وفكر ، وبعد كل الذي اقامه
من صروح الحقائق واجماد المعرفة ، لا يزال طفلاً صغيراً لا يفقه شيئاً من ناموس
الوجود واسرار الكائنات . لذلك فهو ينصحنا بان نجعل شعورنا في الطبيعة وما
تضمه الطبيعة من بدائع وفنون وما فيها من جمال وسحر ، وعليها من فتنة
وضياء ، وبهذا نستطيع ان تمتع بجمال الحياة ، وان نتعد عن هذا المتفلسف
المغرور ، الذي يقودنا نحو الشقاء وصوب الغناء .
غير اني احب ان انبه القارئ الى ان هذا الهدوء الواضح ، والطمأنينة العارمة

في نفسه ، لم يصل اليهما عن يقين وجداني ، او اقتناع فلسفي . بل هما ملل من البحث عن المجهول الغامض ، وكلل من سير عقلي متعب خلف سراب الحقائق الكونية . فهما مرحلة من مراحل حياته الفكرية ، وفترة يستجمع فيها الشاعر قواه ، ويستجم خلالها من عناء الطريق ، وليستا غاية انتهى اليها البحث ، وآمن بها القلب ، وصدق الوجدان . وليس ادل على ذلك من اننا نراه يعود مرة اخرى - بعد هذا الاستجمام الذي بدا لنا وكأنه استسلام بلا قيد ولا شرط - نراه يعود الى طور فلسفي غامض عميق . يمتاز عن سابقه بمرارة نفسية حادة ، وبأس عنيف هائل ، وملال من الحياة قاتل ، ورغبة ملحة عاتية ، وضرب من المغامرة شديد . رغبة في وضع حد لهذه الحياة الغامضة الاسرار ، ومغامرة بالحياة في سبيل المعرفة الحقة ، واستكشاف ما خفي من حقائق الكون المجهولة .

اخذ الشابي في هذا الطور ، يحاول ان يدرك كنه الحياة ، وحقيقة الوجود واسرار الكائنات . من اين تأتي الحياة والى اين تمضي ...؟ وما غاية الانسان ، بل من اين يأتي والى اين هو يذهب ...؟ واي عالم هذا الذي يسمونه عالم الموت ...؟ ولم يعيش الانسان بعد ان يولد وهو ينتظره الفناء ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما الذي خلف الحياة ؟ ما الذي وراء الموت ؟ هكذا اخذ الشابي يعالج الفلسفة في شعره . وهكذا بدأ يبحث في أعماق موضوعاتها ، دون ان يخيفه ما حول هذه الموضوعات من ظلام حالك وقفار شاسعة رهيبية ، وما في هذين من اشباح مرعبة ووحشة مخيفة . لم يرهبه ذلك كله ، لانه يريد ان يدرك كنه هذه الاسرار الغريبة التي ينطوي عليها عالم ما وراء الموت . فماذا عليه ان يعمل كي

يستهدي .. ويستيقن . ويطمئن الى حق واضح ومنطق سليم ، وواقع حي ، يهدأ به القلب ، وتسكن اليه النفس ، ويخضع له العقل ، ويرضى عليه الوجدان ...؟ لا شيء .. سوى ان يرفرف بأجنحة خياله الزاخر ، الى عالم الموت الغامض ، وفضائه المجهول ، وهناك في «... وادي الموت» العميق الارجاء الفسيح المدى ، حيث تهب رياح غريبة منظورة ، وتمر مواكب الاجيال ، ومحافل السنين ، جلس شاعرنا في ظل واد امين يستعرض هذه الاجيال والمحافل ، محاولاً ان ينفذ بتأملاته الى ما في اعماقها من اكناه ، ومكنوناتها من اسرار ..! غير انه لم يجد تلك الاسرار ، ولم يظفر بشيء مما يريد ، فغمره الشك الصاخب ، وطفق يسأل :

نحن نمشي وحولنا هاته الاك
نحن نشدو مع العصافير للشم
نحن نتلو رواية الكون للمو
هكذا قلت للرياح فقالت :

وان تمشي ، لكن لأية غاية...؟
س وهذا الريح ينفخ نايه...!
ت ولكن ، ماذا ختام الرواية...؟
سل ضمير الوجود: كيف البدايه...!!



وتغشى الضباب نفسي فصاحت
قلت سيرى مع الحياة فقالت ،
قتهافت كالهشيم على الار
هاته علي اخط ضريحي

في ملال مر : الى اين امشي ؟
ما جئنا ترى من السير امس ..؟
ض وناديت : اين يا قلب رفشي ؟
في سكون الدجي وادفن نفسي ..!



ثم ماذا؟ هذا انا صرت في الد نيا بعيداً عن لهوها وغناها
في ظلام الفناء ادفن أيا مي، ولا استطيع حتى بكها!!
وزهور الحياة تهوي بصمت محزن، مضجر، على قدما
جف سحر الحياة يا قلبي البسا كي، فيها نجرب الموت هيا !!

يقول الشاعر: إن سحر الحياة قد جف، وانه لذلك يريد ان يجرب الموت،
فهل كان صادقاً فيما عبر عنه وصوره من امانيه ومشاعره، ومن الوان حياته
وعواطفه...؟ ان نظرة قصيرة في حياته. ثم اخرى في شعره، ترينا انه كان اصدق
شاعر عرفته الآداب العربية المعاصرة. وحسبنا ان نعلم، ان الشاعر قد وضع
لنفسه خطة ومنهاجاً يسير عليهما ولا يعدو حدودهما، وذلك في بدء حياته الادبية،
اي قبل ان يبلغ الثامنة عشرة من عمره. وقد ظل ثابتاً على ما رسمه لنفسه من
مبادئ في عالم الشعر، ومن مثل في عالم الحياة، حق عائق صباحه الجديد
واحتضنته الابدية.

وهذه ايات قليلة توضح لنا ذلك، من قصيدته « شعري » التي نظمها وهو
بعد دون العشرين بستين او ثلاث:

شعري نفاثة قلبي ان جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عني غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتابي ولا وجدت سروري
به تراني حزينا ابكي بدمع غزير

○○○

لا انظم الشعر ارجو به رضاء الامير
بمدحة او رثاء تهدي لرب السرير
حسي اذا قلت شعراً ان يرتضيه ضميري

وكذلك ظل الشابي ثابتاً على قداسة الشعر ، والارتفاع به عن الاغراض الصغيرة والشؤون العابرة ، وكل لون من الوان الحياة الباهتة او التافهة . وحتى الرثاء الذي هو لون من الوان التعبير عن عواطف النفس الانسانية ، في حال حزنها وأسائها ، قد امتنع الشابي عن قرص الشعرية . ولعل مما يدعو الى العجب ، ان الشاعر حين نكب بوفاة والده ، وكان لديه اعز شيء في الوجود لم يستطع ان يرثيه بشيء مما اصطلاح عليه في عالم الأدب بشعر الرثاء . وكثيراً ما كان يحدث اصدقاءه بان لا شيء يحز في نفسه ، اكثر من انه شاعر لا يستطيع ان يرثي اعز مخلوق عنده . وكل ما فاضت به قريحته هو هذه الايات « الايمان بالحياة » :

ما كنت احسب بعد موتك يا ابي ومشاعري عمياء بالاحزان
اني سأظماً للحياة واحتسي من كأسها المتوهج الشوان
وأعود للدنيا بقلب خافق للحب والافراح والالخان
ولكل ما في الكون من صور المنى وغرائب الاهواء والاشجان
حتى تحركت السنون واقبلت فتن الحياة بسحرها الفنان
فاذا انا طفل الحياة المنتشي شوقاً الى الاضواء والالوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها ضرب من البهتان والهذيان
ان ابن آدم في قرارة نفسه عبد الحياة الصادق الايمان

انها لصورة انسانية رائعة ، قل ان تجد لها مثيلاً في شعرنا المعاصر والقديم
 على السواء . ولم يعبر الشاعر عن هذه الصورة الرائعة ، الا حين خفت احزانه
 وزالت آلامه ، وعاد يعانق افراح الحياة . ولكنه حدثنا عن نفسه وعن عبودية
 الانسان للحياة اكثر من حديثه عن والده الفقيده العزيز . بل انه لم يذكر والده
 الا ليحدثنا عن نفسه وعن إيمانه بالحياة واقباله عليها ، بعد ان عميت مشاعره
 بالاحزان . وهذا كل ما ترك لنا الشابي ، من تعبير عن هذه الذكرى الاليمة التي
 بقيت حية بأحزانها واطراحها في نفسه ، تثير في قلبه اللوعة الدامية ، وفي وجدانه
 صوراً شتى من الافكار والاشباح . ورغم اقباله على الحياة ، بافراحها والوانها
 وبالحنانها ومتعتها ، اقبال الظامىء المحروم ، فهو لا يزال يذكر مشاعره العمياء
 بالاحزان ، وعواطفه المفعمة بالمرارة والاسى لفقده والده . وما ذلك الا صدق
 الشعري في نفس الشاعر ، حين لم يستطع ان يتعد عن الحياة ، وان يعبر عن
 واقع لم يحيه . او يتمثله في وجدانه كوناً يزخر بالصور والالوان . فيبدع تصويره ،
 ويبدع التعبير عنه . وتلك مهمة الشاعر الشاقه وعمله الموهوب . والشعر عند ابي
 القاسم تصوير وتعبير ، تصوير صادق وتعبير صحيح . اما الشاعر فقوة خلاقه
 مبدعة ، تصور الكون والحياة ، وتعبر عنهما في قوة عجيبة وابداع ساحر . فشعر
 الشاعر (قطعة من فؤاده ، وشعلة من روحه) يصور العاطفة ابداع تصوير ، ويعبر
 عن اعماق النفس في صفاء واشراق . مسرحه الحياة ، ومعينه الجمال ، وحيويته
 صدق الشعور ، اما مطمحها فالبقاء والخلود ،

انت يا شعر صفحة من حياتي انت يا شعر قطعة من وجودي

فيك ما في جوانحي من حنين ابدى الى صميم الوجود
وقد يعجب القارىء حين يطالع شعر الشابي ، ويعلم بتفاصيل حياته - التي
لم اعرض منها هنا الا صورة جامعة توضح له حياة شاعرنا العجيبة ، وتربط بينها
وبين شعره - قد يعجب لهذه القوة الزاخرة في شعره ، ولهذه الحيوية المتدفقة في
كل بيت من ابياته ، ولهذا الدم المتفجر ، والشعور الملهب ، والعاطفة الفياضة
بضروب الابداع والجمال . وان اية واحدة من هذه جميعاً لكافية لأن تجعل من
الشاعر نبياً لقومه ، وقبلة لجيله وللجيال التالية ، بل نبياً للانسانية جمعاء ، وقبلة
لأبنائها جميعاً . فالشاعر الذي يذوب قلبه انعاماً ، ويحرق وجدانه شعلاً ،
ويستحيل كيانه الى نبع من القوة والسحر ، والفن والالهام ، لشاعر خليق بكل
اجلال ، حري بكل تقديس وتمجيد ، جدير بكل سمو وارتفاع . وليس بشاعر
من لم يرتفع الى قبة السماء ، ويتحول الكون في شفثيه انعاماً ، ويستحيل هو الى
قيثارة مترنمة اوتارها بما (يوسع افق الحياة في نفسك ، ويجعلها تحس بتيارات
الوجود اكثر مما كانت تحس ، وتدرك من معانيه واصواته اكثر مما ألفت ان
تدرك ، وينسيك وجودك الانساني لحظة لتستغرق في عالم الجمال
المطلق) (١) .

والشابي كان هذا الشاعر ، في كل بيت من شعره ، وكل نغمة من نغماته .
وانك لتقرأ شعره ، فتشعر ان في كل بيت قطعة من قلبه ، وقطرة من دمه .
ومزيجاً من العبقرية والالهام ، والصفاء والاشراق . والى ذلك كله تحس ان هذا

(١) من مقال للشابي عن الشعر . وقد اثبتته برمته في قسم المختارات .

الشاعر لا يتصنع في شعره ولا يتكلف فيه ، بل هو صور وانغام تفيض على وجدانه ، وتنساب في تيارات مشاعره ، فيرسلها قلبه - وقد سقاها دمه ونفث فيها من حياته - شعراً يهز النفوس ، ويحدث في القلوب والعقول جميعاً انفعالات قوية ساحرة ، تنطلق بنا الى عالم مفعم بالرؤى والجمال . وذلك صدق الشعور في تصوير الشاعر وتعبيره . وذلك سر خلود الشابي وشعره . وسر انتشاره وامتلاكه للنفوس ، رغم ان احداً من الناس لم يعن بجمع هذا الشعر ونشره ، ولا قام بالدعاية لصاحبه .



زواج وحب

تزوج الشابي قبل ان ينهي دراسته العالية ، وترك بعد موته طفلين ، هما اليوم من خيرة الشباب التونسي ، يواصلان دراستهما الثانوية في معاهد العاصمة الخضراء .

وعندي ، ان الشابي لم يكن موقفاً في حياته الزوجية . واغلب الظن انه تزوج ارضاء لوالديه او لاحدهما فقط . ومن المؤكد ان الشابي لم يجد في زوجته ، تلك الصورة الشعرية الرائعة التي كان يرسمها للمرأة في اشعاره ويتغنى بها في قصائده . لذلك لم يلبث ان وقع في شرك حب عنيف ، قاده الى معابد الغرام ومحاريب الهوى ، حيث رتل (صلواته في هيكله) واحرق قلبه وعواطفه بخوراً عند اقدم الحبيب .

على ان بعض اصدقاء الفقيه ينكر هذا الحب ، ويحاول تعليل ما قاله الشابي فيه من شعر ونثر ، بانه تمجيد لجنس المرأة وجمالها وفتنتها ، لا افتتان وحب لامرأة بالذات . وفي هذا المعنى يقول صديقه الشاعر محمد الحليوي ما نصه :
« ... وغاية ما يمكننا ان نعرف ، هو ان الشاعر يتغنى بالمرأة ، لا بامرأة ، ويذكر الحب ، لا حباً يميزه من انواع الحب الكثيرة ووقائعه الخاصة ... » - وهنا

يستشهد الاستاذ الحليوي بالقطعة التالية من كلام الشابي :

« كنا نسير نحو الغاب ، وكانت غمامت الحقول تحدثنا عن الحب والحياة ،
وكانت تقنع السماء بسحابة رقيقة ساجية ، كأنها قناع حورية من بنات الاحلام ،
وكان الغاب يبدو في ضياء القمر كرؤيا نبي او خيال شاعر . وكان الحب يتهادى
امامنا ثملاً بين المروج الناعسة في سكون الليل ، وعلى منكبيه درع قصير كضباب
الصباح ، جميل كغيوم الربيع . ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني انشودة
القمر ، وسمعنا قيثاره الحب تترنم في جواره ، وسمعنا صوتك العذب الجميل ،
يتغنى بوحى الجمال ، يا ابنة الليل ويا ربة الاحلام . » (١)

ثم يواصل الاستاذ الحليوي حديثه فيقول :

« فليس اذن في حب الشابي تلك الحوادث والوقائع التي تتدرج بالحب ،
وتجعل له اولاً و آخراً ، ومعالم وكلمات تقال بين المحبين ، وآلاماً تعقب الصد ،
وفرحات تجيء مع الوصال . فكأنه كان يصف فكرة لا امرأة ، ويصور مثلاً
اعلى لا شخصاً من لحم ودم ، له ما يميزه عن الاشخاص الآخرين الذين يتغزل
بهم شعراء الحب . وربما كانت حرارة شعره الغزلي ولهفته الصادقة متأتية من
حرمانه من الاتصال بالمرأة التي (توحي الى الشاعر وتوجه عاطفته الوجهة
الفنية) (٢) .

(١) اخذ الاستاذ الحليوي هذه القطعة من « صفحات دامية » وهو فصل من كتاب للشابي ،

وعد اثبت الفصل برمته في قسم المختارات .

(٢) عن مجلة العالم الادبي التونسية ص ٤ ، ع ٢ ، ص ١٦ - ١٧ .

غير اننا نلاحظ ايضاً ، ان الفقرات التي اثبتها الاستاذ الحليوي ، هي من فصل نشر في مجلة العالم الادبي ، وهذا الفصل أخذ من كتاب لا يزال مغموراً حتى الآن . ولو ظهر هذا الكتاب لكشف لنا الكثير من الحقائق التي قد لا نسلم بها اليوم . على اني اعجب كيف فهم الاستاذ الحليوي من هذه الفقرات ان الشابي كان يتغنى بالمرأة « كجنس ، او كمثل اعلى » لا بامرأة بعينها ؟ ! ولو ان حضرته واصل قراءة الفصل برمته وانعم فيه الفكر والتأمل لغير رأيه تماماً . ذلك ان نهاية الفصل لا تترك مجالاً للشك ، في ان الشابي كان يتغنى بامرأة معينة ، الهبه جها وعذبه هواه بها .

ورغم اننا لم نعرف بعد - وقد لا نعرف ابداً - حقيقة هذه المرأة التي أحبها ، الا انني اجزم بان الشابي احب فتاة معينة ، وانه شغف بهذا الحب الى درجة العبادة والتقديس . ولا يستطيع احد قرأ القصائد : « الساحرة » و « صلوات في هيكل الحب » و « اراك » و « تحت الغصون » و « الايمان بالحياة » و « جدول الحب » . ان يقول انه كان يتغنى بالمرأة « كجنس او كمثل اعلى » فنحن حين نستمع الى الشاعر وهو يردد :

اراك فتخلو لدي الحياة ويملاً نفسي صباح الامل
وتنمو بصدري ورود عذاب وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتني فيك فيض الحياة وذاك الشباب الوديع الثمل
ويفتني سحر تلك الشفاه ترفرف من حولهن القبل !!

فاعبد فيك جمال السماء ورقة ورد الربيع الخضل !
وطهر الثلوج وسحر المروج موشحة بشعاع الطفل ؟
او حين يقول :

عذبة انت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد !!
كالسما الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد !
انت ما انت؟ انت رسم جميل عبقرى من فن هذا الوجود !
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود !
انت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتز رائعات الورد !
وتهب الحياة سكرى من العطر ويدوي الوجود بالتغريد
كلما ابصرتك عيناى تمشين بخطو موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورف الزهر في حقل عمري المجرود
واتشتت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد !

حين نستمع الى ذلك كله ، لا يمكننا ان نشك لحظة في ان هذا الشعر انما
قيل في امرأة معينة ، وان كنا نجهل حقيقة هذه المرأة .

ومن المؤسف والمؤلم معاً ، ان هذه الفتاة او المرأة التي شغف بها الشاعر ، قد
ماتت قبل وفاته بست سنوات تقريباً ، فحدث موتها في حياة الشابي وفي ادبه
انقلاباً بعيد الاثر متعدد الجوانب والصور . ويمكننا ان ندرك هذا من مصادر
مختلفة ، منها قصيدته « جدول الحب ، بين الامس واليوم » التي يقول فيها :

بالامس قد كانت حياتي كالسماة الباسمة
واليوم قد امست كاعماق الكهوف الواجمة



(هو جدول قد فجرت ينبوعه في مهجتي
اجفان فاتنة ، ارتنيها الحياة ، لشقوتي)

اجفان فاتنة ، تراءت لي على فجر الشباب
كعروسة من غايات الشعر ، في شفق السحاب

ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات ، يمسن ما بين النجوم

(ثم اختفت ، اواه ! طائرة باجنحة المنون
نحو السماء ، وها انا في الارض تمثال الشجون)



قد كان ذلك كله بالامس ! بالامس البعيد . .
والامس قد جرفته مقهوراً ، يد الموت العتيد

قد كان ذلك ، تحت ظل الامس ، والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر ، من قبل الافول



واليوم إذ زالت ظلال الامس عن زهري البديع

وتجلبب الزهر الجميل بظلمة الليل المريع

ذبلت مراشفه ، فاصبح ذاوياً ، نضو الكلوم

وهوى لأن الليل اسمعه اناشيد الوجوم

ومنها الفصل السابق نفسه « صفحات دامية » . ففي هذا الفصل نرى

الشابي يبكي حياة هذه الفتاة ، وحياته الماضية معها ، ويستعرض صوراً وألواناً

مشرقة راقصة ، من حبهما السعيد الفقيد ، ثم يندب في نهايته ذلك الامس السعيد

الذي كان يضمهما معاً تحت جناحيه ، كبنرتين متعانقتين في اعماق الثرى :

« تلك كانت حياتي بالأمس ، حينما كانت نفسي بخوراً يتضوع في معبد

الحب ، ورحيقاً يهرق تحت اقدام الجمال ، وانشودة آلهية تتغنى في هيكل هذا

الوجود ...

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما

تمايل غلائل الحور في ضياء القمر ، واصطفقت في صدري احلام الشباب

الاولى ، كما تصطفق امواج البحيرة الموردة باشعة الشفق الجميل .

تلك كانت حياتي بالأمس ، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق

الحياة ، ويتوهج بنار الخلود ، ويزخر بشقى العواطف والاحلام ... وحينما كانت

نفسي ترقع في محارب الغاب الجميل ، مرتلة صلاة الحب واغاني الفصول .

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما طفح بقلبي خمر الحياة وترنمت في نفسي

اغاني الوجود ، وراقصت احلامي عرائس الغابات .

تلك كانت حياتي بالامس ، وما شيده الامس في ضباب الفجر المرصع
بالنجوم ، قد هدمته الاهوال في احشاء الكهوف العابسة . وافنت بقاياها غيلان
الظلام ...

تلك كانت حياتي بالامس ، اما اليوم ، فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك
الزهرة السماوية الطاهرة ، التي كانت تحب لي البقاء في هذا العالم ، وبقيت
وحدي بين الصخور ، أشب بالموت وانغزل باهواء القبور .

واحسب ان هذا لا يترك مجالاً للشك في ان الشابي كان يحب امرأة من
لحم ودم ، لا مثلاً شعرياً في عالم الخيال . وانه شغف الى حد العبادة بمخلوق
ناعم فاتن كفينوس ربة الجمال ... وان هذه المرأة كانت حقيقة واقعة
في حياة الشابي ، وانها كانت بارعة الحسن ذات فتنة هوجاء ... واكثر من ذلك ،
انا ازعم انها كانت تحبه حباً قوياً ، وتبادلته الغرام في خلوات شعرية رائعة ...
ونحن نجد لهذه الخلوات الغرامية صداها القوي في شعر الشابي ووصفاً معطراً
يلتهب بحرارة الحب ونار الهوى ...

اقرأ معي « تحت العصون » ثم ردد « الساحرة » تر في هاتين القصيدتين
وحدهما تصويراً مشبوحاً لهذه الخلوات الغرامية . ووصفاً مقعماً بالصدق والحرارة
لللقاءات الشاعر مع حبيبته وتناجيهما العذب الحنون .

والواقع ان قصة حب الشابي لم تعرف فصولها بعد ، بل ان العنوان نفسه
لا يزال مجهولاً . واحسب اننا لن نستطيع كشف هذه الفصول وجمعها بما يتفق
والحقيقة التاريخية ، وبما جرى فعلاً في حياة الشاعر ، الا بعد الاطلاع على كافة

تراث الفقيه الادبي ، ومعرفة جوانب معينة من حياة الشابي الخاصة. وكلا هذين يحتاج الى وقت طويل وجهد كبير . والى ان يتم كل ذلك سأظل مقتنعاً كل الاقتناع بأن الشابي احب في حياته حباً حقيقياً صادقاً ، وبانه اغرم بفتاة معينة غراماً عنيفاً مشبوباً ، وبان تلك القصائد الغزلية الحسان المملوءة بالحرارة والوجد ، ان هي الا صدق صادق لذلك الحب ، وتصوير رقيق لاحتراق الشاعر به وتمجيده له ، وعكوفه عليه .



مؤلفات الشابي

كثيراً ما كتب الكتاب وتحدث الادباء وحاضر الخطباء عن ابي القاسم الشابي ، ولكنه ظل مع ذلك يكتنفه الغموض ويحيطه الابهام ، ولم يعرف الناس - والادباء منهم خاصة - حتى الآن الا الجزء القليل من حياته وادبه ، وبقي ما سوى ذلك - وهو الكثير الأهم - مغموراً عند اقارب الشابي واصدقائه حتى اليوم .

ولسنا نعرف شاعراً معاصراً نكب بما نكب به الشابي ، في حياته وبعد موته ، دون ان تتحرك يد واحدة لخدمة هذا الشاعر العبقري الفذ ، هذا الذي خلف لنا تراثاً ادبياً ضخماً ، ومدرسة نائرة في الشعر العربي الحديث . وذلك رغم ان عمره الزاخر بالانتاج والابداع ، لم يتجاوز عمر زهرة في مطلع الربيع . اذ مات وعمره ربع قرن من الزمن ، هاته المدة اليسيرة التي لا تتيح للانسان ان يستكمل خلالها شروط الثقافة والتعلم المنتج ، فضلاً عن الابداع والابتكار اللذين يتسم بهما كل ما صاغته قريحة فقيدنا ، او عبرت عنه شاعريته النابغة .

ولقد حاولت في عدة فصول سابقة الكشف عن جوانب كثيرة من حياة

هذا الشاعر المنكوب . وسأحاول في هذا الفصل الكشف عن آثاره الأدبية المختلفة التي بقيت لنا بعد وفاته ، والتي نعرف عنها او منها شيئاً قليلاً او كثيراً ، حسب ظروفها منفردة ومجمعة .

(١) الخيال الشعري

لعل القارئ لا يزال يذكر اني اشرت في فصل « حياة الشاعر » الى ان الشابي كان عضواً فعالاً في « النادي الادبي » الذي اسسه هو وجماعة من الادباء التونسيين تحت اشراف جمعية « قدماء الصادقية » . وباسم هذا النادي القى شاعرنا في قاعة « الخلدونية » محاضراته القيمة عن الخيال في الشعر العربي . ثم نشرها بعد ذلك في كتاب مستقل عنوانه : « الخيال الشعري عند العرب » . وقد أثارت آراؤه الجريئة في هذا الكتاب زوبعة من النقد والخصومة الأدبية في الصحف والمجلات التونسية وعلى صفحات مجلة « ابولو » المصرية . ولكن الشابي استطاع ان يخمد هذه الزوبعة في الصحف والمجلات ، وان لم يستطع اخمادها في نفوس بعض الناس .

والكتاب مفقود اليوم في المكتبات ، ولم يتول احد اعادته طبعه ، مع انه الاثر الوحيد من بين آثار الشابي الذي طبع واتيح للناس ان يقرأوه . ولعل الجيل الحاضر لم يعرف من الكتاب الا اسمه ، وقليل هم اولئك الذين قرأوه ... وحين يقع بين يديك هذا الكتاب فستجد انه من الحجم الصغير ، وانه ذو ١٤١ صفحة $13\frac{1}{2} \times 18\frac{3}{4}$ وقد تولت نشره سنة ١٩٢٩ « دار العرب » للطبع

والنشر في تونس لصاحبها الاستاذ زين العابدين السنوسي وهو الذي كتب
للكتاب مقدمته .

والكتاب من حيث تبويبه يحتوي على كلمة للمؤلف ومقدمة للنشر وسبعة
فصول هي : (١) الخيال واقسامه (٢) الخيال الشعري والاساطير العربية (٣) الخيال
الشعري والطبيعة (٤) الخيال الشعري والمرأة (٥) الخيال الشعري والقصة
(٦) فكرة عامة عن الادب العربي (٧) الروح العربية، واما من حيث موضوعه فهو
دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الاوروبيين .

(٢) اغاني الحياة

اعتزم الشابي نشر شعره منذ سنة ١٩٢٩ . فعندما نشر كتابه « الخيال الشعري
عند العرب » اعلن في صفحة غلافه الاخيرة ، عن قرب صدور ديوانه « اغاني
الحياة » . والذي يبدو ان الشاعر لم يتيسر له نشر ديوانه لأسباب قد تكون مادية
بحته وقد لا تكون . على اننا نجد بعد ذلك بربع سنوات اعلانات متتالية عن قرب
صدور الديوان ، في مجلة « ابولو » المصرية ومجلة « العالم الادبي » التونسية . وقد
فتح باب الاشتراك في الديوان امام القراء ، مما يدل على ان حالة الشاعر المادية
كانت لا تكفي وحدها لطبع الديوان ،

والذي سمعته من بعض الناس في تونس - وقد يكون غير صحيح - أن احد
اقارب الشابي قد استولى - بعد وفاة الشاعر - على الديوان وعلى ما تجمع من
المشركين بوصفه الوصي الشرعي على اطفال الفقيد وامواله وتراثه الأدبي .

ويقال أيضاً ، إن عروضاً كثيرة لنشر الديوان قد عرضت على هذا (الوصي الأمين) من قبل ناشري الكتب في تونس ، فرفضها اعتباطاً او لأسباب خفية غامضة . وبذلك انبعث في نفوس الابداء الجزع والقلق على مصير الديوان ، وهو اضخم تراث خلفه الشابي . وقد انتقل الديوان اليوم من يد الوصي الى شقيق الشاعر الاستاذ محمد الامين الشابي ، الذي عاد اخيراً من فرنسا يحمل شهادة التبريز (AGRE CATION) في الأدب العربي . وقد قيل إنه يعتزم طبعه كاملاً على النهج الذي وضعه صاحب الديوان .

وانا هنا باسم جميع الابداء العرب أهيب بشقيق الشاعر الاستاذ المبرز في الادب العربي ، ان ينشر تراث اخيه على الناس . وان يبادر قبل كل شيء بنشر الديوان ، فهو عنوان عبقرية الشابي ومرآة نبوغه ، وهو المجال الكبير الذي اظهر فيه ابداعه وتجديده ، وعصر فيه روحه الكئيبة وقلبه الجريح .

(٣) المقبرة

رواية توجد بين مخلفات الفقيه عند شقيقه ، وقد تحدث عنها الاستاذ زين العابدين السنوسي في كتابه « الادب التونسي في القرن الرابع عشر الهجري » عند ترجمته حياة الشابي فقال :

والشابي (كثير المطالعة ، حاد الذهن ، وله باع طويل في النثر الشعري . قرأنا له فيه رواية حسنة بديعة ، ناهيك انها من نوع « الاعترافات » يقص فيها على لسان بطلها حوادثه وتأثراته النفسية . وهو نوع عزيز حتى عند الامم المختمرة في

نفسها الروح الروائية ، لما يستوجه من تقمص اشخاص الرواية في قلم الكاتب الذي يضطر الى وصف انفعالاتهم واضطرابهم النفسي الشاذ ، خصوصاً وعلم النفس لم يصبح بعد عالماً معلوماً مضبوطاً ! (١) .

(٤) صفحات دامية

« من حياة شاعر »

أشرت إلى هذا الكتاب عند حديثي عن زواج الشابي ووجهه ، وهو (قصة خيالية لحياته الثائرة) ولا اعلم اين انتهى اليه مصيره ولا عند من يكون اليوم .

(٥) رسائل الشابي

مجموعة كبيرة من الرسائل الادبية القيمة ، تبادلها الشاعر مع كثير من ادباء مصر وتونس وسورية ، منها رسائله حول القصة في الادب العربي ، وقد راسل بها الشاعر الدكتور علي الناصر بحلب . ورسائل اخرى كاتب بها كلاً من الدكتورين الشاعرين ابراهيم ناجي واحمد زكي أبو شادي صاحب مجلة « ابولو » المصرية . واخرى كاتب بها كلاً من الشعراء محمد الحليوي ، ومصطفى خريّف ، والمرحوم محمد البشروش بتونس . وقد اطلعت على نماذج من هذه الرسائل كما نشر بعض منها في المجلات التونسية وهي حريّة بان تجمع في كتاب خاص تحت اسم « رسائل الشابي » لما تحويه صفحاتها من آراء قيمة في الادب العربي وفنونه

(١) الكتاب المذكور ص ٢٠٧ مطبعة العرب . تونس ١٩٢٧ .

المختلفة ، ومن مشاعر رقيقة عذبة ، وتصوير دقيق لآلام الشابي وألوان حياته
الكثيرة المتباينة .

(٦) يوميات الشابي

وهي مجموعة من المذكرات اليومية التي سجل فيها الشاعر آراءه وخواطره في
شؤون حياته المختلفة ، وفي كل ما كان يتصل بهذه الحياة من آلام وافراح . وهي
موجودة اليوم عند صديقه الاستاذ ابراهيم بورقة المحامي بمدينة صفاقس ،
وقد نشر بعضها في مجلة « مكارم الاخلاق » الصفاقسية ، بداية من عددها
الثاني لستها الاولى . فعسى ان تحرك همته لنشرها بين الناس كاملة في
كتاب مستقل .

(٧) جميل بثينة

قصة جميلة رائعة كتبها بأسلوبه الشعري البديع . وكان ينوي القاءها
كمحاضرة في « النادي الادبي » ، غير ان المرض حال بينه وبين ما يريد . وهي موجودة
اليوم بين مخططاته عند شقيقه الاستاذ الامين الشابي .

(٨) شعراء المغرب الاقصى

وفي سنة ١٩٢٩ ظهر في مراكش كتاب « الادب العربي في المغرب الاقصى »
وقد تناول فيه مؤلفه الاستاذ محمد بن العباسي القباج ، طائفة من شعراء مراكش

المعاصرين بالترجمة والتعريف . وكان الجزء الثاني منه خاصاً بالشعراء الشبان ، وقد تناول الشابي الجزء الاخير بالنقد والتحليل ، وأعد من ذلك دراسة مستفيضة لتلقى كمحاضرة في « النادي الادبي » . غير ان احداً لم يحضر لسماعها من اعضاء النادي سوى اثنين ذهبوا معه !! وقد سجل الشابي هذا الحادث في يومياته دون ان يعلق عليه بشيء . جاء في يومياته بتاريخ ١٣ / ١ / ١٩٣٠ قوله :

(ذهبت انا والاخ زين العابدين والاخ مصطفى خريف مساء اليوم الى النادي الادبي لالقاء محاضرتي عن كتاب « الأدب العربي في المغرب الاقصى » الذي طلب مني النادي الادبي ان ابسط لهم رأبي فيه ، ولكننا لم نجد احداً هناك ! فتأمل معي ايها القارئ كيف كان يقابل الشابي بالجحود والاهمال . وأغلب الظن ان لآرائه الجريئة التي اعلنها في كتابه « الخيال الشعري عند العرب » أثراً في ذلك . فقد ذكر اكثر من واحد من اصدقاء الفقيد ومعاصريه الادباء ان اقبال جمهور المتأدبين على استماع الشابي عند القائه لمحاضراته عن « الخيال الشعري عند العرب » كان متناهيأ في العدد والاهتمام . وقد تكون ثمة اسباب اخرى لا نعلمها . وأياً كانت الاسباب ، فان مثل هذه الحال لما يحز في النفس البشرية ، ويعتصر قلب الشاعر المرهف الحساس .

(٩) السكر

(مسرحية ذات فصلين من نوع الاعتراف ، وهي أصعب انواع التأليف كما هو المعروف عند ادباء المسرح . واعرف هذه المسرحية عند ابي القاسم ، وكان

رحمه الله كثير الاعجاب بها. قرأها مراراً. ولعلها تكون باقية في آثاره... (١).

(١٠) الهجرة المحمدية

وهذه محاضرة القاها الشاعر في «نادي الطلاب» بـ «توزر» بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية في سنة ١٣٥١ هـ. وقد نشرها تباعاً في مجلة «العالم» التونسية لصاحبها الشاعر المرحوم سعيد ابي بكر، بداية من عددها الثاني لسنة ١٩٣٠.

(١١) مقالات مختلفة

وللشابي، فضلاً عن ذلك كله، مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات المختلفة. تناول فيها شؤون الادب العربي قديمه وحديثه على السواء. وقد نشر بعضاً منها في حياته ولا يزال بعضها الآخر مغموراً في احضان الاهمال والتقصير. والمقالات التي نشرها كثيرة في عددها، رائعة في اسلوبها، دقيقة في بحثها وموضوعها. وقد اثبتت في قسم المختارات نماذج متنوعة منها، ارجو ان يجد فيها القارئ، بعض ما يعينه على فهم شخصية الشابي وتحديد اتجاهاته الادبية. وبالإضافة الى ذلك اذكر بصورة خاصة المباحث والمقالات التالية:

(١) دراسة مستفيضة عن التيارات المعاصرة في الأدب العربي، وعن الصراع القائم بين المحافظين والمجددين. وقد كتبها كمقدمة لديوان الينبوع للشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادي.

(١) من تعقيب للاستاذ محمد بو رقمة، منشور في مجلة الثريا التونسية سنة ٧ عدد ٤١ ص ٤ نيسان ١٩٥٠.

(٢) مقال بعنوان : الفنون والنفس العربية . وهو منشور بمجلة المباحث

التونسية ، العدد الاول من السلسلة الاولى سنة ١٩٣٨ .

(٣) مقال بعنوان : روح نائرة ، وهو منشور بمجلة العالم الادبي عدد ٨ سنة ٣

نيسان ١٩٣٢ .

ذلك هو اتاج ابي القاسم الادبي خلال عمره القصير ، وتلك هي مؤلفاته التي عرفها اصدقاؤه وزملاؤه اثناء حياته وبعد موته . واكثر هذه المؤلفات مجهول مصيرها اليوم . كما ان بعض الادباء التونسيين المعاصرين للفقيه يعتقدون بوجود آثار ادبية اخرى ، غير تلك التي تحدثت عنها . وهم يظنون انها لا تزال باقية في ما خلفه من تراث ادبي عند اهله واقاربه .

ومن المؤسف حقاً ان يلاقي الشابي هذا الاهمال الفظيع بعد موته ، سيما من اقرب الناس اليه وأصدقهم به في حياته ، ممن كانت تربطه بهم روابط الدم او الاخاء والود الشديدين .

وحق اليوم ، وبعد مضي اكثر من سبعة عشر عاماً على وفاته ، فان مخلفاته الادبية لا تزال مغمورة في احضان النسيان والاهمال . وان اخوف ما اخافه ، ان يكون بعضها قد اصبح اليوم في اعماق الفناء ، او سائراً في طريقه اليه . وتلك خاتمة أليمة محزنة ، ستم معها - ان حدثت - الحلقة الاخيرة من مأساة هذا الشاعر المنكوب .

والغريب في الامر ان كثيراً من ادباء تونس ممن كانت تربطهم بالفقيه روابط الود والصدقة العميقة ، وآخرين من المعجبين به والمقدرين لشاعريته

وادبه ، يؤلفون - كل سنة تقريباً - لجنة ادبية تقيم حفلاً تذكاريًا ، لمناسبة مرور « كذا » من السنين على وفاته او ميلاده . فيخطبون بحماسة ، ويتحدثون عن شاعريته ونبوغه باكبار واجلال بالغين !! ثم ينتهي الاحتفال وينتهي معه كل شيء كأن ذلك فقط هو كل ما يجب عليهم ان يقوموا به تجاه الشابي ، وكأن ذلك فقط هو كل ما تحتمه عليهم قداسة الذكرى ، وحرمة الروابط التي كانت تصل بعضهم بالفقيد .

إن تمجيد الشابي أو الاشادة به ، لا يتم على وجه الاكمل الأصح ، إلا بنشر مؤلفاته بين الناس . وفي ذلك اكبر ما يسدى من جهد وتقدير ، لا للشابي فحسب ، بل وللشعب الذي ينتسب اليه ، وللادب العربي الذي عاش له وضحي بحياته في سبيله .

ألا ليتهم يسمعون هذا النداء ، ويلبونه مسرعين !!



خاتمة

اني لم اتعرض في الفصول السابقة ، لتحليل شعر الشابي وفك معانيه واسراره . انما بسطت القول - بقدر الامكان - في كثير من الجوانب المتصلة به ، والعوامل التي كان لها اثر واضح في طبعه بطابع معين ، وتوجيهه هذا الاتجاه بالذات .

وان اية محاولة لتفكيك معاني هذا الشعر ، وتحويل صورته وانغامه الى صور من النثر وقوالب جديدة من الكلام ، انما هي تشويه له ومسوخ لا يرضاه أي ذوق حريص على هذا الجمال الماليء اجواء شعره ، وهذه الانغام المتموجة في آفاقه ورحابه . ولئن حاولت في بعض الفصول تحليل بعض المعاني ، واظهار بعض الصور ، وفك بعض الانغام ، فانما هي محاولة قد يوافقني القارئ ، على انه كان من الافضل عدم القيام بها . لذلك فأنا اترك القارئ امام هذا الشعر ، ليخلق في اجوائه وحده ، وليستشف بكل خفايا نفسه واعصاب قلبه وصفاء وجدانه ، كل ما ينطوي عليه هذا الشعر من عوالم ورموز ، وكل ما يحويه من تجارب وانفعالات . وحسبي ان اقدم له اكبر مجموعة من شعر الشابي نشرت حتى الآن ، والى جانبها بضعة فصول من جيد نثره . وبذلك أتيح للقارئ آفاقاً اوسع

بما أتيج له حتى الآن ، ليستطيع ان يدرك بنفسه الكثير من مزايا ادب الشابي ،
وخصائص شعره ، وجوانب شخصيته الفذة العجيبة .

ولا اشك لحظة ، في ان القارىء قد ادرك من خلال الفصول السابقة ، ان
الشابي كان من جند الطليعة القليلين ، الذين تكبدوا وحدهم امر التضحيات
واهول العذاب ، في سبيل الرسالة المقدسة ، والعمل النافع لامتهم . فلقد حمل
الشابي لواء التجديد في الأدب . كما حمل المرحوم الدكتور محمد علي (١) ، لواء
الاصلاح الاقتصادي ، والدفاع عن الطبقات العاملة المضطهدة . والى جانبهما ،
كان المرحوم الطاهر الحداد (٢) ، قد بذل حياته العزيزة ، يوم تقدم وحده الى
ساحة النضال وحمل بشجاعة نادرة لواء الاصلاح الاجتماعي بدعوته الجريئة
الصادقة ، الى تحرير المرأة والنهوض بها ، تمهيداً لمساواتها بالرجل مساواة
كاملة غير منقوصة . كذلك نرى فريقاً آخر من المناضلين الاحرار قد حمل
وحده لواء الاصلاح السياسي ، والنهوض بالشعب من جموده وركوده ، ودفعه الى
معمة الحياة ، ليكافح في سبيل حقه فيها ، وليناضل عن استقلاله الفقيده
وحرية الضائعة .

وقد اتخذ هؤلاء المصلحون الاخيار ، - كل في حقله الخاص - سبيل
التجديد ، واستعملوا اساليب فنية مستحدثة ، لا عهد لسابقيهم بمثلها . فيها القوة
والايمان ، والحيوية والعزم ، والثبات والجد ، والتضحية والفداء . وان اي عمل

(١) هو رائد العمال التونسيين اليوم ، في نضالهم التحرري الشاق .

(٢) هو حبيب الشعب ونصير المرأة . وقد ذهب ضحية الجحود والرجعية سنة ١٩٣٥ - طالع
حياته ونضاله الفكري والاجتماعي في كتاب « عبقرية الحداد » الذي سأنشره عنه قريباً .

مقدس جليل ، من اعمال البشرية ، كان خالياً من واحد من تلك المثل جميعاً ،
لمحكوم عليه سلفاً بالفشل والاندحار ،

وما كان طريق المجد - في يوم من ايام التاريخ - مفروشاً بالازهار والورود .
ولا كان للانسانية في تاريخها الطويل ، ان تخطوا الى الامام شبراً واحداً دون
آلام وضحايا .

وما كان لقائد ان يكسب معركة في حرب ، او ينال نصراً في قتال دون
خسارة في جنده ، وتضحيات في عدده وعتاده .

وما كانت جراحات الشابي . وآلامه لشعبه ولنفسه ، إلا تلك التضحيات
الجبارة والخسائر الجسيمة ، التي هي طريق المجد ، ودرب العبقرية الباهرة ،
والخلود المنتصر .

وها هي تلك الجهود الرائعة ، التي بذلها الشابي في حياته ، وبذرها رفاقه (من
جند الطليعة) في مناحي الحياة الاخرى ، وسقوها جميعاً بدمائهم وتضحياتهم ،
ها هي اليوم تمد ظلالها الوارفة على حياة الشعب التونسي ، وتخلق منه قوة جبارة
واعية ، تعمل للخلاص في كل حقل من حقول الحياة ، وتشيّد بناء المجتمع
الجديد المنتظر ، في كل ركن من اركان الوطن .

وان تلك الصور الرائعة للمجتمع السعيد ، الذي كان يعمل له الشابي
ورفاقه من جند الطليعة . والتي كانوا يرسمونها في احلامهم وآمالهم ، ثم يفتحون
اعينهم فلا يجدون منها شيئاً في بيئتهم ، ها هي قد بدأت تتحقق اليوم مرحلة
فمرحلة . بفضل البذور الزكية ، والجهود الفعالة ، التي بذلوها بأيمان واخلاص .

وليت الشابي ، يعلم اليوم في عالمه السرمدى ذلك ، اننا نمشى بخطى جبارة ،
صوب ذلك الامل الجسور ، الذي كان يسعى جاهداً لتحقيقه ، ويحترق في اتون
العبقريّة والايمان ، ليضيء الى شعبه طريق الحياة الظافرة اليه ، وليجعل من
مجتمعه مجتمعاً يفيض بالمحبة والخير ، ويزخر بالوان الجمال وصور السعادة .
ليته يعلم اننا نسعى جاهدين ، في سبيل تلك الاماني والاحلام ، التي خاطب
بها احد اصدقائه مرة فقال :

« .. إن تونس لفي حاجة الى ان تتقدم بخطوات ثابتة ، في سبيل النور
والزهور ،

ان تونس لفي حاجة الى ان ترفع رأسها عالياً حتى تشاهد انوار السماء
وشموسها ، وحتى تُقبَل شفتها اضواء النجوم .

ولئن كانت تونس فقيرة الى هذا الضرب من ابنائها ، هذا الضرب الذي
يحن الى ان يعيش عيشة كلها حق ولذة وجمال ، وكلها احساس وشعور وعواطف ،
ان كانت تونس فقيرة الى هذا النوع من ابنائها ، ليجب على النفر القليل منهم ان
يبدلوا كل ما في جبهدهم من عزم وقوة ، وحمية وشباب ، حتى يستطيعوا ان
يكونوا نشأ حياً مخلصاً ، شاعراً بواجبه لامته وللحياة وللوجود . وان يخلقوا في
الواقع ذلك الوسط الحي الجميل ، الذي تتصوره في احلامنا ، ثم نلتفت فلا
نلمح له اثرأ ! » ،

أي نعم ! إن تونس لمحتاجة الى ابنائها ، وانهم لفي حاجة اليها ، وهامهم
ابناؤها اليوم ، يسرون في طريقك مستضيئين بنورك ، مترنمين بأناشيدك ، في

جميع مواكبهم وافراحهم ، في كل نضالهم وتضحياتهم . وهم بذلك جد سعداء
إذ يموتون في سبيل شعبهم ، وفي سبيل تلك المثل السماوية الساحرة ، التي عشت
لها وتغنيت بقداستها وجمالها . وذلك ما يزيدنا ايمانا بأنك قائد جسور ، ومصاح
خطير . وبأنك خالد في ضمير الشعب وذاكرة الاجيال !!

وانك اذ تعيش اليوم في فجر الجمال السرمدي ، وتطير مجنحاً في آفاق
صباحك الجديد الخالد ، فاننا لنحيا في فجر جديد من الحياة ، ملؤه النور والايمان ،
وكلاه كفاح ونضال ، كفاح تغمره الغبطة ، ونضال يفيض بالرضى والاطمئنان .
فلتعش في كونك العلوي ذاك ، ولتسعد به ، وليسعد بك ، ولتطمئن الى ان
جيبتيك الجميلة الساحرة - تونس الخالدة - قد غدت تتيه فخراً ، وترفع رأسها
في كبرياء وعظمة ، لكثرة عشاقها من ابنائها ، المتفانين في هواها ، المتساقطين
صرعى عند اقدامها ، الباذلين الدماء والارواح في سبيل تحريرها من كل الاغلال
وجميع القيود .

اي ابا القاسم !

لقد تجاهلك قومك وهم بعد نيام ، فكللوا هامتك بالشوك وتوجوا رأسك
بالعوسج ، فتأوهت وتألمت ، ثم مضيت الى دنيا لا شر فيها ولا فساد ، ولا نكران
ولا عقوق . وها انت ذا تنظر اليهم اليوم من عالمك البعيد ، وتشرف عليهم من
عليائك الخالدة ، فتراهم وقد نهضوا مسرعين ، وتوثبوا الى العمل والى البناء ،
وتسابقوا للتضحية والفداء . وان رؤيتهم في هذه الالوان من الكفاح ، والصور
من الحياة ، لتبعث في النفوس الرضى والاطمئنان والثقة والامل ، في مصير هذا

الشعب المناضل الكريم!

وان قومك اذ ينهضون للحياة ويتسابقون في الكفاح ، فانما ذلك ثمرة
غرسك، وتناج عملك ، فهو منك وسيكون خالداً باسمك مدى الازمان والاجيال .
انظر هوذا شعرك على افواه قومك اغاني واهازيج ، واسمك في كل لسان
وبكل مكان . وسيأتي ذلك اليوم الذي ترى فيه قومك يوفونك حقك من
الاكبار والتقدير ، فينشرون آثارك بين الناس في طبع فاخر عزيز ، وتقام لك
التمائيل في كل مدينة من وطنك ، ويجعلون اسمك بدء حياة جديدة ، وعنوان
فخار مستديم . وان هذا لقليل من كثير مما تستحقه ويجب لك . واني لمؤمن اشد
الايمان بان هذا اليوم قريب ، وقريب جداً .

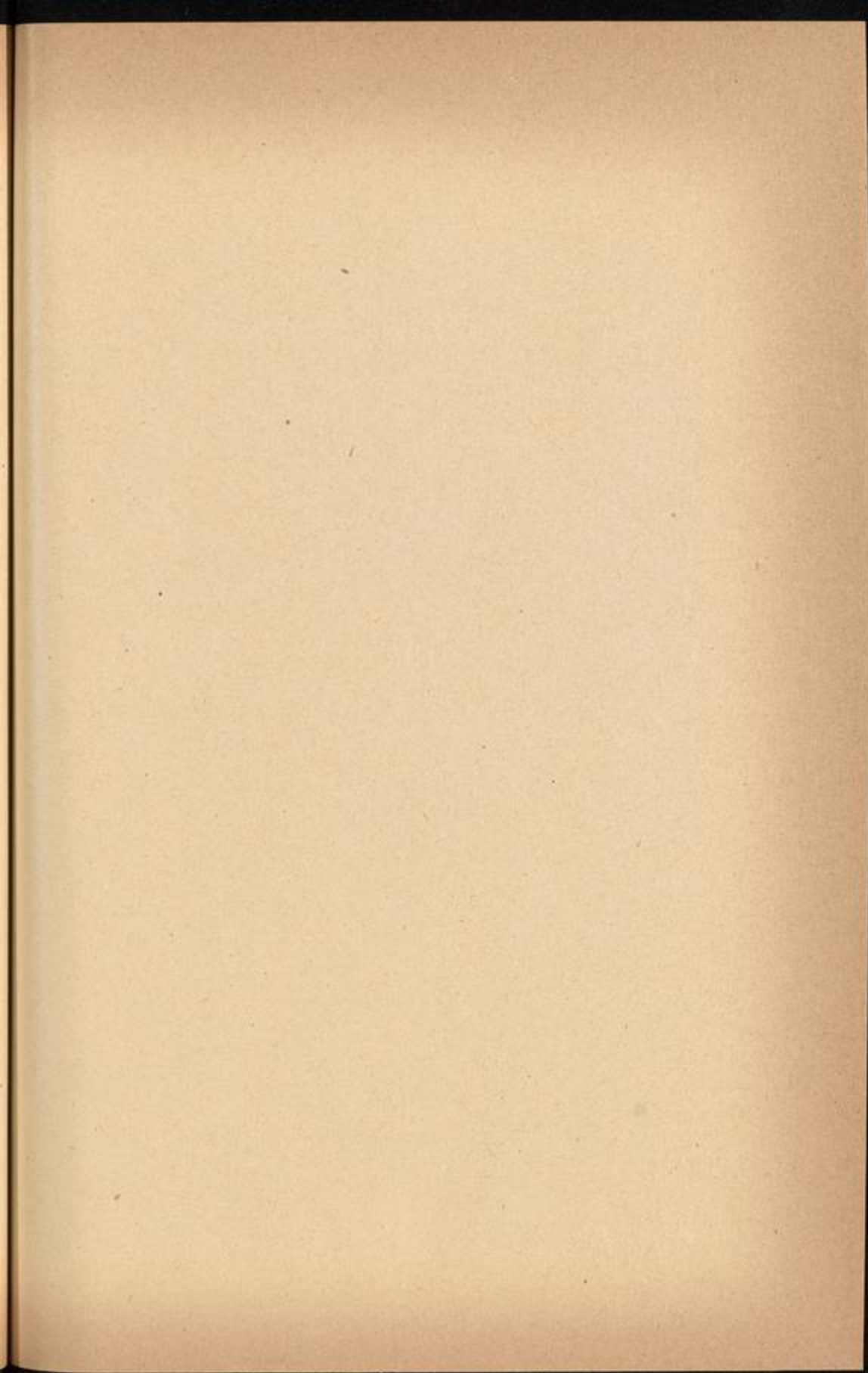
فلتتعالى سامياً بين آفاق الخلود ، في دنياك وفي اخراك . ولتبارك من عالمك
السرمدى المقدس ، آمال شعبك ، ويقظة امتك .. !!



مختارات

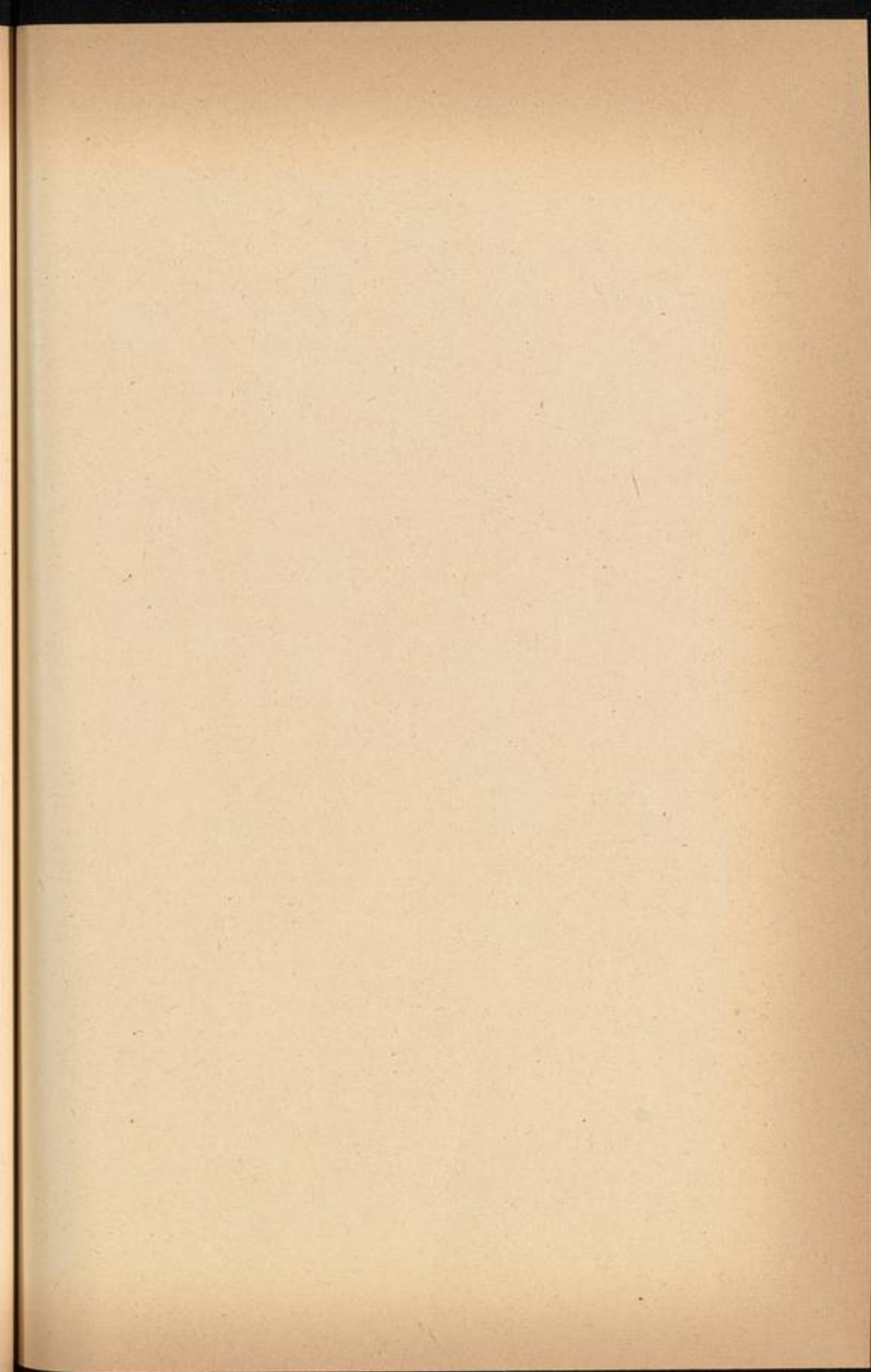
من

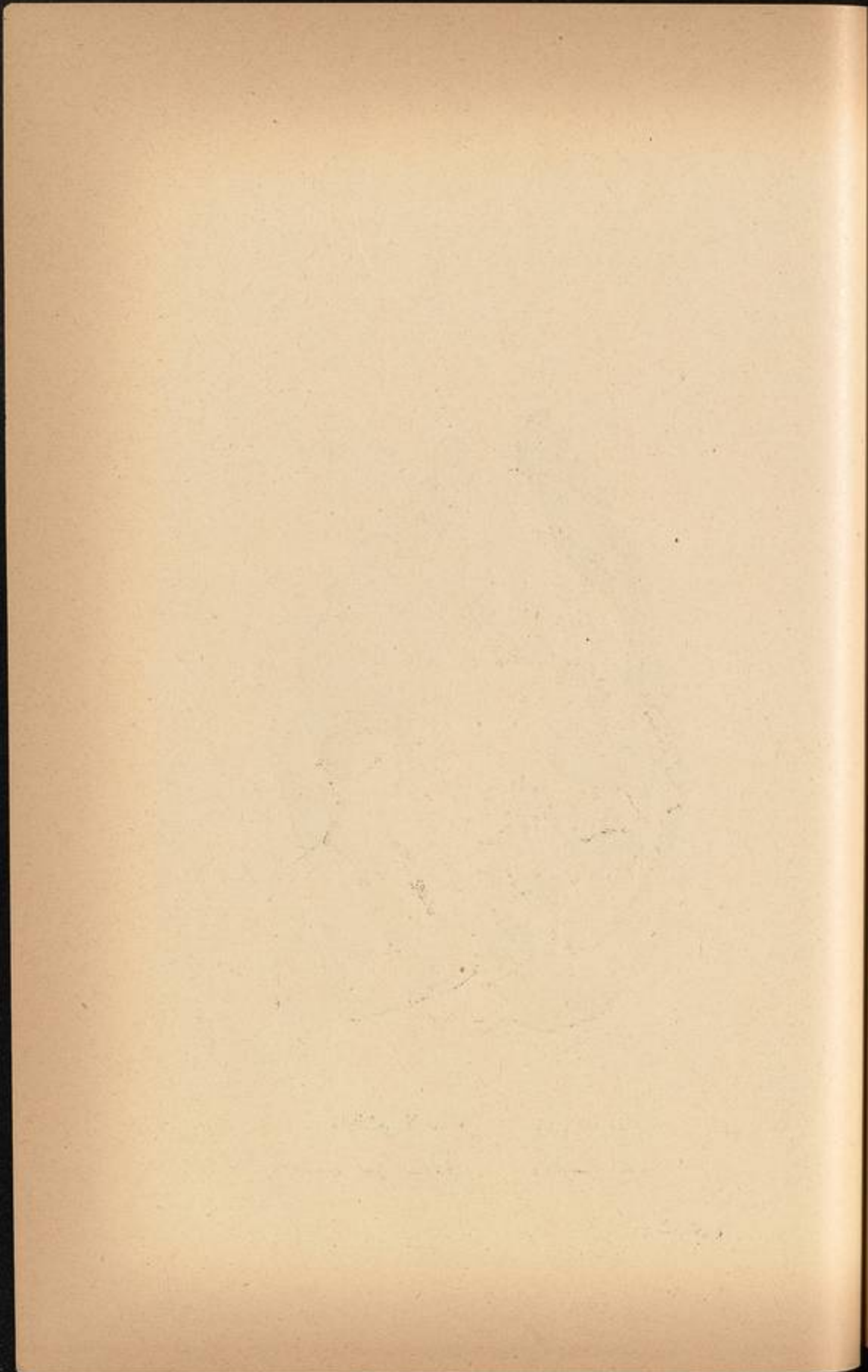
أغاني الحياة



القسم الاول

(ما قبل العشرين)







يرف فيه مقالي
وما يسر المعالي

... ما الشعر الا فضاء
قسما يسر بلادي

« شعري »

شعري

شعري نفاثة قلبي إن جاش فيه شعوري
لولاه ما انجاب عني غيم الحياة الخطير
ولا وجدت اكتابي ولا وجدت سروري
به تراني حزيناً ابكي بدمع غزير
به تراني فروحاً أجرُ ذيل جبوري

لا انظم الشعر ارجو به رضاء الامير!
بمدحة او رثاء تهدي لرب السرير!
حسي اذا قلت شعراً ان يرتضيه ضميري!!

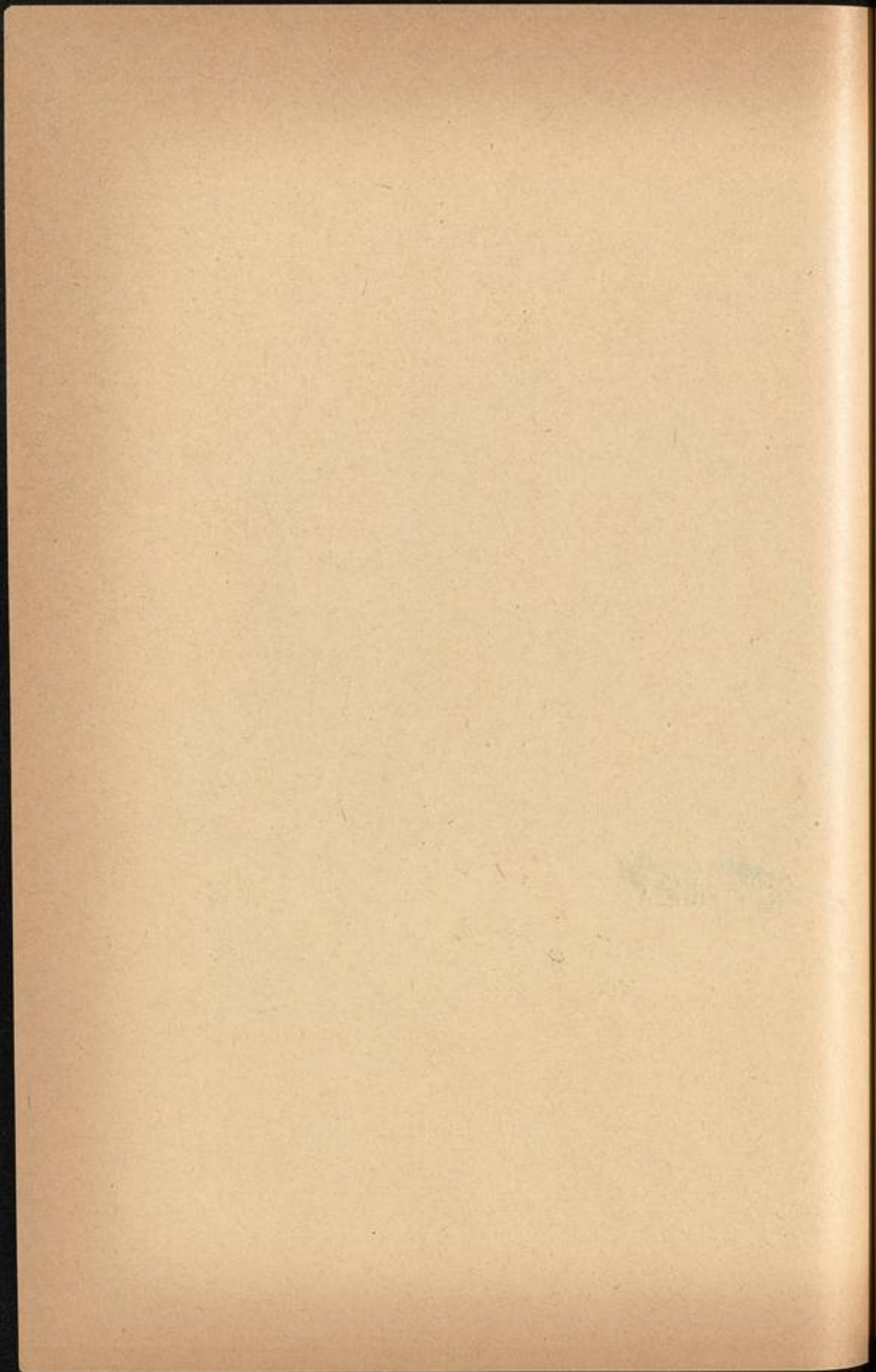
ما الشعر الا فضاء يرف فيه مقالي
فيما يسر بلادي وما يسر المعالي!!

وما يثير شعوري من خافقات خيالي

○○○

لا اقض الشعر أبغي به اقتناص نوال
الشعر ان لم يكن في جماله ذا جلال
فانما هو طيف يسعى بوادي الضلال
يقضي الحياة طريداً في ذلة ، واعتزال







انا تونس الجميلة في ليج الموى قد سمعت اي سباحة

«تونس الجميلة»

تونس الجميلة

لست ابكي لعسف ليل طويل او لربع غدا العفاء مراحه
 انما عبرتي لخطب ثقیل قد عرانا ، ولم نجد من ازاحه :
 كلما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه ، يريد صلاحه
 احمدا صوته الالهي بالعس ف ، اماتوا صداحه ونواحه
 بسوا روحه قميص اضطهاد فاتك ، شانك ، يرد جماحه
 وتوخوا طرائق العسف والار هاق معه ، وما توخوا السماحه
 هكذا المصلحون في كل صوب رشقات الردى اليهم متاحه
 غير انا تناوبتنا الرزايا واستيح الحمى واي استباحه

أنا يا تونس الجميلة ، في لجج الهوى قد سبحت اي سباحه
 شرعتي حبك العميق ، واني قد تذوقت مره وقراحه !
 لا أبالي ... وان اريق دمائي فدماء العشاق دوماً مباحه !!

ان ذا عصر ظلمة غير اني من وراء الظلام شمت صباحه
 ضيع الدهر مجد شعبي ولكن سترد الحياة يوماً وشاحه !

نزير العاصفة

ارى المجد معصوب الجبين مجدلاً
على حسك الآلام يغمره الدم
وقد كان وضاح الاسارير باسمأ
يخف الى الجلى ولا يتبرم
ألا ايها الظلم المصعر خده
رويدك ان الدهر يبنى ويهدم !
أغرك ان الشعب مغض على قذى
لك الويل من يوم به الشر قشعم !
سيثار للعز المحطم تاجه
رجال ، اذا جاش الردى فهم هم !
رجال يرون الذل عاراً وسبة
ولا يرهبون الموت والموت مقدم !
وهل تعلى الا نفوس ابية
تصدع اغلال الهوان وتفصم !

الا ان احلام البلاد دفينه
تجمجم في اعماقها ما تجمجم
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها
وينشق اليوم الذي يترنم !
هو الحق يبقى راكداً ، فاذا طغى
بأعماقه السخط العصف يدمدم !
وينحط ، كالصخر الاصم اذا هوى
على هام اصنام العتو ، فيحطم !

اذا صعق الجبار تحت قيوده
سيعلم أوجاع الحياة ويفهم !!



الحرب

هل الحروب سوى وحشية نهضت
في انفس الناس فانقادت لها الدول
فأيقظت في قلوب الناس عاصفة
فاسودت الشمس واربدت لها السبل
فالدهر متعل بالنار ، ملتحف
من المآثم والأيام تشتعل !
والأرض دامية ، والكأس حامية
والشر - يخفق في آفاقها - ثمل !!
والموت يسبح في موج الضجيج فلا
يبقى ، ويخطف من قد خانه الأجل
وفي المهامه اشلاء ممزقة
تتلو على القفر شعراً ليس ينتحل
تثير في النفس احزاناً يرث لها
فم الفؤاد بتغريد ، فتهمل

لعلعة الحق

يقولون : صوت المستذلين خافت

وسمع طواغيت التجبر أصخم (١)

وفي صيحة الشعب المسخر .. زعزع

تخر له 'شم' العروش ، وتهدم !

ولعلعة الحق الغضوب لها صدى

ودمدمة الحرب الضروس لها فم

إذا التف حول الحق قوم ، فانه

يصرم احداث الزمان ، ويبرم !

(١) أصخم : اصم .

في الظلم

ررفت في دجية الليل الحزين زفرة الاحلام
فوق سرب من غمامات الشجون ملؤها الآلام

ooo

كنت إذ ذاك على ثوب السكون انثر الاحزان
والهوى يسكب اصداء المنون في فؤاد فان

ooo

ساكناً مثل جميع الكائنات ... راكد الالحان
هائماً قلبي باعماق الحياة تائباً حيران

ooo

ان للحب على الناس يدا تقصف الاعمار
وله فجر على طول المدى ساطع الانوار

ooo

ثورة الشعر، واحلام السلام وجمال النور
وابتسام الفجر في حزن الظلام في العيون الحور

الزنبقة الذرايلة

أزنبقة السفح ! مالي أراك
تساورك اللوعة القاسية ؟
أني قلبك الغض صوت اللهب
يرتل انشودة ... الهاوية ؟

أسمعك الليل ندب القلوب
وأرشفك الفجر كأس الأسي
أصب عليك شعاع الغروب
نجيع الحياة ، ودمع المسأ ؟

أوقفك الدهر حيث يفجر ...
نوح الحياة صدوع الصدور
وينشق الليل طيفاً كثياً
رهيباً ويخفق حزن الدهور !!؟

إذا أضجرتك أغاني الظلام فقد عذبتني أغاني الوجوم !!
وان هجرتك بنات الغيوم فقد لزمتمني فتاة الجحيم !!

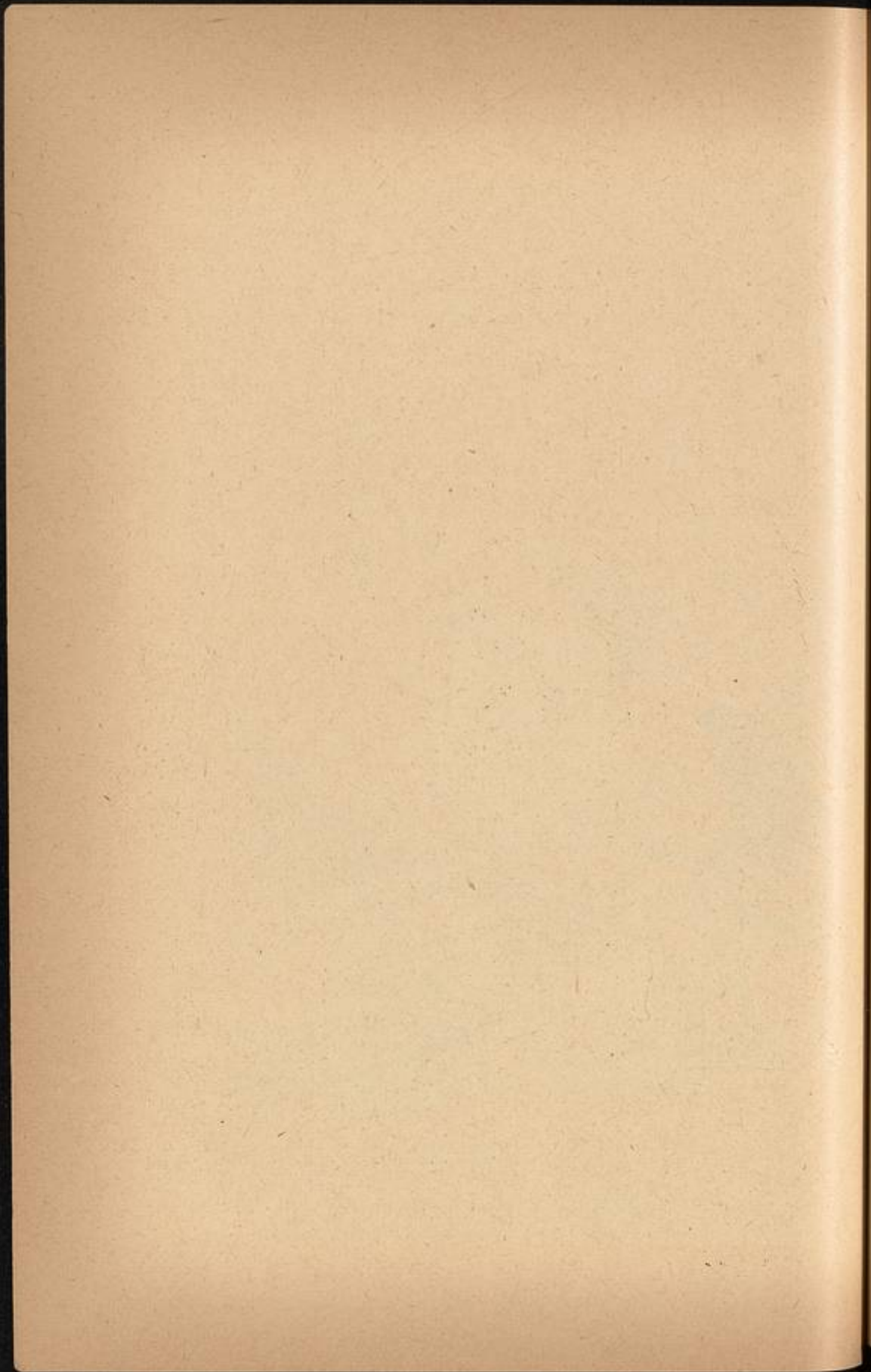
وان سكب الدهر في مسمعيك نحيب الدجى ، وأنين الأمل !!
فقد أوجع الدهر في مهجتي شواظاً من الحزن المشتعل

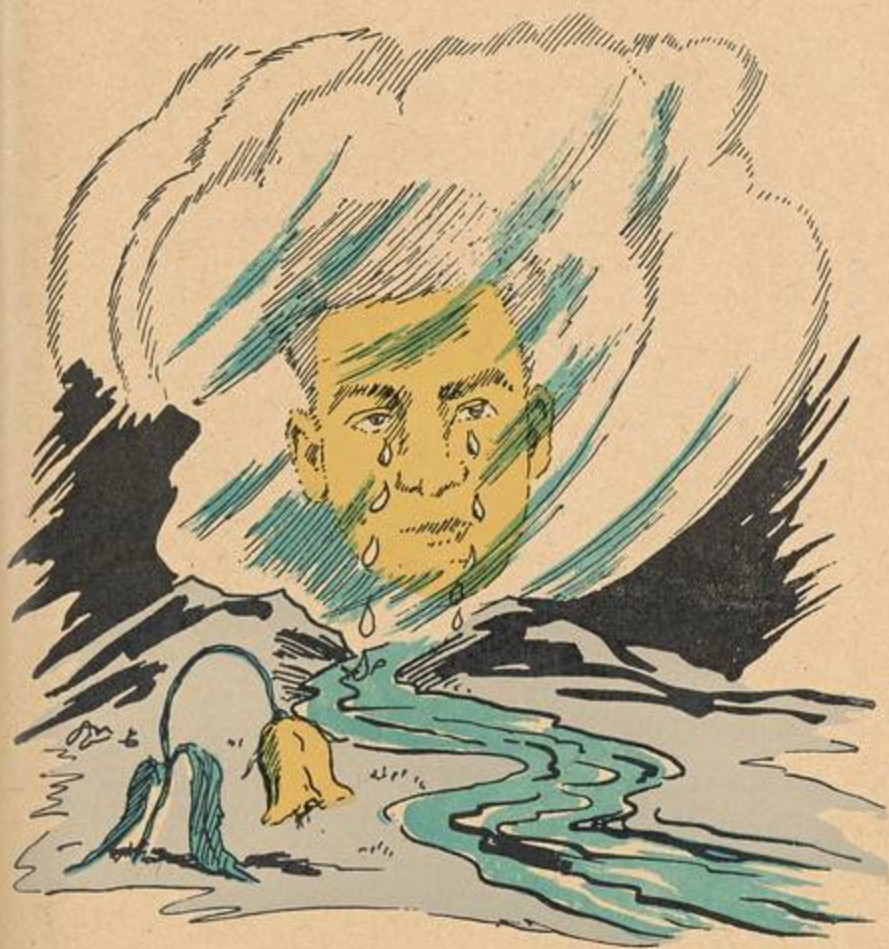
وان قبلتك شفاه الحياة وصبت بفيك الرضاب المرير
فقد صفت مهجتي الدامية بنعل الشتاء اكف الدهور

أصيخي ، فما بين أعشار قلبي يرف صدى نوحك الخافت
معيداً على مهجتي بخفق جناحيه همس الردى الصامت

فقد أترع الليل بالحب كأسي وشعشعه بلهيب الحياة
وجرعني من ثمالاته مرارة شجو تفت الصفاة

إلى فقد وحدت بيننا قساوة هذا الزمان الظلوم
فقد فجرت في هذي الكلام كما فجرت فيك تلك الكلام





وسقتني من النعاسة اكوا

بأ نجرعتها، فيا شد تصبي؟

« الدموع »

الدموع

ينقضي العيش بين شوق ويأس والمنى بين لوعة وتأسي
هكذا سنة الحياة ، ونفسي لا تروم الرحيق في كأس رجس
ملىء الدهر بالخداع ، فكم قد ضلل الناس من إمام وقس !
كلما أسأل الحياة عن الح ق ، تكف الحياة عن كل همس
لم أجد في الحياة نغماً بديعاً يستبيني سوى سكينته نفسي
فشمت الحياة ، الا غرراً تتلاشى به أناشيد يآسي

حجبت شقوة الدهور على جف ني شعاع الرجاء من قبل رمسي
ناولتي الحياة كأساً دهاقاً بالأمني ، فما تناولت كأسي
وسقتني من التغاسة اكوا بأ تجرعتها ، فيا شد تعسي !
إن في روضة الحياة لأشوا كأ ، بها مزقت زنايق نفسي

ضاع أمسي ! وأين مني أمسي ! وقضى الدهر ان اعيش يآسي !

وقضى القلب في سكون مريع ساعة الموت ، بين سخط وبؤس
لم تبق لي الحياة من الأم س سوى لوعة تهب وترسي !
تتهادى ما بين غصات قلبي بسكون ، وبين اوجاع نفسي
كخيال من عالم الموت نسا ب بصمت ، ما بين رسم ورسم

تلك اوجاع مهجة عذبتها في جحيم الحياة اطراف نحس
تلك احلام غور روح كئيب كره العيش : من نعيم وبؤس



الخشية العزلة

حطمت كف الاسى قيثارتي
في يد الاحلام
فقضت صمتاً أناشيد الغرام
بين ازهار الخريف الناويه
وتلاشت في سكون الاكتاب
كصدى الغريد

* *

كف عن تلك الاغاني الباسمة
ايها العصفور
فحياتي الفت لحن الأسى
من زمان قد تقضى ، وعسى
ان يثير الشدو ، في صمت القواد
أنة الأوتار

* *

لا تغنني اغاريد الصباح
بلبل الافراح !

فقؤادي وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور
واغاني النور

* *

إن من اصغى الى صوت المنون ،
وصدى الاجداث ،

ليس تستهويه ألحان الطيور ،
بين ازهار الربيع الساحرة ،
وابتسامات الحياة السافرة
عن جلال الله !

* *

غنني يا طير ! أنات الجحيم ،
واسقني الآلام
واترع الكأس ، بأوجاع الحياة ،
واسقني ، اني كرهت الابتسام ،
غنني ، ندب الاماني ، الخائبة ،
والليلي السود ،

غنني ، صوت الظلام ، المكتب ،

انني اهواه ،

هاك كأس القلب ، فاترعه نواح ،

واسكب الحزن به ، حتى الصباح ،

إنه من طينة الحزن المرير

صاغه الخلاق

* *

بشت الافراح .. افراح الحياة

إنها أحلام

تخلب اللب بالحن عذاب

واغاريد كأملك السما

ثم لا تلبث أن تذوي كما

تذبل الأزهار

نظرة في الحياة

إن الحياة صراعٌ فيها الضعيف يداسُ
ما فاز في ماضيها إلا شديد المراس
للحب فيها شجون فكن فتى الاحتراس
الكون كون شقاء الكون كون التباس
الكون كون اختلاق وضجة واختلاس
سيان عندي فيه السرور ؛ والأبتاس

بين النوائب بون للناس فيه مزايا
البعث لم يدر إلا البلا ينادي البلايا
والبعض ما ذاق منها سوى حقير الرزايا
إن الحياة سبات سينقضي بالمنايا
وما الرؤى فيه إلا آماننا ، والخطايا
فان تيقظ كانت بين الجفون بقايا

ان السكينة روح في الليل ليست نظام
والروح شعلة نور من فوق كل نظام
لا تنظفي بريح ال إرهاب أو بالحسام
بل قد يعج لظاها سيلاً، ويطغى الضرام
كل البلايا... جميعاً تفنى ويحيا السلام !
والذل سبة عار لا يرتضيه الكرام !

* * *

الفجر يسطع بعد ال دجى ، ويأتي الضياء
ويرقد الليل قسراً على مهاد الصفا
وللشعوب حياة حيناً وطوراً فناً
اليأس موت ولكن موت يثير الشقا
والجد للشعب روح تومي اليه الهنا
فان تولت تصدت حياته للبلا

ماتم القلب

ليت شعري!

أي طير

يسمع الاحزان تبكي بين احشاء الكئيب

ثم لا يتلو على الفجر أغاريد النحيب

بخشوع واكتئاب؟



لست ادري

أي قسر

أخرس الغريد عني؟ أترى مات الشعور

في جميع الكون حتى في حشاشات الطيور

أم بكى خلف الحجاب؟



في الدياجي

كم أناجي

مسمع القبر بفصات نحبي وشجوني

ثم اصغى ، علي اسمع ترديد أنيني

فأرى صوتي فريد



فأنادي

يا فؤادي !

مات من تهوى وهذا اللحد قد ضم الحبيب

فأبك يا قلب ! بما فيك من الحب الكئيب

أبك يا قلب ! وحيد



مات حي

مات قلبي

فاذرفي يا مقلة الليل الدراري عبرات

فوق قلبي ، فهو قد ودع اوجاع الحياة

بعد ان ذاق اللهب



، وانديه ،

واغسله ،

بدموع الفجر من أكواب زهر الزنبق

وادفيه بجلال في ضفاق الشفق

ليرى روح الحبيب

الأمل والقنوط

ضعف العزيمة لحد في سكينته
تقضي الحياة، بناه اليأس والوجل
وفي العزيمة قوات مسخرة
يخرُّ دون مداها الشامخ الجبل
والناس شخصان: ذا يسعى به قدم
من القنوط، وذا يسعى به الأمل
هذا الى الموت، والأجداث ساخرة
وذا إلى المجد، والآمال تتصل
ما كلَّ فعلٍ يجلُّ الناس فاعله
مجداً، ولا كلَّ من خاض الدجى بطل
المجد صنفان: صنفٌ في تمايله
لحن الخلود، وصنفٌ فوقه الخبل
ما المجد إلا ابتسامات يفيض بها
فمُ الزمان إذا ما انسدت الخيل
وليس بالمجد ما تشقى الحياة به
ويحسد اليوم أمسا ضمّه الأزل

شكوى اليتيم

على ساحل البحر ، أين يضج صراخ الصباح ، ونوح المساكين
تنهدت من مهجة أترعت بدمع الشقاء ، وشوك الأذى

فضاع التنهد في الضجة

بما في ثنياه من لوعة

فسرت وناديت يا أمّ! هيا

اليّ! فقد سئمتني الحياة



وجئتُ الى الغاب ، اسكب اوجاع قلبي ، نحياً كل فح اللبيب
نحياً تفرق في مهجتي وسال يرنب بنبب القلوب

فلم يفهم الغاب اشجانة

وظل يردد ألحانه

فسرت ، وناديت يا أمّ! هيا

اليّ! فقد عذبتي الحياة

وقفت على النهر أهرق دمعاً تفجر من فيض حزني الأليم
يسير بصمت ، على وجنتي ويلمع مثل دموع الجحيم

فما خفف النهر من عدوه

ولا سكت النهر عن شدوه

فسرت ، وناديت يا أم هيا

إلي ! فقد اضجرتني الحياة



ولما نددت ، ولم ينفع ناديت أمي « فلم تسمع »
رجعت بحزني إلى وحدتي ورددت نوحى على مسمعي

وعانقت في وحدتي لوعتي

وقلت لنفسي: ألا فاسكتي!



أيها الليل

أيها الليل! يا أبا البؤس والهول! ويا هيكل الزمان الرهيب!
فيك تجثو عرائس الأمل العذب، تصلي بصوتها المحبوب
فيثير النشيد ذكرى حياة حجبها غيوم دهر كئيب
وترف الشجون من حول قلبي بسكون وهيبة وقطوب
أنت يا ليل! ذرة صعدت للكون من موطئ الجحيم الغضوب
أيها الليل، أنت نغم شجي في شفاء الدهور، بين النحيب
إن أنشودة السكون التي ترتج في صوتك الركود الرحيب
تسمع النفس في هدوء الأمان رنة الحق، والجمال الخلوب
فتصوغ القلوب منها أغاريد تهز الحياة هز الخطوب
تتلوى الحياة من ألم البؤس، وتبكي بلوعة ونحيب
وعلى مسمعك تنهل نوحاً وعويلاً مرّاً شجون القلوب
فأرى بريقاً شفوفاً من الأوجاع، يلقي عليك شجو الكروب
وأرى في السكون أجنحة الجبار، مخضأة بدمع صيب

فلك الله ! من فؤادٍ رحيمٍ ولك الله من فؤادٍ كئيبٍ
يهجع الكون في طمأنينة العصفور ، طفلاً بصدرك الغريب
وبأحضانك الخفوفة يستيقظ في نضرة الضحوك الطروب
شادياً كالطيور بالأمل العذب ، جميلاً كهجة الشؤبوب
يا ظلام الحياة ! يا روعة الحزن ! ويا معزف التعميس الغريب !
إنَّ في قلبك الكئيب لمرتاداً لأحلام كلِّ قلبٍ كئيبٍ
وبقيشارة السكينة في كفيك تنهلُّ رنةً المكروب
فيك تنمو زنايق الحُلم العذب ، وتدوي لدى لهيب الخطوب
خلف أعماقك الكئيبة تنسابُ ظلالُ الدهور ذات القطوب
وبفؤديك في صفائرُك السود تدبُّ الأيام أيَّ ديب

صاح ! إنَّ الحياة أنشودة الحزن ، فرتلْ على الحياة نحبي
إنَّ كأس الحياة مترعة بالدمع ، فاسكبْ على الحياة صبيبي
إنَّ وادي الظلام يطفح بالهول ، فما أبعَد ابتسام القلوب !
لا يغرِّك ابتسام بني الارض ، فخلف الشعاع لدع اللهب
أنت تدري أن الحياة قطوبٌ وخطوبٌ ، فما حياة القطوب ؟
إنَّ في غيبة الدهور ، تباعاً ، لخطيبٌ يمرُّ إثر خطيب

سدَّتْ في سَكينة السكون للأعماق نفسي لحظاً بعيد الرسوب

نظرة مزقت شغاف الليالي فرأت مهجة الظلام الهبوب
ورأت في صميمها لوعة الحزن ، واصغت الى صراخ القلوب
لا تحاول أن تنكر الشجو إني قد خبرت الحياة خبر ليب
فتبرمت بالسكينة ، والضجة ، بل قد كرهت فيها نصيبي ...
كن كما شئت السماء كثيباً أي شيء يسرّ نفس الأديب ؟
أنفوس تموت ، شاخصة بالهول ، في ظلمة القنوط العصيب ؟
أم قلوبٌ محطّات على ساحل لج الأسي ، بموج الخطوب ؟
إنما الناس في الحياة طيور قد رماها القضا بوادٍ رهيب
يعصف الهول في جوانبه السود ، فيقضي على صدى العندليب

قد سألتُ الحياة عن نغمة الفجر ، وعن وجمة المساء القطوب
فسمعتُ الحياة في هيكل الأحزان تشدو بلحنها المحبوب :
ما سكوت المساء إلا أنينٌ ونشيد الصباح غير نجيب
ليس في الدهر طائر يتغنى في ضفاف الحياة غير كئيب
خضب الأكتاب أجنحة الأيام بالدمع ، والدم الاسكوب
وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالي ، بحزنها المشبوب !

كنتُ أرنو الى الحياة بلحظٍ باسمٍ ، والرجاء دون لغوب
ذاك عهدٌ حسبته بسمة الفجر ، ولكنه شعاع الغروب

ذاك عهد ، كأنه رنة الافراح ، تنساب من فم العنديل
خفقت ريشما أصخت لها بالقلب حيناً ، وبدلت بنحيب
ان خمر الحياة وردية اللون ، ولكنها سموم القلوب

جرفت من قرارة القلب احلامي الى اللحد، جائرات الخطوب
فتلاشت على تخوم الليالي وتهاوت الى الجحيم الغضوب
وثوى في دجنة النفس ومض لم يزل بين جيئة وذهوب
ذكريات تميمس في ظلمة القلب ، ضئلاً كرائعات المشيب

يا لقلب تجرع اللوعة المرة من جدول الزمان الرهيب !
ومضت في صميمه شعلة الحزن ، فغشته من شعاع اللهب



المثلُّ الدُّليم

سئمت الحياة وما في الحياة ولما تجاوزت فجر الشباب
سئمت الليالي وأوجاعها وما شعشت من رحيق بصاب
فحطمت كأسى ، وألقيتها بوادي الأسى وجحيم العذاب
فأنت وقد غمرتها الدموع وقرت وقد فاض منها الحباب
وألقى عليها الأسى ثوبه وأقبرها الصمتُ والاكئاب
فأين الأماني وأحانها؟ وأين الكؤوس ، وأين الشراب؟
لقد سحقتها أكف الظلام وقد رشفتها شفاه السراب
فما العيش في حومة ، بأسها شديد ، وصداحها لا يجاب !
كئيب ، وحيد بالأمه واحلامه ، شدوه الانتحاب
ذوت في الربيع أزاهيرها ! فمتن وأحلامهن العذاب
لوين التحور على ذلة ونمن ، وقد مصهن التراب
فحال الجمال ، وغاض العبير وأذوى الردى جفن تلك الكعاب

لَيْمًا لِحُبِّ

ايها الحب انت سر بلائي وهمومي ، وروعتي ، وعنائتي
ونحولي ، وادمعي ، وعذابتي وسقامي ، ولوعتي ، وشقائتي

*

ايها الحب انت سر وجودي وحياتي ، وعزتي ، وابائتي
وشغاعي ما بين ديجور دهري وأليفي ، وقرتي ، ورجائتي

*

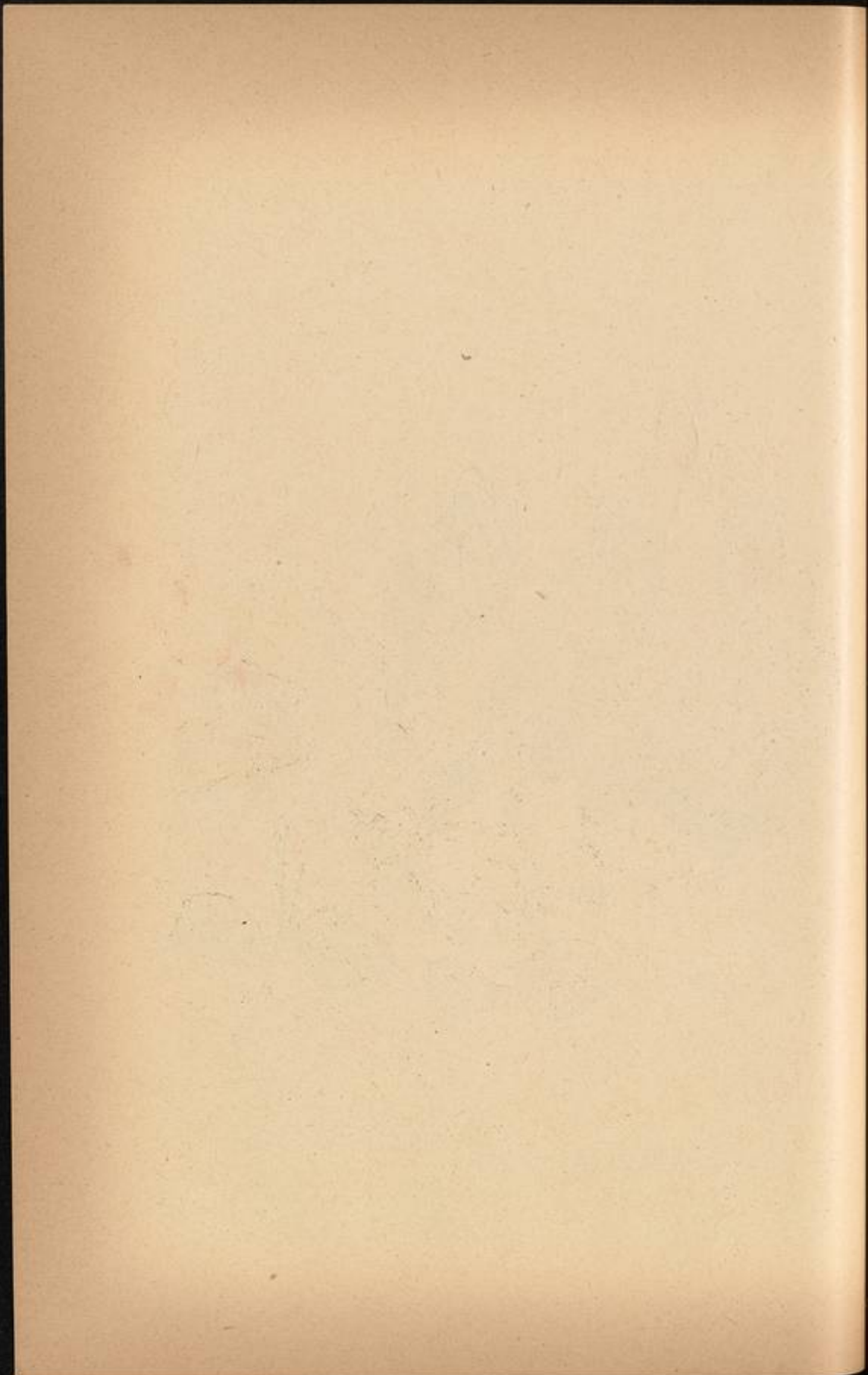
يا سلاف الفؤاد يا سم نفسي في حياتي ، يا شدتي ، يا رخائتي
ألهيبٌ يثورُ في روضة النفس فيطغى ؟ ام انت نور السماء

*

ايها الحب قد جرعتُ بك الحزن ن كؤوساً وما اقتنصتُ ابتغائي
فبحق الجمال يا ايها الحد ب! حنانك بي! وهون بلائي

*

ليت شعري! بأنة القلب قل لي : من ظلام خلقت ، أم من ضياء؟
أترى أنت جنة ، ام جحيم ؟ لست أدري ، بل أنت كالكهرباء





فقل لي ما جدوى الحياة وكرها
وتلك التي تذوي وتلك التي تنمو ؟

« حيرة »

حيرة

أرى هيكلاً الأيام يعلو مشيداً
ولا بدان يأتي على رأسه الهم
فيصبح ما قد شيد الله للورى
خراباً كأن الكل في أمسه وهم
فقل لي ما جدوى الحياة وكرها
وتلك التي تدوي وتلك التي تنمو؟
وفوج تغذيه الحياة لبانها
وفوج غدا تحت التراب له ردم؟
وعقل من الاضواء في رأس نابغ
وعقل من الظلماء يحمله قدم؟!
وافئدة حسرى تذوب كآبة
وافئدة سكرى يرف لها النجم؟
لتعس الورى شاء الاله وجودهم
فكان لهم جهل وكان لهم فهم..

جدول الحب

« بين الامس واليوم »

بالأمس قد كانت حياتي كالسماء الباسمة
واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول
يجري به ماء المحبة طاهراً يتسلسل

تسعى به الامواج باسمه كأحلام الصبا
بيضاء، ناصعة، ضحوكاً مثل ازهار الربى

مياسة كعرائس الفردوس بين حقوله
تتلو اناشيد الهوى في مده وقفوله

هو جدول الحب الذي قد كان في قلبي الخضل
بمراشف الأحلام - منطلقاً - يسير على مهل

يتلو على سمعي أغاريد الحياة الطاهره
ويثير في قلبي اناشيد الخلود الساحره

تقف العذارى الخالدات... عرائس الشعر البديع
في ضفتيه ، مرددات نغمة الحلم البديع

يلمسن من قيثاره الاحلام أوتار الغزل
فتفيض الحان الصباية عذبة مثل الأمل

وتطير بالبسمات والانغام اجنحة الصدى
في ذلك الافق الجميل وذلك النسم الرخا

وهناك حيث تعانق البسمات أحنان الغزل
يتمايل الحلم الجميل ... كبسمة القلب الثمل

هو جدول ، قد فجرت ينبوعه في مهجتي
اجفانُ فاتنة أرتنيها الحياة لشقوتي

اجفانُ فاتنة تراءت لي على فجر الشباب
كعروسة من غايات الشعر في شفق السحاب

ثم اختفت خلف السماء وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالدات يمسن ما بين النجوم

•
ثم اختفت ، أو اه ! طائرة بأجنحة المتون
نحو السماء، وها أنا في الارض تمثال الشجون !

•
قد كان ذلك كله بالأمس ! بالامس البعيد
والامس قد جرفته مقهوراً يد الموت العتيد !!

•
قد كان ذلك تحت ظل الامس والماضي الجميل
قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الافول

•
واليوم اذ زالت ظلال الامس عن زهري البديع
وتجلبب الزهر الجميل بظلمة الليل المريع

•
ذبلت مراشفه ، فأصبح ذاوياً ، نضو الكوم
وهوى لان الليل أسمعته اناشيد الوجوم

•
بالامس قد كانت حياتي كالسما الباسمه
واليوم قد امست كاعماق الكهوف الواجمه

إذ أصبح النبع الجميل يسير في وادي الألم
متعراً بين الصخور يغور في تلك الظلم

•

جفت به امواج ذياك الغرام الآفل
فدفقت فيه الدموع بصوبها المتهاطل

•

قد حجبت غيوم احزان الوجود القائمة
قد أخرسته مرارة القلب العيس الظالمة

•

جمدت على شفتيه انغام الصبابة والهوى
وقضت اغاني الحب في اعماقه لماً هوى

•

وغدت به الامواج جامدة الملامح قائمه
قد اسكتتها لوعة الروح الحزين الواجمه

•

غاضت أمانيتها وغار بها الجمال الساحر
فاصابها - لهفأ عليه - الاكئاب الكافر

•

في شفتيه عرائس الاشعار تنصب ماتماً
يهرقن فيه الدمع ، حتى يلطم الدمع الدما

•

فيسيل الدمع الدامي لقلب الجدول
حيث المرارة والاسى بين الزهور الذبل



وينحن حتى يفعم الأفاق صوت الالتحاب
فتسير أصداء النياحة نحو أطباق الضباب



وهناك ما بين الضباب الأقم الساجي الكئيب
تهتز آلامى وتخلج الكآبة ، والنحيب



النشوة الرعْرُ

في سكون الليل لما عانق الليل الخشوع
واختفى صوت الأمانى خلف آفاق الهجوع

رتل الرعد نشيداً رددته الكائنات
مثل صوت الحق انصاح باعماق الحياة

يتهادى بضجيج في خلايا الاودية
مثل جبار من الحق بأقصى الهاوية

وسألت الليل والليد ل كئيب ورهيب
شاخصاً بالليل والليد ل جميل وغريب

أترى انشودة الرعد د انين وحنين
رئمتها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟

ام هي القوة تسعى باعتساف واصطناب
يتراءى في ثانيا صوتها روح العذاب ؟

غير ان الليل قد ظ ل ركوداً جامداً
صامتاً مثل غدير ال قفر من دون صدى

يا شعر

يا شعر أنت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر! أنت صدى نحيب القلب، والصب الغريب
يا شعر! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر! أنت دمٌ تفجّر من كلوم الكائنات
يا شعر! قلبي - مثلما تدري - شقيٌّ مظلّمٌ
فيه الجراح النجل، يقطر من مغاورها الدمّ
جمدت على شفّتيه أرزاء الحياة العابسه
فهو التعيس، به مرارات القلوب البائسه
أبدأ ينوح بحرقه بين الاماني الهاويه
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الداويه
كم قد نصحت له بأن يسلو، وكم عزيته
فأبى، وما أصغى الى قولي، فما أجديته
كم قلت: صبراً يا فؤاد، أما تكفّ عن النحيب؟
فاذا تجلّدت الحياة، تبددت شعل اللهب

يا قلب! لا تجزع أمام تصلب الدهر الحصور
فاذا صرخت توجعاً هزئت بصرختك الدهور

يا قلب! لا تسخط على الايام ، فالزهر البديع
يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الريح
يا قلب! لا تقنع بشوك اليأس ، من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عنوبة الامل الجسور
يا قلب! لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة لا ترحم

لكن قلبي ، وهو مخضّل الجوانب بالدموع
جاشت به الاحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع
يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجلي
غرداً ، كصداح الهوائف في الفلا ، ويقول لي :
طهر كلومك بالدموع ، وخلصها وسيلها
إن المدامع لا تضيع ، حقيرها وجليلها
فمن المدامع ما تدفع جارفاً حسك الحياة
يرمي لهاوية الوجود بكل أشواك الطغاة

فأرحم مضاضته ونح معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه
ردد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه
فلعل قلب الليل أشفق بالقلوب الباكية !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجارية !
كم حركت كف الاسى اوتار ذياك الحنين
فتهاملت أحزان قلبي في أغاريد الانين
ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفت فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون
فعسى يكون الليل ارحم ، فهو مثلي يندب
وعسى يصون الزهر دمعي ، فهو مثلي يسكب !

* * *

قد قنعت كف السماء الموت بالصمت الرهيب
فعدا كأعماق الكهوف ، بلا ضجيج أو وجيب
يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قاس ، والدجى طيف رحيم
ما للمنية لا ترق على الحياة النائحة؟!
سيان أفئدة تن ، او القلوب الصادحة

يا شعر هل خلق المنون بلا شعور كالجماد؟
لا رعشة تعرو يديه إذا تملّقه الفؤاد؟

أرأيت ازهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت الى صدر التراب ، وقد قضت أشواقها؟
أرأيت شحور الفلا مترنماً بين الغضون
جمد النشيد بصدرة لما رأى طيف المنون ؟
فقضى وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهرة
وهوى من الاغصان ، ما بين الزهور الباسرة
أرأيت أمّ الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد
لما تناوله بعنف ساعد الموت الشديد ؟
أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبور
بيكي حبيته ؟ فيا لمصارع الموت الجسور !

طفحت بأعماق الوجود سكينه الصبر الجليل
لما رأى عدل الحياة يضمه للحد الكنود
فتدفقت لحناً ، يردده على سمع الدهور
صوت الحياة بضجة .. تسعى على شفة البحور

يا شعر ؟ أنت نشيد امواج الخضم الساحرة
الناصعات الباسمات ، الراقصات ، الطاهرة
السافرات ، الصادحات مع الحياة الى الابد؟
كعرائس الأمل الضحوك يمسسن ما طال الامد

ها أن أزهار الربيع تبسمت اكمامها
ترنو الى الشفق البعيد ، تغرها أحلامها
في صدرها أملٌ يحرق نحو هاتيك النجوم
لكنه أمل ستلحده جابرة الوجوم
فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيم في جو ذياك السبات
ها أنها همست بأذان الحياة غريدها
فثلت عصافير الصباح صداها ونشيدها
يا شعر ! انت نشيد هاتيك الزهور الباسمة
يا ليتني مثل الزهور بلا حياة واجمة

ان الحياة كثيبة ، مغمورة بدموعها ...
والشمس أضجرتها الأسي ، في صحوها وهجوعها

فتجرعت كأساً دهاقاً من مشعشة الشفق
فتمايلت سكرى، الى كهف الحياة .. ولم تفق
يا شعر انت نحيتها لما هوت لسباتها
يا شعر ! انت صداحها ، في موتها ، وحياتها

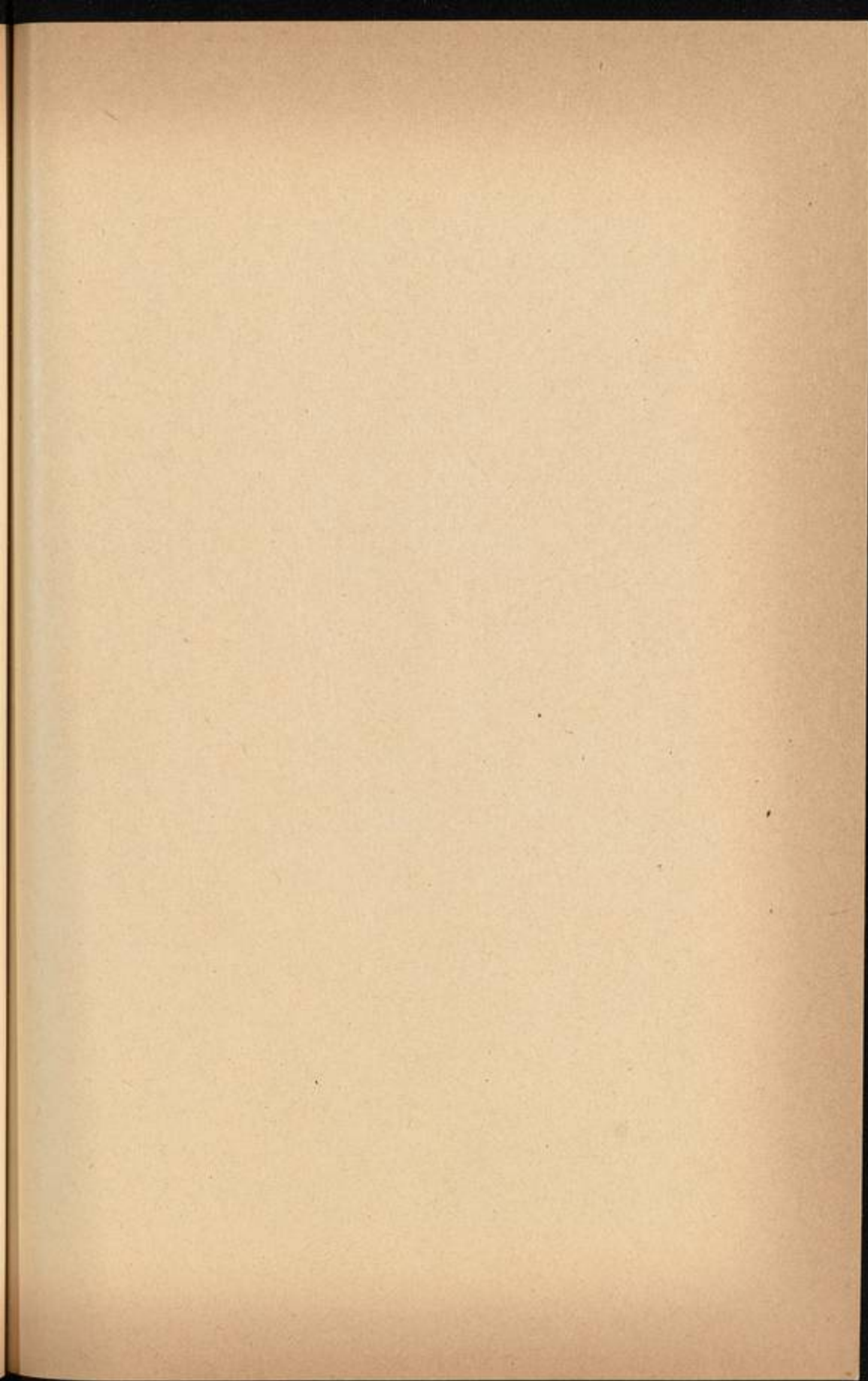
انظر الى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبال
بشعاعه الخلاب يغمرها بيسمات الجمال
فيثير في النفس الكئيبة عاصفاً لا يركد
ويؤجج القلب المعذب شعله لا تخمد

يا شعر ! أنت جمال اضواء الغروب الساحرة
يا همس امواج المساء الباسمات الحائرة

يا شعر ! يا قيثاره الاحلام ! يا ابن صابتي !
لولاك مت بلوعتي ، وبشقوتي ، وكآبتي
فيك انطوت نفسي ، وفيك سكبت كل مشاعري
فاصدح على قمم الحياة ، بلوعتي ، يا طائري

القسم الثاني

(ما بعد العشرين)



مُتَاجَاة

أنت يا شعر فلذة من فؤادي
 فيك ما في جوانحي من حنين
 فيك ما في خواطري من بلاء
 فيك ما في مشاعري من وجوم
 فيك ما في عوالي من ظلام
 فيك ما في عوالي من نجوم
 فيك ما في عوالي من ضباب
 فيك ما في طفولتي من سلام
 فيك ما في شيبتي من أمان
 فيك ما في شيبتي من قنوط
 فيك تشدو مع الربيع طيوري
 فيك ألقى بذور نفسي فتلفي
 فيك أجنني في الصيف ما بذرت نفسي حواليك من بذور الخلود
 فيك ترعى من الحريف أعاصيري ، وتدوي صواعقي وزعودي

فيك تذوي زهور قلبي فتلقى ما لها من غدائر ، وبرود
فيك يبدو شتاء نفسي عبوساً شاحب اللون عاري الاملود
كلته الحياة بالحزن الدامي وغشته بالرياح السود

انت يا شعر صفحة من حياتي انت يا شعر قصة من وجودي
انت يا شعر - ان فرحتُ - أغاريدي ، وان رنت الكآبة عودي
انت يا شعر كأس خمر جميل أتلهى بها خلال اللحد
أتحساه في الصباح لأنسى ما تقضى في أمسي المفقود
وأناجيه في المساء ... لألهو بحمياه عن ظلام الوجود
انا لولاك لم أطق عنت الدهر ، ولا فرقة الصباح البعيد
انت ما نلتُ من كهوف الليالي وتصفحت من كتاب الخلود
فيك ما في حقيبة الكون من عقد حصى زائف ودر نضيد
فيك ما في الوجود من حلك داج ، وما فيه من ضياء بعيد
فيك ما في الوجود من نغم حلو وما فيه من زئير الاسود
فيك ما في الوجود من جبل وءر ، وما فيه من حضيض وهيد
فيك ما في الوجود من حسك يد مي ، وما فيه من غضيض الورود
فيك ما في الوجود من زهر حلو وما فيه من هشيم حصيد
فيك ما في الوجود من وهج الصي ف وما فيه من شتاء عتيد
فيك ما فيه من خريف حزين فيك ما فيه من ربيع جديد

فيك ما في الوجود حب بنوا لدنيا قصيدي أم لم يجبوا قصيدي !
فسواء على الطيور اذا غنت هتاف الشؤوم والمستعيد
وسواء على النجوم اذا لا حت هدوء الدجى وقصف الورود
وسواء على الورود أفي الغيران فاحت أم بين نهد وجيد !



الذميمة بالحياة

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي
اني سأظماً للحياة، واحتسي
واعود للدينا بقلب خافق
ولكل ما في الكون من صور المني
حتى تحركت السنون وأقبلت
فاذا أنا طفل الحياة المنتشي
وإذا التشاوم بالحياة ورفضها
ان ابن آدم في قرارة نفسه
ومشاعري عمياء بالأحزان
من كأسها المتوهج النشوان
للحب والأفراح والألحان
وغرائب الأهواء والأشجان
فتن الحياة بسحرها الفنان
شوقاً الى الاضواء والألوان
ضرب من البهتان والهديان
عبد الحياة الصادق الايمان



الجمال المنسود

يا عذارى الجمال والحب والأحلام ، بل يا بهاء هذا الوجود
 قد رأينا الشعور منسدلات كللت حسنها صباح الورود!
 ورأينا الحدود ضرجها السحر! فأها من سحر تلك الحدود
 ورأينا الشفاه تبسم عن دذ يا من الورد غضة أملود!
 ورأينا الجفون تبسم او تحلم م سكرى بالشدو : بالتغريد
 ورأينا النهود تهتز كالأزهار في نشوة الشباب السعيد
 توقظ الوجد في القلوب ولكن ليت شعري! ماذا وراء النهود؟
 ما الذي خلف هذه الفتنة الغراء في ذلك القرار البعيد؟
 أنفوس جميلة كطيور الغاب ب تشدو بمسرق النشيد
 طاهرات كأنها أرج الأزهار ر في مولد الربيع الجديد!
 وقلوب وضيئة كنجوم الليل ل ضواعة كغض الورود!
 أم ظلام كأنه قطع الليل ل وهول يشيب رأس الوليد
 وخضم يموج بالأثم والمنكر ر والشر والضلال المديد

صانكن الأله من ظلمة الروح ومن ضلة الضمير العنيد
فضلام النفوس شر ظلام سرمدي الاسى شنيع الخلود
يرزح القلب فيه بالالم المر ويشقى بعيشه المنكود
ووراء الشباب يذبل كالأو راق في ثورة الخريف العتيد
غير باق في الكون الاجمال الرو ح غضاً على الزمان الأيد



يا ابن لامي

خلقت طليقاً كضيف النسيم
تفرد كالطير أين اندفعت
وتمرح بين ورود... الصباح
وتمشي كما شئت بين المروج
كذا صاغك الله يا ابن الوجود
فما لك ترضى بذل... القيود
وتسكت في النفس صوت الحياة!!
وتطبق اجفانك الناعسات...
وتقنع بالعيش بين الكهوف
أتخشى نشيد السماء الجميل؟
ألا انهض وسر في سبيل الحياة
وحرراً كنور الضحى في سماه
وتشدو بما شاء وحي الاله
وتنعم بالنور أنى... تراه
وتقطف ورد الربى في رباه
وألقتك في الكون هذي الحياه
وتحني لمن كبلوك الجباه؟!
قوي إذا ما نغنى صداه
عن الفجر والفجر عذب ضياه
فأين النشيد؟ واين الأياه؟
أترهب نور السما في فضاء؟
فمن نام لم تنتظره الجياه!!

ولا تخش مما وراء القلاع فما ثم الا الضحى في صباه
والاربع الوجود الغرير...، يطرز بالورود ضافي رداه !
والا أريج زهور الصباح ورف الأشعة بين المياه !!
والاحمام المروج الانيق يغرد مندفعاً في غناه !
الى النور فالنور عذب جميل الى النور فالنور ظل الاله !



الى طغاة العالم

الا أيها الظالم المستبدُ حبيب الفناء عدو الحياة
سخرت بأناث شعب ضعيف وكفك مخضوية من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسي في رباه

* *

رويدك لا يخذعك الربيعُ وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزأن بنسوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجن الجراح!

* *

تأمل هناك أنى حصدت رؤوس الورى وزهور الامل
ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدما ويأكلك العاصف المشتعل!

ارادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر !!
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر !!
ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندرثر
كذلك قالت لي الكائنات
وحدثني روحها المستتر

ودمدت الريح بين الفجاج
وفوق الجبال وتحت الشجر:
« إذا ما طمحت إلى غاية
لبست المنى وخلعت الخنزير !
ولم اتخوف وعود الشعاب
ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال
يعش ابد الدهر بين الحفر » !
فبعثت بقلبي دماء الشباب
وضجت بصدري رياح آخر
وأطرقت أصغني لعزف الرياح
وقصف الرعود ، ووقع المطر
وقالت لي الارض لما تساءلت يا ام هل تكرهين البشر !؟
« ابارك في الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر !

وألعن من لأ يماشي الزمن ويقنع بالعيش عيش الحُجر !
هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر !
فلا الافق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر !
ولولا أمومة قلبي الرؤوم لفرت عن الميت تلك الحفر !
فويل لمن تشقّه الحيا ة من لعنه العدم المنتصر !

وفي ليله من ليالي الخريف مثقلة بالأسى والضرر
سكرت بها من ضياء النجوم وغنيت للنهر حتى سكر !!
سألت الدجى هل تعيد الحياة لمن أذبلته ربيع العمر ؟
فلم يتكلم فؤاد الظلام ولم تترنم عنارى السحر
وقال لي الغاب في رقة محببة مثل خفق الوتر :
« يجيء الشتاء شتاء الضباب شتاء الثلوج شتاء المطر
فينظفء السحر ، سحر الغصون وسحر الثمار ، وسحر الزهر
وسحر السماء القوي البديع وسحر المروج الشهي العطر
وتهوى الغصون واوراقها وازهار عهد جميل نضر
وتلهو بها الريح في كل واد ويدفنها السيل انى عفر
ويفنى الجميع كحلح بديع تألق في مهجة واندثر
وتبقى البذور التي حملت ذخيرة عمر جميل غير
وذكرى فصول ، ورؤيا غيوم واشباح دنيا تلاشت زمر

معانقة وهي تحت الثلوج وتحت الضباب وتحت المدر
 لطيف الحياة الذي لا يمل وقلب الريح الجميل العطر
 وحالة بأغاني الطيور وعطر الزهور ، وطعم الثمر
 ويمشي الزمان ، قنمو صروف وتذوي صروف ، وتحيا آخر
 وتصبح ، احلامها يقظة موشحة برداء السحر
 تسائل : أين ضباب الصباح وسحر المساء ، وضوء القمر
 وأسراب ذلك الفراش الجميل ونحل يغني ، وغيم يمر ؟
 ظمئت الى النور فوق الغصون ظمئت الى الظل تحت الشجر
 ظمئت الى النبع بين المروج يغني ويرقص فوق الزهر
 ظمئت الى الكون .. اين الوجود وأين أرى العالم المنتظر ؟!
 هو النور بين رحاب الفضاء وفي عالم اليقظات الكبر !
 وما هو الا كخفق الجنا ح حتى نما شوقها واتصر !
 فصعدت الارض عن صدرها وابصرت النور عذب الصور !
 وجاء الريح بأطيافه واحلامه وصباه النضر
 وقبلها قبلة في الشفاه تعيد الشباب الى ما غير
 وقال لها قد منحت الحياة وخذت من نسلك المدخر
 ومن ناجت النور احلامه يباركه النور اني ظهر !
 اليك الفضاء ، اليك الضياء اليك الثرى الحالم المزدهر !
 فيسدي كما شئت فوق المروج بحلو الثمار ، وغض الزهر

وناجي النسيم وناجي الغيوم وناجي النجوم ، وناجي القمر
ولا تسأمي نعمات الحياة ولا فتنة العالم المعبر « !!

* * *

وشفّ الدجى عن جمال عميق قوي الغواية ، حلو الصور
وُمدّ على الكون سحر غريب يصرفه ساحر مقتدر
وضاءت شموع نجوم السماء وضاع البخور . يخور الزهر
ورفرف روح غريب الجمال بأجنحة من ضياء القمر
ورن نشيد الحياة المقدس في هيكل حالم قد سحر
وأعلن في الكون ان الطموح حبيب الحياة وروح الظفر
إذا طمحت للحياة النفوس فلا بد ان يستجيب القدر !!



صَلَوَاتٌ فِي هَيْكَلِ الْحُبِّ

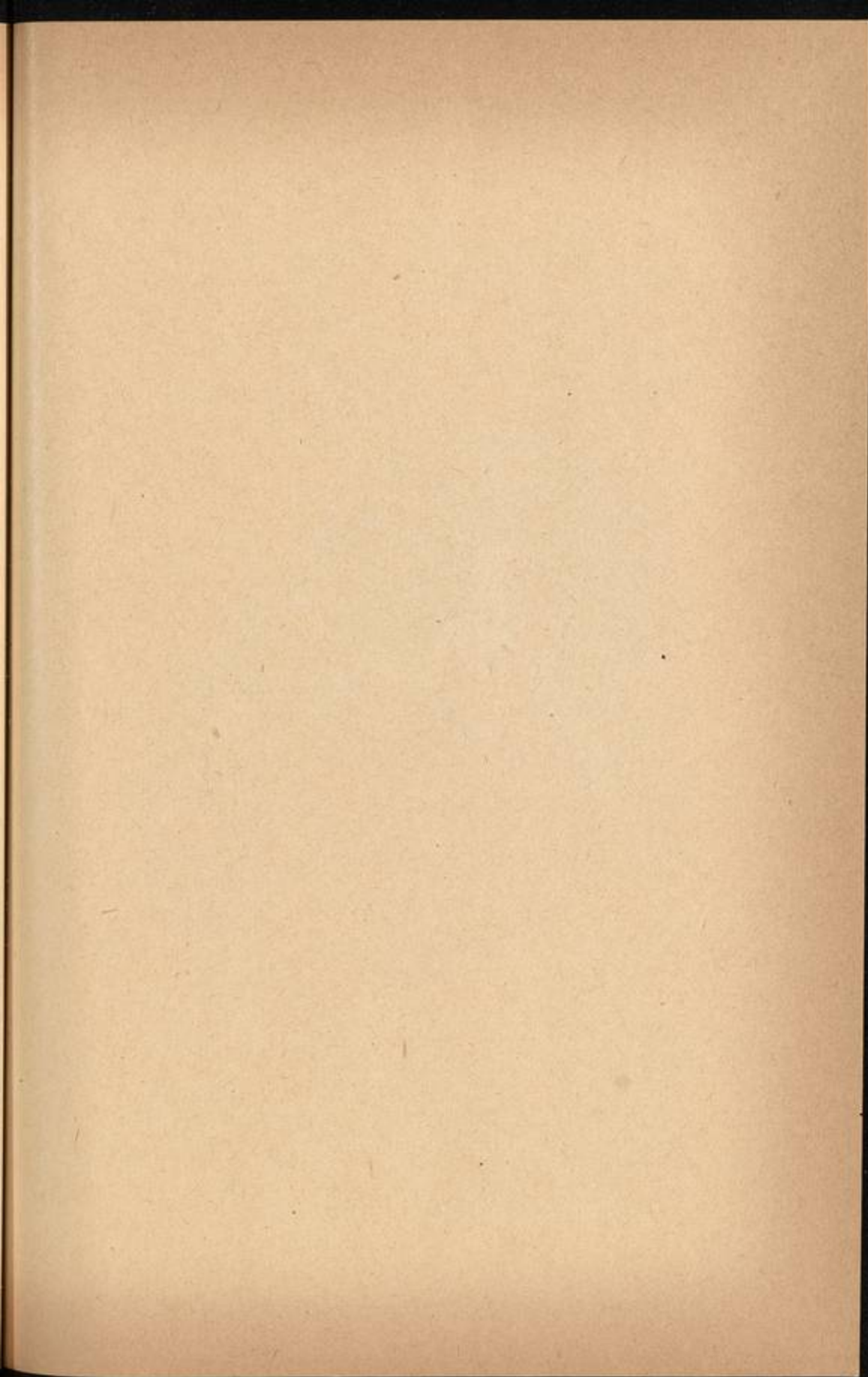
عذبه انت كالطفولة كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد !
 كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد !
 يا لها من طهارة تبعث التقديس ، في مهجة الشقي العنيد !
 يا لها رقة ، يكاد يرف الورود منها في الصخرة الجلمود !
 أي شيء تراك؟ هل انت فيني س تهادت بين الورى من جديد؟
 لتعيد الشباب والفرح المعسول للعالم التعيس العميد !
 ام ملاك الفردوس جاء الى الارض ليحيي روح السلام العميد
 انت ما انت؟ انت رسم جميل عبقرى من فن هذا الوجود
 فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود !
 انت ما انت؟ انت فجر من السحر تجلى لقلبي المعمود !
 فأراه الحياة في مونق السحر وجلدي له خفايا الخلود !
 انت روح الربيع تختال في الدنيا ، فتتهز رائعات الورود
 وتهب الحياة سكرى من العطر ، ويدوي الوجود بالتغريد !



يا ابنة النور ا انني انا وحدي

من رأى فيك روعة المعبودي ا

« صلوات في هيكل الحب »



كلما أبصرتك عياني تمشين بخطو ، موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورفّ الزهر في حقل عمري المجرود
وانتشت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد !
أنت تحيين في فؤادي ما قد مات في أمسي السعيد الفقيد
وتشيدين في خرائب روحي ما تلاشى في عهدي المحدود
من طموح الى الجمال، الى الفن الى ذلك الفضاء البعيد
وتبئين رقة الشوق والأحلام والشجو ، والهوى في نشيدي !
بعد ان عانقت كأبة أيامي فؤادي وألجمت تغريدي
أنت أنشودة الأناشيد غنا ك اله الغناء رب القصيد !
فيك شب الشباب وشحه ال سحر، وشدو الهوى وعطر الورود
وتراءى الجمال يرقص رقصاً قدسياً على اغاني الوجود !
وتهاوت في افق روحك اوزا ن الاغاني ، ورقة التغريد !
فتمايلت في الحياة كلحن عبقري الخيال ، حلو النشيد
خطوات سكرانة بالأناشيد وصوت كرجع ناي بعيد !
وقوام يكاد ينطق بالالحن في كل وقفة وعود !
كل شيء موقع فيك حتى لفظة الجيد، واهتزاز النهود !!
انت ... انت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجي الفريد !
انت ... انت الحياة في رقة الفجر وفي رونق الربيع الوليد !
انت ... انت الحياة كل أوان في رواء من الشباب جديد !

أنت دنيا من الأناشيد والأحلام ، والسحر ، والخيال المرید !
أنت فوق الخيال ، والشعر ، والفن ، وفوق النهى ، وفوق الحدود !
أنت قدسي ومعبدي وصباحي وريعي ، ونشوتي ، وخلودي !

يا ابنة النور اني انا وحدي من رأى فيك روعة المعبود !
فدعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المعبود ؟
عيشة للجمال والفن والالهام والطهر والسنى ، والسجود !
عيشة الناسك البتول يناجي الرب في نشوة الدهول الشديد !
وامنحيني السلام والفرح الروحي ، يا ضوء فجرى المنشود !
وارحميني فقد تهدمت في كون من اليأس والظلام مشيد
انقذيني من الأسى فلقد امسيت لا أستطيع حمل وجودي
في شعاب الزمان والموت أمشي تحت عبء الحياة جم القيود
واماشي الورى ونفسي كالقبر ، وقلبي كالعالم المهود !
ظلمة ما لها ختام وهول شائع في سكونها الممدود
وإذا ما استخفي عبث الناس تبسمت في أسى وجمود
بسمه مرة كأنى استل من الشوك ذابلات الورد !
وانفخي في مشاعري الدنيا وشدي من عزمي المجهود
وابعثي في دمي الحرارة علّى اتغنى مع المنى من جديد !
وأبث الوجود أنغام قلب بلبلي مكبل بالحديد !

فالصباح الجميل ينعش بالدفء حياة المحطم المكدود !
أقذيني فقد سئمت ظلامي انقذيني فقد مللت ركودي

آه يا زهرتي الجميلة لو تدرين ما جدّ في فؤادي الوحيد !
في فؤادي الغريب تخلق أكوان من السحرات حسن فريد
وشمس وضياء ونجوم تنثر النور في فضاء مديد
وربيع كأنه حلم الشاعر في سكرة الشباب السعيد
وربابة لا تعرف الحلك الداجي ، ولأثرة الخريف العتيد
وطيور سحرية تتناغى بأناشيد حلوة التغريد
وقصور كأنها الشفق المخضوب ، او طلعة الصباح الوليد
وغيوم رقيقة تتهاذى كأباديد من ثار الورود
وحياة شعرية هي عندي صورة من حياة أهل الخلود
كل هذا يشيده سحر عينيك والهيام حسنك المعبود !
وحرام عليك ان تهدمي ما شاده الحسن في الفؤاد العميد
وحرام عليك ان تسحقي آمال نفس تصبو لعيش رغيد !
منك ترجو سعادة لم تجدها في حياة الورى وسحر الوجود !
فالاله العظيم لا يرحم العبد ، اذا كان في جلال السجود !

الساحرة

راعها منه صمته ووجومه وشجاهها شحوبه وسهومه
 فاطلت بوجهها الباسم الخا و على خده بسحر يهيمه
 وامرت كفا على شعره العا ري برفق كأنها ستيمه
 ثم قالت كأنها تتغنى بشجي من الاغاني تلومه :
 ايها الطائر الكئيب تغرد ان شدو الطيور حلورخيمه
 واجبنى - فدتك نفسي - ماذا؟ امصاب؟ ام ذاك أمر ترومه؟
 بل هو الفن واكتابه والفن ان جم احزانه وهمومه
 ابدأ يحمل الوجود بما فيه كأن ليس للوجود زعيمه
 خل عبء الحياة عنك وهيا بمحيا كالصبع طلق أديمه
 فكثير عليك ان تحمل الدن يا وتمشي بوقرها لا تريمه
 والوجود العظيم أقعد في الما ضي فما انت ربه فقيميه
 وامش في روضة الشباب طروباً فحواليك ورده وكرومه
 واتل للحب والحياة اغانيه ك وخل الشقاء تدمي كلومه

واحتضني فأنتي لك حتى
 ودع الحب ينشد الشعر لليل
 واقطف الورد من خدودي وجي
 ان للبيت لهوه الناعم الحلا
 وارشف من فمي الاناشيدسكا
 وانس ما في الحياة فالعمر فقر
 وادم لليل والضباب بعيداً
 والهوى والشباب والمرج المع
 هي فن الحياة يا شاعري الفذ
 تلك يا فيلسوف فلسفة الكو
 وهي انجيله الجميل فصدقه
 يتوارى هذا الدجى ونجومه
 فكم يسكر الظلام رنيمه
 لدي ونهودي وافعل به ما ترومه
 ووللكون حربه وهمومه
 رى فالهوى ساحر الدلال وسيمه
 مرعب اذ ذوى وجف نعيمه
 فنك العابس الكثير وجومه
 سول تشدو أفانه ونسيمه
 ان بل لب فنا وصميمه
 ن ووحي الوجود هذا قديمه
 والا فللغرام ججيمه

فرماها بنظرة غشيتها
 وتلاها بيسمة قطقتها
 ما تريد الهموم من عالم ضا
 سكرة الحب والأسى وغيومه
 شفة غضة الشباب رؤومه
 ات مسراته وغنت نجومه

ليلة أسبل الغرام عليها سحره الناعم الطيرير نعيمه
وتغنى في ظلها المرج اللا هي فجف الأسي وخر هشيمه
اغرق الفيلسوف فلسفة الا > زان في خمرها، فمن ذيلومه؟

ان في المرأة الجميلة سحراً عبقرياً يذكى الاسى ترنيمه!







قد سكرنا بجنبنا واكتفينا
يامدبو الكوهوس فاصرف كوهوسك
« الحاني السكوى »

الحائني السكري

قد سكرنا بحبنا واكتفينا يا مديركووس فاصرف كووسك
واسكب الخمر للعصافير والنحل وخل الثرى يضم عروسك

**

ما لنا والكووس نطلب منها نشوة والغرام سحر وسكر؟!
خلنا منك فالربيع لنا سا ق وهذا الفضاء كأس وخمر!!

**

نحن نحيا كالطير في الافق الـ ساجي وكالنحل فوق غض الزهور
لا نرى غير فتنة العالم الحي واحلام قلبها المسحور!

**

نحن نلهو تحت الظلام كطفلي ن سعيدين في غرور الطفوله
وعلى الصخرة الجميلة في الوادي وبين المخاوف المجهوله

**

نحن نعدو بين المروج ونعدو ونغني مع النسيم المغني

ونناجي روح الطبيعة في الكون ونصفي لقلبها المتغني

**

نحن مثل الربيع نمشي على أرض من الزهر والرؤى والخيال
فوقها يرقص الغرام ويلهو ويغني في نشوة ودلال

**

نحن نحيا في جنة من جنان السحر في عالم بعيد ... بعيد
نحن في عيشنا المورده، تتلو سور الحب للشباب السعيد!

**

قد تركنا الوجود للناس فيلقض وا عليه الحياة كيف ارادوا
وذهبنا بلبه ، وهو روح وتركنا القشور . وهي جماد

**

قد سكرنا بحبنا واكتفينا طفح الكأس فاذهبوا يا سقاة
نحن نحيا فلا نريد مزيداً حسبنا ما منحتنا يا حياة

**

حسبنا زهونا الذي يشئ حسبنا كأسنا التي نتشرف
ان في ثغرنا رحيقاً سماويراً وفي قلبنا ربيعاً مفوفاً ...!

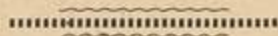
**

ايها الدهر ايها الزمن الجار ري الى غير وجهة وقرار
ايها الكون ايها الفلك الدوار ، بالفجر ، والدجى والنهار

ايها الموت ايها القدر الاء مى اقفوا حيث اتمم ، اوفسيروا
ودعونا هنا تغني لنا الاحـ لام والحب والوجود الكبير

**

واذا ما ايتم فاحملونا ولهيب الغرام في شفقتنا
وزهور الحياة تعبق بالعط ر وبالسحر والصبأ في يدينا



تحت النُصُور

ها هنا في خمائل الغاب، تحت الزان والسنديان والزيتون
انت اشهى من الحياة وابهى من جمال الطبيعة الميمون
ما ارق الشباب في جسمك الغض وفي جيدك البديع الثمين !
وادق الجمال في طرفك الساهي وفي ثغرك الجميل الحزين !
والذ الحياة حين تغنين فاصغي لصوتك المحزون
وارى روحك الجميلة عطراً ضايحاً في حلاوة التلحين !
قد تغنيت منذ حين بصوت ناعم ، حالم ، شجي حنون
نغمأ كالحياة عذباً عميقاً في حنان ، ورقة ، وحنين
فاذا الكون قطعة من نشيد علوي ، منغم ، موزون
فلمن كنت تشدين ؟ فقالت : « للضياء » البنفسجي الحزين
للضباب المورد المتلاشي كخيالات حالم مفتون
للمساء المطل ، للشفق الساجي لسحر الاسى ، وسحر السكون
للعبير الذي يرفرف في الأفق ويفنى ، مثل المنى في سكون
للاغانى التي يرددها الراعي بمزمارة الصغير الامين

للربيع الذي يؤجج في الدنيا حياة الهوى وروح الحنين
ويوشي الوجود بالسحر، والاحلام
للحياة التي تغني حوالي
للينابيع ، للعصافير ، للظل ،
للنسيم الذي يضمخ احلامي
للجمال الذي يفيض على الدنيا
للزمان الذي يوشح ايامي
للشباب السكران ، للامل المعبود
على السهل ، والربى ، والحزون
لهذا الثرى ، لتلك الغصون
بعطر الاقحاح والليمون
لاشواق قلبي المشجون
بضوء المنى ، وظل الشجون
للأس ، للاسى ، للمنون

**

فتهدت ، ثم قلت : « وقلبي »
من يغنيه ؟ من يجيب شجوني ؟
قالت : « الحب » ثم غنت لقلبي
قبلاً عبقرية التلحين
علمت فؤادي الاغاني
وانارت له ظلام السنين
قبلاً ، ترقص السعادة والحب
على لحنها العميق الرصين

**

واقفنا ، فقلت كالحالم المسحور :
قولي ، تكلمي ، خبريني
اي دنيا مسحورة ؟ اي رؤيا
طلعتني في ضوء هندي العيون ؟
زمر من ملائك العالم الاعلى
يغنون في حو حو حو
وصبايا رواقص ... يتراشقن
بزهرة التفاح والياسمين
في فضاء ، مورد ، حالم ، ساه
اطافت به عذارى الفنون

وجحيم توج تحت فراديس كأحلام شاعر مجنون!
 اي خمر مؤجج ، ولهب مسكر؟ اي نشوة وجنون؟
 اي خمر رشفت؟ بل اي نار؟ في شفاه ، بديعة التكوين
 وردتها الحياة في لهب السحر ، ونور الهوى ، وظل الشجون
 اي إثم مقدس قد لبسنا برده في مسائنا الميمون؟
 فبدى طيف بسمة ساحر، عذب على ثغرها ، قوي الفتون
 واجابت ... وكلها فتنة تغوي وتغري بالحب بل بالجنون :
 ابدأ انت حالم .. فاسأل الليل فعند الظلام علم اليقين

وسكتنا. وغرد الحب في الغاب فاصغى حتى حفيف الغصون
 وبنى الليل والريبع حوالينا من السحر ، والرؤى، والسكون
 معبداً للجمال والحب، شعريا مشيداً على فجاج السنين
 تحته يزخر الزمان ويجري صامتاً في مصبه المحزون
 وتمر الآلام، والحزن، والموت بعيداً عن ظله المأمون
 معبداً ساحراً ، يتوجه الزهر على الصخر ، والثرى، والغصون
 كل زهر يضوع منه اربيع من بخور الربيع ، جم الفتون
 ونجوم السماء فيه شموع اوقدتها للحب روح القرون
 ومضت نسمة توسوس للغاب وتشدو في عمق ذاك السكون
 وطفى السحر والغرام بقلبي فتوسلت... ضارعاً.. بجفوني:

طهري يا شقيقة الروح تغري بلبيب الحياة بل قبليني !
ان نار الحياة ، والكوثر المنشود في ثغرك الشهي الحزين
فهو كأس سحره لرحيق الخلد قد صاغها اله الفنون
قبليني ، وأسكري ثغرك الصادي وقلبي ، وفتتي ، وجنوني
علني استطيع ان اتغنى لجمال الدجى بوحى العيون
آه ! ما اجمل الظلام ! واقوى وحيه في فؤادي المفتون !



قلب الشاعر

كل ما هب وما دب وما قام او حام على هذا الوجود
من طيور وزهور وشذى ونباع واغصان تميد
وبحار وكهوف وذرى وديار وبراكين وييد
وضياء وظلال ودجى وفصول وغيوم ورعود
وثلوج وضباب عابر وأعاصير وامطار تجود
وتعاليم ودين ورؤى وأحاسيس وصمت ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة غضة السحر كأطفال الخلود
ها هنا في قلبي الرحب العميق يرقص الموت وأطياف الوجود
ها هنا تعصف احوال الدجى ها هنا تخفق آلام الورود
ها هنا تهتف اصداء الفنون ها هنا تعزف ألحان الخلود
ها هنا تمشي الأمانى والهوى

والأسى ؛ في موكب فخم النشيد

ها هنا الفجر الذي لا ينتهي
ها هنا الليل الذي ليس يبيد !
ها هنا ألف خضم ثائر
خالد الثورة مجهول الحدود
ها هنا في كل أن تمحي
صور الدنيا وتبدو من جديد !



الأبد الصغير

يا قلب ! كم فيك من دنيا محجة
 كأنها حين يبدو فجرها « إرم »
 يا قلب ! كم فيك من كون قد انقادت
 فيه الشمس وعاشت فوقه الأمم
 يا قلب ! كم فيك من افق تنمقه
 كواكب تتجلى ، ثم تنعدم
 يا قلب ! كم فيك من قبر قد انطفأت
 فيه الحياة وضجت تحته الرمم
 يا قلب ! كم فيك من غاب ومن جبل
 تدوي به الريح او تسمو به القمم
 يا قلب ! كم فيك من كهف قد انبجست
 منه الجداول تجري ما لها لجم
 يا قلب ! كم فيك من غصن مزهراً نضراً
 او وردة لم تشوه حسنها قدم
 يا قلب ! كم فيك من تيار مندفعاً
 الى البحار ، تغني فوقها الديم
 يا قلب ! كم فيك من سحرا ميثاً ، قد انفجرت
 في مقلتيه جراح جمّة ودم
 يا قلب ! انك كون مدهش عجب
 ان تسأل الناس عن آفاقه يجموا
 كأنك الأبد المجهول قد عجزت
 عنك النهى واكفهرت حولك الظلم !

يا قلب ! كم من مسرات وأخيلة ولذة ، يتحامي ظلها الألم

غنت لفجرك صوتاً حالمًا ، فرحاً
وكم رأى ليلك الاشباح هائمة
ورفرف الألم الدامي بأجنحة
وكم مشت فوقك الدنيا بأجمعها
وشيدت حولك الايام ابنة
نشوان ، ثم توارت وانتقضى النغم
مدعورة تهاوى حولها الرجم
من اللبيب ، وانّ الحزن والندم
حتى توارت ، وسار الموت والعدم!
من الأناشيد ، تبني ، ثم تنهدم

تمضي الحياة بماضيها وحاضرها
وانت، انت الخضم الرحب، لافرح
وتذهب الشمس والشيطان والقمم
يبقى على سطحك الطاغى، ولا ألم

يا قلب! كم قد تمليت الحياة ، وكم
وكم توشحت من ليل ومن شقق
وكم نسجت من الاحلام أردية
وكم ضفرت أكليلاً موردة
وكم رسمت رسوماً لا تشابهها
كانها ظلل الفردوس حافلة
تبلو الحياة ، فتبليها ، وتخلعها
وانت انت : شباب خالد نضر
راقصتها مرحاً ما مسك السأم
ومن صباح توشي ذيله السدم
قد مزقتها الليالي وهي تبسم
طارت بها زعزع تدوي وتحتم
هذي العوالم والاحلام والنظم
بالحور ثم تلاشت واختفى الحلم
وتستجد حياة ما لها قدم
مثل الطبيعة لا شيب ولا هرم!

قال قبايى للؤلؤ

في جبال الهموم انبت اغصاني فرفت على الصخور بجهد
وتغشاني الضباب فاورقت وأزهرت للعواصف وحدي
وتمايلت في الظلام وعطرت فضاء الأسي بأنفاس وردي
وبمجد الحياة والشوق غنيت فلم تفهم الأعاصير قصدي
ورمت للوهاد أفناني الخضر وظلت في الثلج تحفر لحدي
ومضت بالشذى فقلت لنفسى «ستغشي الرياح بالعر مجدي»
وتغزلت بالريبع ، وبالفجر ، وجاء الردى فما تم بعدي

زَوْبَعَةٌ فِي الظَّلَمِ

لو كانت الايام في قبضتي أذريتها للريح مثل الرمال
وقلت : « ياريح بها فاذهبي وبدديها في سحيق الجبال
بل في فجاج الموت في عالم لا يرقص النور به والظلال »

* *

لو كان هذا الكون في قبضتي ألقيته في النار : نار الجحيم
ما هذه الدنيا وهذا الورى وذلك الافق وتلك النجوم
النار أولى بعييد الأسى وممرح الموت وعش الهموم

* *

يا أيها الماضي الذي قد قضى وضمه الموتُ وليل الأبد
يا حاضر الناس الذي لم يزل يا ايها الآتي الذي لم يلد
سخافة دنياكم هذه تائهة في ظلمة لاتحد

قلب لله

يا ايها الطفل الذي قد كان كاللحن الجميل
والوردة البيضاء تعبق في غيابات الاصيل
يا ايها الطفل الذي قد كان في هذا الوجود
حلماً يناجي هاته الدنيا بمعسول النشيد
ويعلم الناس البراءة ، والمحبة ، والسرور
وينير اعماق القلوب بروحه العذب النضير
ها انت ذا قد اطبقت جفنيك أحلام المنون
وتطايرت زمر الملائك حول مضجعتك الامين
ومضت بروحك للسماء عرائس النور الحبيب
يحملن تيجاناً مذهبةً من الزهر الغريب
ها انت ذا قد جالمتك سكينه الأبد الكبير
وبكتك هاتيك القلوب وضمّتك القبر الصغير
وتفرّق الناس الذين الى المقابر شيعوك
ونسوك من دنياهم ، حتى كأن لم يعرفوك

شغلتهم عنك الحياة وحرب هذي الكائنات

إن الحياة - وقد قضيت قبيل معرفة الحياة -

بحر ، قرارته الردى ، ونشيد لجته شكاة

وعلى شواطئه القلوب تن دامية عراة

بحر ، تجيش به العواصف في العشية والغداة

وتظله سحب الظلام ، فلا سكون ولا إياة

نسيك أمواج البحيرة والنجوم اللامعة

والبلبل الشادي وهاتيك المروج الشاسعة

وجداول الوادي النضير ، بهمسها وخريرها

ومسالك الجبل الصغير ، بعشبا وزهورها

حتى الرفاق ... ، فانهم لبثوا مدى يتساءلون

في حيرة مشبوبة : « اين اختفى عنا الامين » ؟

لكنهم علموا بأنك في الليالي الداجيه

حملتك غيلان الظلام الى الجبال النائيه

فسوك مثل الناس وانصرفوا الى اللهو الجميل

بين الخمائيل ، والجداول ، والروابي ، والسهول

ونسوا وداعة وجهك الهادي ومنظرك الوسيم

ونسوا تغنيك الجميل بصوتك الحلو الرخيم

ومضوا الى السهل البهيج يطاردون طيوره

ويزحزون صخوره ، ويعابثون زهوره
ويشيدون من الرمال البيض والحصب النضير
غرفاً ، واكواخاً ، تكلمها الحشائش والزهور
وينضدون من الربى بين التضاحك والحبور
طاقات وزدء أبدء ، تزري باوراد القصور
يلقونها في النهر ، قرباناً لآلهة السرور
فتسير في التيار ، راقصة على نغم الخريز
كل نسوك .. ولم يعودوا يذكرونك في الحياة
والدهر يدفن في ظلام الموت حتى الذكريات
الا فؤاد ظل يخفق في الوجود الى لقاءك
ويود لو بذل الحياة الى المنية ، واقتداك
فاذا رأى طفلاً بكاك ، وان رأى شبحاً دعاك
يصغي لصوتك في الوجود ، ولا يرى إلا بهاك
يصغي لنغمتك الجميلة ، في خريز الساقية
في أنة المزمار ، في لغو الطيور الشادية
في ضجة البحر المجلجل ، في هدير العاصفه
في لجة الغابات ، في صوت الرعود القاصفه
في نغمة الحمل الوديع ، وفي اناشيد الرعاة
بين المروج الخضز والسفح المجلجل بالنبات

في آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبه
في شهقة الباكي يؤججها نواح النادبه

في كل اصوات الوجود : طروبها وكئيها

ورخيما ، وعنيفها ، وبغيضها وحييها

ويراك في صور الطبيعة : حلوها ودميها

وأليفا ومخيها ، وحقيرها ، وعظيمها

في رقة الفجر الوديع ، وفي الليالي الخالمه

في فتنة الشفق البديع ، وفي النجوم الباسمه

في رقص امواج البحيرة تحت اضواء النجوم

في سحر ازهار الربيع ، وفي تهاويل الغيوم

في لمعة البرق الخفوق ، وفي هوى الصاعقه

في ذلة الوادي ، وفي مجد الجبال الشاهقه

في مشهد الغاب المجرد ، والورود الهاويه

في ظلمة الليل الحزين ، وفي الكهوف العاريه

أعرفت هذا القلب ، في ظلماء هاتيك اللحد؟!

هو قلب «أمك» امك السكرى باحزان الوجود !!

هو ذلك القلب الذي سيعيش كالشادي الضرير

يشدو بشكوى حزنه الداجي الى النفس الاخير

لا ربة النسيان ترحم حزنه ، وترى بكاه
كلا ! ولا الايام تبلي في اناملها أساه

إلا إذا ضفرت له الاقدار اكليل الجنون
وغدا شقياً ضاحكاً تلهو بمراه السنون

هو ذلك القلب الذي مهما تغلبت الحياة
وتدفع الزمن المدمدم في شعاب الكائنات

وتغنت الدنيا ، وغرد ببلبل الغاب الجميل
سيظلُّ يعبد ذكرياتك : لا يمل ولا يميل

كالأرض تمشي فوق تربتها المسرّة والشباب
والليل ، والفجر المجنح ، والعواطف والسحاب

والحب ، تنبت في مواطئه الشقائق والورود
والموت ، يحفر اينما يخطو المقابر واللحود

وتمر بين فجاجها اللذات راقصة تميد
سكرى .. واحلام الورى ترنو الى الافق البعيد

وتظل ترقص للأسى ، للهو ، أشباح الدهور
حتى يواربها ضباب الموت في وادي الدثور

وتظل تورق ، ثم تزهر ، ثم ينثرها الصباح
للموت ، للشوق الممزق ، للجداول ، للرياح

بسماتِ ثغريِّ حالمٍ يفتري في سهو السرور
وورودِ روضٍ باسمٍ يصغي لالحان الطيور

وتظل تخفق ، ثم تشدو ، ثم يطويها التراب

قَبَلٌ واطيار تغرد للحياة وللشباب

وتظل تمشي في جوار الموت افراح الحياة

ويغرد الشحرور ما بين الجماجم والرفات

وارض حالمةٌ تغني بين اسراب النجوم

انشودة الماضي البعيد وسورة الازل القديم !



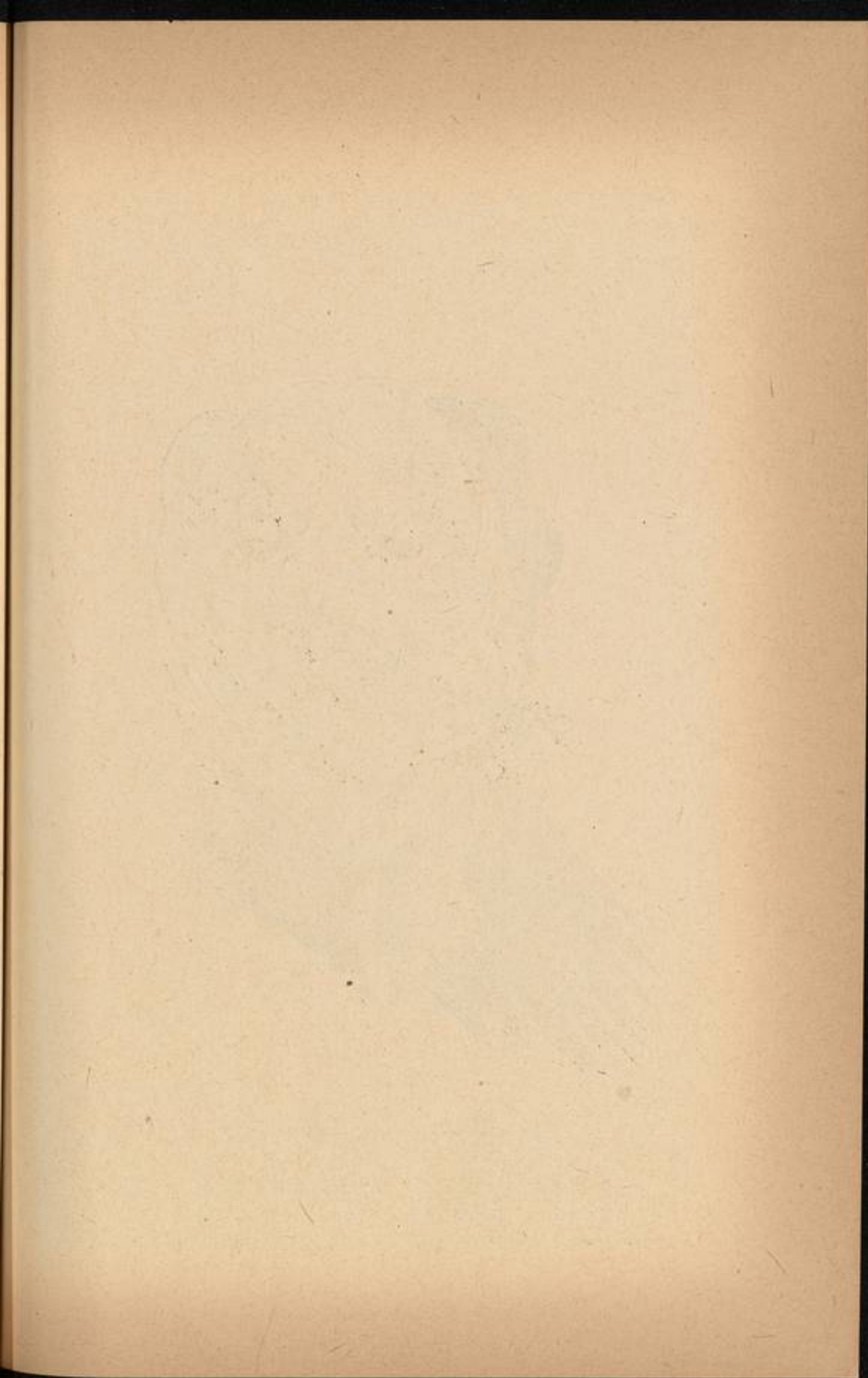
الجنة الضائعة

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الاسحار مذهبة الاوائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن اغاريد الطيور
والذم سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير
قضيتها ومعى الحبيبة لا رقيب ولا نذير
الا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
ايام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل ، وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النмир
ايام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الانيق وقطف تيجان الزهور



ارواه قد ضاعت علي سعادة القلب الفرير
وبقيت في وادي الزمان الجهم أداب في المير

« الجنة الضائعة »



وتسلق الجبل المكمل بالصنوبر والصخور
وبناء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيور
نبني قنهدمها الرياح فلا نضج ولا ثور
ونعود نضحك للمروج وللزنايق والغدير
ونخاطب الاصداء ، وهي ترف في الوادي المنير
ونعيد اغنية السواقي وهي تلغو بالخرير
ونظل نركض خلف اسراب الفراش المستطير
ونمر ما بين المروج الخضر في سكر الشعور
نشدو ونرقص كالبلابل ، للحياة وللجور
ونظل ننثر للفضاء الرحب والنهر الكبير
ما في فؤادينا من الاحلام او حلو الغرور
ونشيد في الافق المنور من امانينا قصور
أزهى من الشفق الجميل ورونق المرج الخضير
واجل من هذا الوجود وكل امجاد الدهور
ابدأ ، تدلنا الحياة بكل انواع السرور
وتبت فينا من مزاج الكون ما يغوي الوقور
فسير ، نشد لهونا المعبود من كل الامور
ونظل نعبت بالجليل من الوجود وبالحقير
بالسائل الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيخ الكبير

بالقطه البيضاء ، بالشاة الوديعة ، بالحمير
بالعشب ، بالفن المنور ، بالسنابل ، بالسفير
بالرمل ، بالصخر المحطم ، بالجداول ، بالغدير
واللهو والعبث البرىء الحلو مطمخنا الاخير
ونظل نقفز ، او نغني ، او نثرثر او ندور
لا نسأم اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
فكأنتا نحيا بأعصاب من المرح المثير
وكأنتا نمشي بأقدام مجنحة تطير
أيام كنا لب هذا الكون ، والباقي قشور
أيام تفرش سبلنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمر أيام الحياة بنا ، كأسراب الطيور
بيضاء ، لاغية ، مغردة ، مجنحة بنور
وترفرف الافراح فوق رؤوسنا أتى نسير

•
آه تواری فجری القدسی فی لیل الدهور
وفنی ، كما یفنی النشید الحلو ، فی صمت الاثیر
اواه ! قد ضاعت علی سعادة القلب الغریر

وبقيت في وادي الزمان أجهم أداب في المسير
وأدوس اشواك الحياة بقلبي الدامي الكسير
وارى الاباطيل الكثيرة والمآثم والشرور
وتصادم الاهواء بالاهواء في كل الامور
ومذلة الحق الضعيف وعزة الظلم القدير!
وارى ابن آدم سائراً في رحلة العمر القصير
ما بين احوال الوجود، وتحت اعباء الضمير
متسلقاً جبل الحياة الوعر كالشيخ الضرير
دامي الاكف، ممزق الاقدام، مغبر الشعور
مترنح الخطوات ما بين المزالق والصخور
هالته اشباح الظلام، وراعه صمت القبور
ودوي اعصار الاسى، والموت في تلك الوعور!



ماذا جنيت من الحياة ومن تجاريب الدهور
غير الندامة والاسى والياس والدمع الغزير؟
هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير!
هذا حصادي كله في يقظة العهد الاخير!



قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والطهور

أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور
واليوم أحيا مرهق الأعصاب مشبوب الشعور
متأجج الإحساس ، احفل بالعظيم وبالحقير
تمشي على قلبي الحياة ، ويزحف الكون الكبير!
هذا مصيري ..

يا بني الدنيا ..

فما أشقى المصير !!



أنا ابكيتك للحُبِّ

لست يا أمسي أبكيتك لمجد أو لجاه
سلبته مني الدنيا ، وبزنتي رداه
فأنا احتقر المجد ، وأوهام الحياه



أو لعمر ، بلغت منه الليالي متناه
وتلاشت في خضم الزمن الطاعني قواه
فأنا ما زلت في فجر شبابي أو ضحاه



لا ، لا ابكيتك يا أمسي ، اذا ما قلت آه
لنعيم لم ينل قلبي منه مشتاه
فبنو الايام في الدنيا كما شاء الاله



انما ابكيتك للحب ، الذي كان بهاه

يملأ الدنيا ، فاني سرت في الدنيا أراه
فاذا ما لاح فجر ، كان في الفجر سنه
واذا غرد طير ، كان في الشدو صده
واذا ما ضاع عطر ؛ كان في العطر شذاه
واذا ما عرف زهر ، كان في الزهر صباه
فهو في الكون جمال ، يملأ الافق ضياه
وتوشي هذه الاكوان بالسحر زواه
وهو في قلبي - الذي عانقه الفجر - إله !
عبقري السحر ، ممراح وديع في سماه
ينسج الاحلام في قلبي بأضواء الحياه
ويغنيني فأنسى في مسرات غناه
كل ما في الكون من حزن وافراح عده



الغاني الثابته

كان في قلبي فجر ونجوم وبحار لا تغشيها الفيوم
واناشيد وأطيّار تحوم وريبع مشرق حلو جميل
كان في قلبي صباح وإياة وابتسامات ولكن وأساه
آه ما أهول إعصار الحياة آه ما أشقى قلوب الناس آه

كان في قلبي فجر ونجوم

فاذا الكل ظلام وسديم

كان في قلبي فجر ونجوم

يا ابن امي! أتري اين الصباح ؟ قد تقضى العمر والفجر بعيد
وطغى الوادي بمشبوب النواح وانقضت انشودة الفصل السعيد
أين نائي؟ هل ترامته الرياح؟ والاعاني، اين محراب السجود؟
خبروا قلبي فما اقسى الجراح كيف طاشت نشوة العيش الحميد

يا ابن امي! أتري اين الصباح...؟

أوراء البحر، ام خلف الوجود...؟

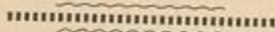
يا ابن امي! أتري اين الصباح...؟

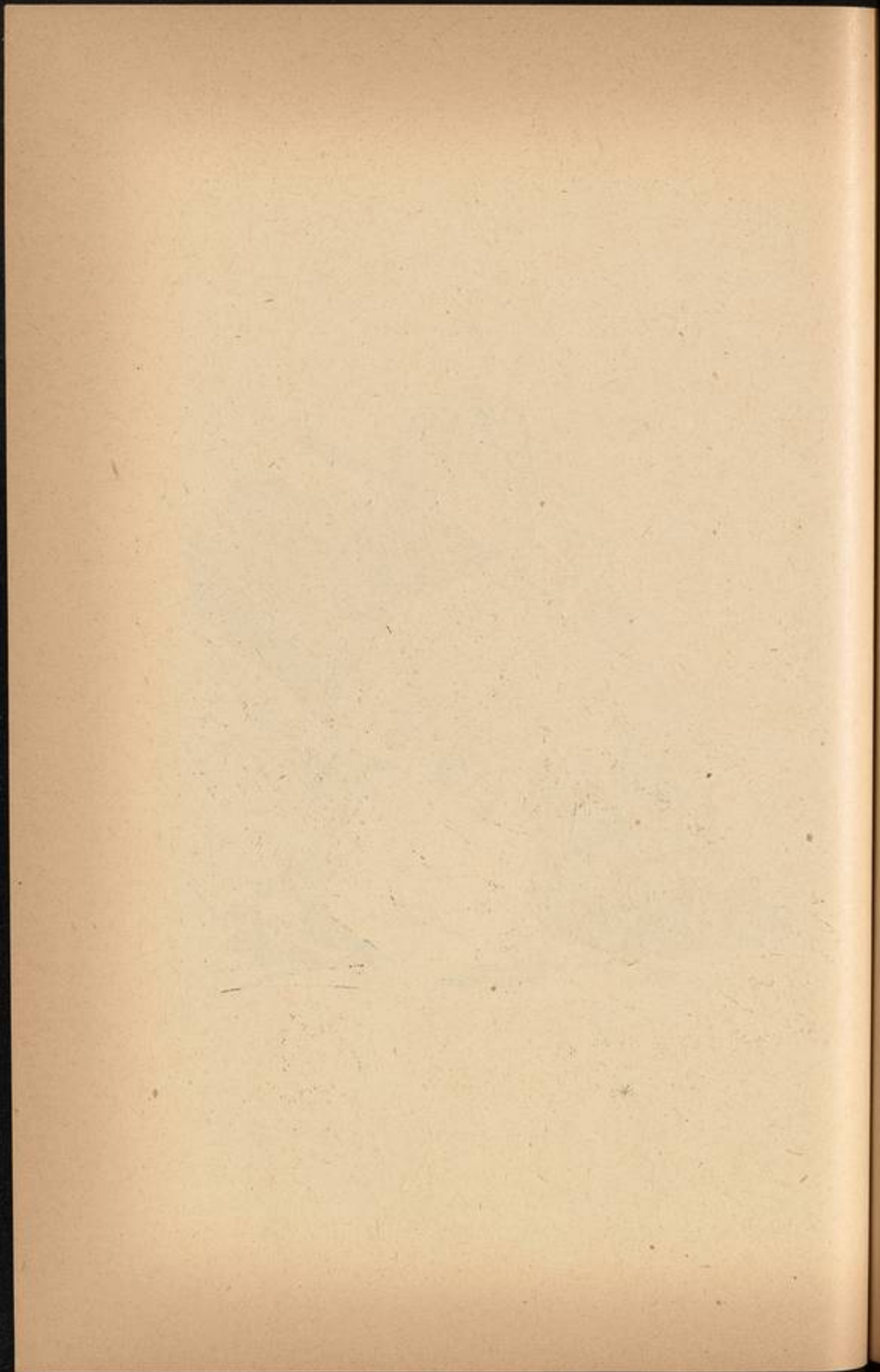
ليت شعري هل ستسليني الغداة وتعزيني عن الأمس الفقيد
وتريني ان افراح الحياة زمر تمضي وافواج تعود
فاذا قلبي صباح وإيابة واذا احلامي الاولى ورود
واذا الشحرور حلو النغمات واذا الغاب ضياء ونشيد

ليت شعري هل تعزيني الغداة؟

ام ستساني وتبقيني وحيد؟

ليت شعري هل ستسليني الحياة؟







نحن نتلو رواية الكون للموت ... ولكن ماذا ختام الرواية؟

« من ظل وادي الموت »

في ظل واري الموت

نحن نمشي و حولنا هذه الأكو ان تمشي ، لكن لأية غاية...؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ، وهذا الريح ينفخ نايه...؟
نحن نتلو رواية الكون للموت ، ولكن ماذا ختام الروايه...؟
هكذا قلت للرياح فقالت : سل ضمير الوجود كيف البدايه...!؟

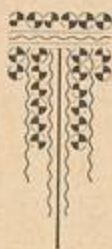
وتغشى الضباب نفسي فصاحت في ملال مر : الى أين أمشي...؟
قلت : سيرى مع الحياة. فقالت : ما جنينا ترى من السير امس...؟
فتهاقت كالهشيم على الأر ض و ناديت : أين يا قلب رفشي...؟
هاته ، علي أخط ضريحي في سكون الدجى ، وادفن نفسي...؟

هاته ، فالظلام حولي رهيب وضباب الأسى منيخ عليا
وكؤوس الغرام أترعها الفجر . ولكن تحطمت في يديا!
والشباب الغرير ولى الى الما ضي ، وخلي النحيب في شفقتيا

هاته يا فؤاد إنا غريباً ن ن صوغ الحياة فناً شجياً

قد رقصنا مع الحياة طويلاً وشدونا مع الشباب سنيماً
وعدونا مع الليالي حفاة في شعاب الزمان حتى دميماً
واكلنا التراب حتى مللنا وشربنا الدموع حتى روينا
ونثرنا الأحلام والحب والآلام والحزن يسرة ويمينا

ثم ماذا ..؟ هذا أنا صرت في الدنيا بعيداً عن لهوها وغناها
في ظلام الفناء، أدفن أياً مي ولا استطيع حتى بكها!
وزهور الحياة . تهوي بصمت محزن ، مضجر ، على قدميا
جف سحر الحياة . يا قلبي الباه كي فيها نجرب الموت .. هيا!



النبي المجهول

أيها الشعب ! ليتني كنت حطا
ليتني كنت كالسيول اذا سا
ليتني كنت كالرياح فأطوي
ليتني كنت كالشتاء اغشي
ليت لي قوة العواصف يا شع
ليت لي قوة الاعاصير ان ضج
ليت لي قوة الاعاصير !.. لكن
انت روح غبية تكره النو
انت لا تدرك الحقائق ان طا
بأ ، فأهوي على الجذوع بفأسي !
لت تهد القبور رمساً برمس !
كل ما يخنق الزهور بنحسي !
كل ما اذبل الحريف بقرسي
بي فألقي اليك ثورة نفسي
ت فأدعوك للحياة بنبسي !
انت حي يقضي الحياة برمس !
ر وتقضي الدهور في ليل ملس !
ت حو اليك دون مس وجس !

في صباح الحياة ضمخت اكوا
ثم قدمتها اليك فأهرة
فأملت... ثم اسكت ألا
بي وائرعتها بخمرة نفسي
ت ر حقيقي ودست يا شعب كأسي !
مي وكفكفت من شعوري وحسي

ثم نضدت من ازاهير قلبي باقة لم يمسا اي انس
ثم قدمتها اليك فمزقت مت ورودي ودستها اي دوس!
ثم ألبستي من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسي!

ها أنا ذاهب الى الغاب يا شع بي لأقضي الحياة وحدي يأس
ها أنا ذاهب الى الغاب علي في صميم الغابات ادفن نفسي
ثم انساك ما استطعت فما أذ ت بأهل لخمرتي ولكأسي
سوف اتلو على الطيور أناشيء دي وأقضي لها بأحزان نفسي
فهي تدري معنى الحياة وتدري ان مجد النفوس يقظة حس!
ثم اقضي هناك في ظلمة اللب ل وألقي الى الوجود يآسي
ثم تحت الصنوبر الناظر الحلا وتخط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قب ري ويشدوالنسيم فوقي بهمس
وتظل الفصول تمشي حوالي كما كنّ في غضارة امس

ايا الشعب! انت طفل صغير لاعب بالتراب والليل مغس!
انت في الكون قوة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس!
انت في الكون قوة كبلتها ظلمات العصور من امس امس
والشقي الشقي من كان مثلي في حساسيتي ورقة نفسي!

هكذا قال شاعر ناول الشع ب رحيق الحياة في خير كأس
فأشاحوا عنها ، ومروا غضاباً واستخفوا به وقالوا بيأس :
« قد اضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه اصاب بمس ! »
« طالما خاطب العواصف في الليل وناجى الاموات في كل رمس »
« طالما رافق الظلام الى الغا ب و نادى الارواح من كل جنس »
« طالما حدث الشياطين في الوا دي وغنى مع الرياح بجرس »
« انه ساحر تعلمه السح ر الشياطين كل مطلع شمس »
« فابعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل ، إن الخبيث منبع رجس »
« اطرده ، ولا تصيخوا اليه فهو روح شريرة ذات نحس ! »

هكذا قال شاعر فيلسوف عاش في شعبة الغي بتعس
جهل الناس روحه واغانيه ها ، فساموا شعوره سوم بخس
فهو في مذهب الحياة نبي وهو في شعبة مصاب بمس !
هكذا قال ... ثم سار الى الغا ب ، ليحيا حياة شعر وقدس

وبعيداً هناك في معبد الغا ب الذي لا يظله أي بؤس
في ظلال الصنوبر الحلو والزير تون يقضي الحياة حرساً بجرس
في الصباح الجميل يشدو مع الط ير ، ويمشي في نشوة المتحسي
نافخاً نايه حوالبه تهتز ورود الربيع من كل قنس

شعره مرسل - تداعبه الريح
 والطيور الطراب تشدو حواليه
 وتراه عند الاصيل لدى الجسد
 او يغني بين الصنوبر او ير
 فاذا اقبل الظلام وامست
 كان في كوخه الجميل مقيماً
 عن مصب الحياة اين مداه؟ ..
 وصميم الوجود ايان يرسي؟
 وعبير الورود في كل واد
 ونشيد الطيور حين تمسي
 وهزيم الريح في كل فج
 وغانى الرعاة اين يواريه
 ح - على منكبيه مثل الدمقس
 ٤، وتلغو في السرو من كل جنس
 ول يرنو للطائر المتحسي
 نو الى سدفة الظلام المعسي
 ظلمات الوجود في الكون تعسي
 يسأل الكون في خشوع وهمس:
 ورسوم الحياة من امس امس
 ها سكون الفضا؟ وأيان تمسي

هكذا يصرف الحياة ويفنى
 يا لها من معيشة في صميم ال
 يا لها من معيشة لم تدن
 يا لها من معيشة هي في الكو
 حلقات السنين حرساً بحرس
 غاب تضحي بين الطيور وتمسي
 سها نفوس الوري بخبث ورجس
 ن حياة غريبة ذات قدس

الرواية الغريبة

ضحكنا على الماضي البعيد وفي غد
ستجعلنا الايام اضحوكة الآتي
وتلك هي الدنيا رواية ساخر
عظيم ، غريب الفن مبدع آيات
يمثلها الاحياء في مسرح الأسي
ووسط ضباب الهم تمثيل اموات
ليشهد من خلف الضباب فصولها
ويضحك منها من يمثل ما ياتي
وكل يؤدي دوره ... وهو ضاحك
على الناس مضحك على دوره العاني !

الدُّسُوقُ التَّائِهَةُ

يا صميم الحياة اني وحيد مدلج تائه فاين شروقك؟
 يا صميم الحياة اني ضائع ظامىء فاين رحيقك؟
 يا صميم الحياة قد وجم الناي وغام الفضا فاين بروقك؟
 يا صميم الحياة اين اغانيك فتحت النجوم يصغي مشوقك؟

كنت في فجرى الموشح بالأحلام عطراً يرف فوق ورودك
 حالمينهل الضياء ويصغي لك في نشوة بوحى نشيدك
 ثم جاء الدجى وامسيت اوراقاً بداداً من ذابلات الورود
 وضباباً من الشذى يتلاشى بين هول الدجى وصمت الوجود
 كنت في فجرى المغلف بالسحر فضاء من النشيد الهادي
 وسحاباً من الرؤى يتهادى في ضمير الازال والاباد
 وضياءً يعانق العالم الرحب ويسري في كل خاف وباد
 وانقضى الفجر، فانحدرت من الأفق تراباً الى صميم الوادي

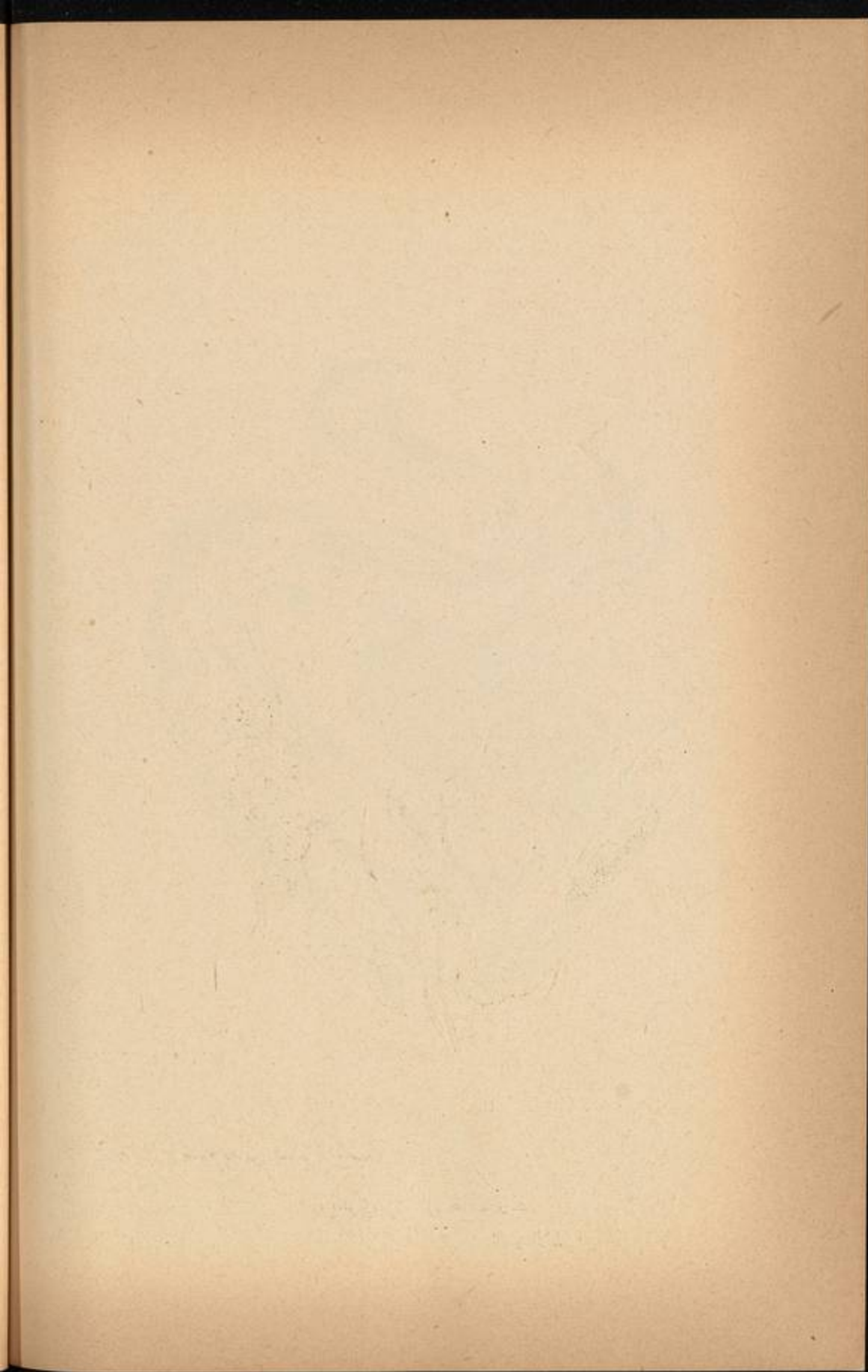
**



... وضياء يعانق العالم الرحب

ويسري في كل خاف وباد

« الاشواق الناثية »



ياصميم الحياة كم انا في الدنيا غريب اشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون اناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي
في وجود مكبل بقيود تائه في ظلام شك ونحس
فاحتضني وضمني لك بالماض ي فهذا الوجود علة يآسي

لم اجد في الوجود الا شقاءً سرمدياً ولذةً مضحكة
واماني يغرق الدمع احلاها ويفني يمّ الزمان صداها
واناشيد يأكل اللهب الدامي مسراتها ويبقي اسأها
وورودا تموت في قبضة الاش والك... ما هذه الحياة المملة !

سأم هذه الحياة معاداً وصباحٌ يكر في اثر ليل
ليتني لم افد الى هذه الدنيا ولم تسبح الكواكب حولي
ليتني لم يعانق الفجر احلامي ولم يلثم الضياء جفوني
ليتني لم ازل كما كنت ضوءاً شائعاً في الوجود غير سجين

التمثال

ما قدس المثل الاعلى وجمله
في اعين الناس الا انه حلم
ولو مشى فيهم حياً لحطمه
قوم ، وقالوا بخبث : انه صنم
لا يعبد الناس الا كل منعدم
منع ، ولن حاياهم العدم
حتى العباقره الافذاذ حبيهم
يلقى الشقاء وتلقى مجدها الرمم
الناس لا ينصفون الحي بينهم
حتى اذا ما توارى عنهم ندموا
الويل للناس من اهوائهم ابدأ
يمشي الزمان وريح الشر تحتدم

أمد الساعر

ليت لي ان اعيش في هذه الدنيا
اصرف العمر في الجبال وفي الغا
ليس لي من شواغل العيش ما يص
اتغنى مع البلابل في الغاب
واناجي النجوم والفجر والاط
عيشة للجمال والفن أبغية
لا اعني نفسي باحزان شعبي
حسب نفسي من الاسي ما لديها
وعن الناس ، لا افكر في النا
فهو من معدن السخافة والاف
اين منه خريز تلك اليناير
وحفيف الغصون نمقها الط
هذه عيشة تقدها نفسي

يا بعيداً بوحدتي وانفرادي
بات وبين الصنوبر المياد
رف نفسي عن استماع فؤادي
واصغي الى خريز الوادي
يار والنهر والضياء الهادي
ها بعيداً عن امتي وبلادي
فهو يحيا بظلمة الآباد
من طريف مستحدث وتلاد
س ولا في حديث تلك النوادي
ك ، ومن ذلك الهراء العادي
ع الجوارى وشدتلك الشوادي
ل وهمس النسيم للاوراد
وادعو لمجدها وانادي

أيتها الحائنة بين العواصف

أنت كالزهرة الجميلة في الغاب
والرياحين تحسب الحسك الشريد
فافهمي الناس: انما الناس خلق
والسعيد السعيد من عاش كالليل
ودعيهم يحيون في ظلمة الاثم
كالملاك البري، كالوردة البيضاء
كأغاني الطيور، كالشفق الساحر
كتلوج الجبال، يغمرها النور
ولكن ما بين شوك ودود
ر والدود من صنوف الورود
مفسد في الوجود غير رشيد
غريباً في اهل هذا الوجود
وعيشي في طهر كالمحمود
كالموج في الخضم البعيد
كالكوكب البعيد السعيد
وتسمو على غبار الصعيد

أنت تحت السماء روح جميل
وبنو الارض كالقروود، وما اض
أنت من ريشة الاله، فلا تـ
أنت لم تخلقي ليقربك النا
صاغه الله من عير الورود
يع عطر الورود بين القروود
قي بفن السما لجهل العبيد
س ولكن لتعبدني من بعيد!!

في ظلال الغاب

يا ليت شعري ! هل لليل النفس من صبح قريب ..
فتفر عاصفة الظلام .. وتهجع الريح الغضوب ..
ويرتل الانسان أغنية مع الدنيا طروب ..؟! ..

ما للرياح تهب في الدنيا ، ويدركها اللغوب
الا رياحي ، فهي جاحمة تمردها عصيب ؟
مالي تعذبني الحياة كأنني خلق غريب ؟
وتهد من قلبي الجميل ، فهل لقلبي من ذنوب ؟
وإذا سألت : لم الوجود ، وكله هم مذيب ؟
قالت « نواميس السماء قضت ومالك من هروب »
أه على قلبي ! وان شقيت كشقوته قلوب
انقى من الموج الوضىء .. ومن نشيد العندليب
لم تقترف اثم الحياة ولا تناولت اللهب

يا مهجة الغاب الجميل ! ألم يصدعك التحيب ؟
يا وجنة الورد الانيق ! ألم تشوهك الندوب

يا جدول الوادي الطروب ! ألم يرتفك القطوب ؟
يا غيمة الافق الخضيب ! ألم تمزقك الخطوب ؟
يا كوكب الشفق الضحوك ! أما ألم بك الشحوب ؟
ها انت تضحك في سمائك لا تهم ولا تخب !
تلقي على قنن الجبال الشم حاملة الغيوب
ولكي تغنيك الجداول لحنها العذب الحبيب
وترى جمالك من بنات الغاب معطار لعوب
ممشوقة في فرعها تاج من الورد الخضيب
تلو أناشيد الربيع كأنها نجوى القلوب
يا كوكب الشفق الجميل ! وانت مبتهل الكئيب
لج في السماء . . . وغن ابناء الشقاوة والخطوب
انشودة تهب الحياة لكل مبتس غريب
فالطير قد أغفت وأسكت صوتها الليل الهبوب
وابسط جناحك في الوجود . . . فانه عذب خلوب
متألق بين النجوم كأنه حلم طروب
وانشر ضياءك ساطعاً لينير اعماق القلوب
فعلى جوانبها من الاحزان ديجور رهيب

ما للمياه نقية حولي ، ومنفجري مشوب ؟

ما للصباح يعود للدنيا ، وصبحي لا يؤوب ؟
ما لي يضيق بي الوجود ، وكل ما حولي رحيب ؟
مالي وجمت ، وكل ما في الغاب مغترد طروب ؟
مالي شقيت ، وكل ما في الكون أخاذ عجيب ؟
ها ان انوار النهار تطل من خلف الغروب
فتخضب الامواج والآفاق والجبل الخصب
ها ان اقدام الريح تلامس السهل الجدوب
فاذا به يحيي وينبت رائق الزهر الرطيب
ان الوجود الرحب والغابات والافق الخصب
لم تخب نيران الحياة بها ، فغيرها القطوب
اما انا فقدتها والليل مر بده عصب
والريح تعصف بالورود فعشت سخرية الخطوب

مهما تضاحكت الحياة فاني ابدأ كئيب
أصغي لأوجاع الكتابة ... والكآبه لا تجيب
في مهجتي تتأوه البلوى ويعتلج النحيب
ويضج جبار الأسمى وتئن غمغمة الكروب
إنى انا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب
ويعيش مضطلعاً بأحزان الشيبه والمشيب

فكرة الفنك

عش بالشعور، وللشعور فانما
شيدت على العطف العميق، وانها
وتظل جامدة الجمال، كثيبة
وتظل قاسية الملامح جهمة
لا الحب يرقص فوقها، متغنياً
متورد الوجنات سكران الخطى
متكللاً بالورد ينثر للورى
كلا، ولا الفن الجميل بظاهر
متوشحاً بالسحر ينفخ نايه المش
أو يلمس العود المقدس، واضعاً
ما في الحياة من المسرة، والاسى
أبدأ، ولا الامل المجنح مشد

دنياك كون عواطف وشعور
لتجف لو شيدت على التفكير
كالهيكل المتهدم، المهجور
كالموت... مقفرة بغير سرور
للناس بين جداول وزهور
يهتز من مرح، وفرط حبور
أغصان « ورد اللذة » المنظور
في الكون تحت غمامة من نور
بوب بين خمائل وغدير
للموت، للايام، للديجور
والسحر، واللذات، والتغدير
فيها بصوت الحالم المحبور

تلك الاناشيد التي تهب الورى عزم الشباب ، وغبطة العصفور

واجعل شعورك في الطبيعة قائداً فهو الخبير بتيها المسحور
صحب الحياة صغيرة ومشى بها بين الجماجم والدم المهدور
وعدا بها فوق الشواهد باسماً متغنياً من اعصر ودهور
والعقل رغم مشيه ووقاره مازال في الايام جد صغير !
يمشي فتقرعه الرياح فيثني متوجعاً كالطائر المكسور
ويظل يسأل نفسه متفلسفاً متنطعاً في خفةٍ وغرور
عما تحجبه الكواكب خلفها من سر هذا العالم المستور
وهو المهشم بالعواصف يا له من ساذج متفلسف مغرور

وافتح فؤادك للوجود وخله لليم ، للأمواج ، للديجور
للثلج تنثره الزوابع للأسى للهول للالام ، للمقدور
واتركه يقتحم العواصف هائماً في افقها المتلبد المقررور
ويخوض احشاء الوجود مقامراً في ليها المتهب المحذور
حتى تعانقه الحياة ويرتوي من ثغرها المتأجج المسجور
فتعيش في الدنيا بقلبٍ زاخر يقظ المشاعر حالم مسحور
في نشوة صوفية قدسية هي روح هذا العالم المنظور

مِنْ لِحَايِ الرَّعَاةِ

اقبل الصبح يغني للحياة الناعسه
والربى تحلم في ظل الغصون المائسه
والصبا ترقص اوراق الزهور اليابسه
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسه



اقبل الصبح جميلاً يملأ الافق بهاه
فتمطى الزهر والطير وامواج المياه
قد أفاق العالم الحي ، وغنى للحياه !
فأفيقي يا خرافي واهرعي لي يا شياه

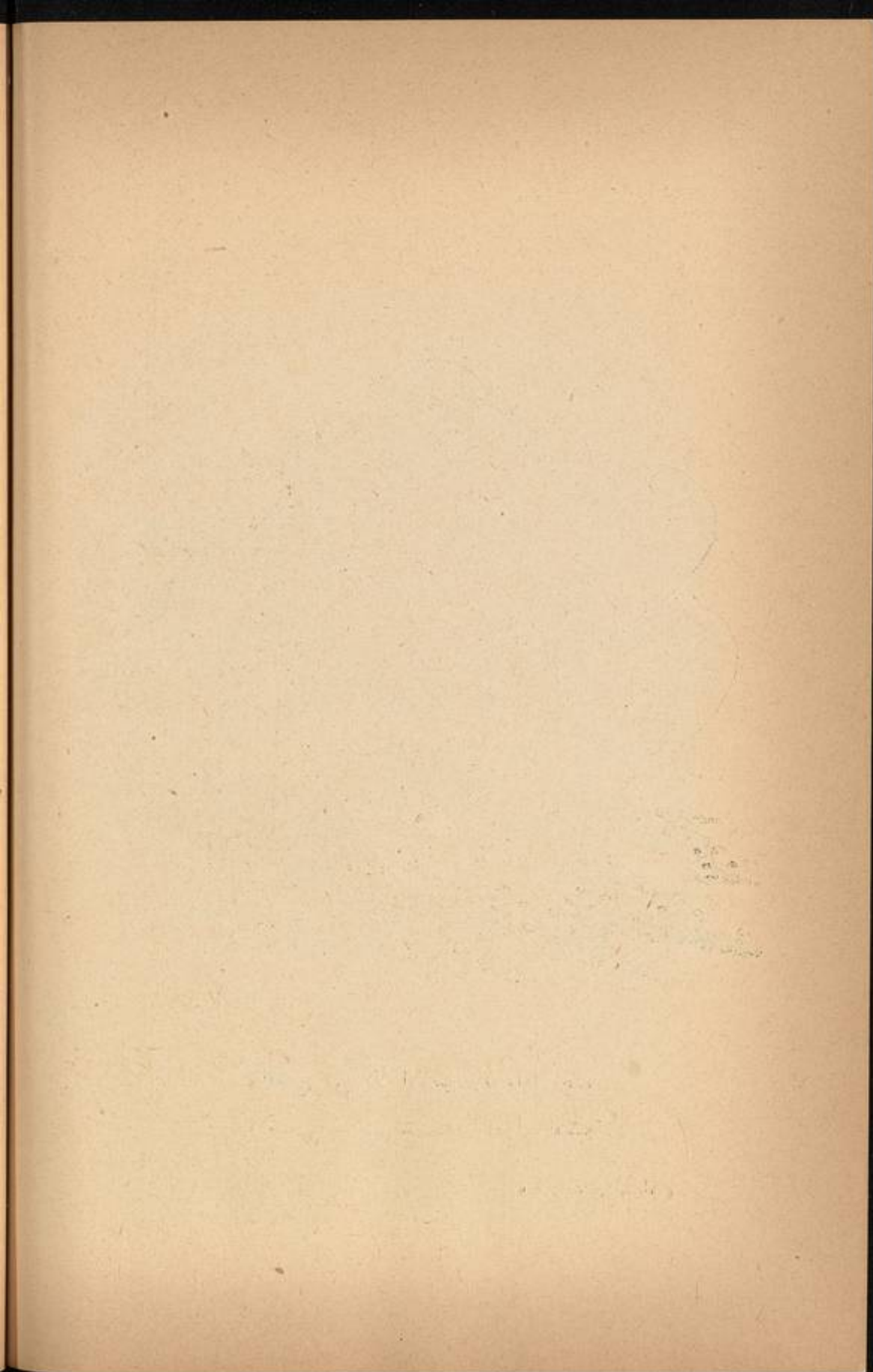


واتبعيني يا شياهي بين اسراب الطيور
واملئي الوادي ثغاء ومراغاً وحبور
واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهور



واقطني من كالأرض ومرعاها الجديد
واسمي شبابتي تشدو بمعمل النشيد

« من اغاني الرعاة »



وانظري الوادي يغشيه الضباب المستير



واقظفي من كلاً الارض ومرعاها الجديد
واسمعي شباتي تشدو بمعسول النشيد
نعم يصعد من قلبي كأنفاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادي السعيد



وإذا جئنا إلى الغاب وغطانا الشجر
فاقظفي ما شئت من عشب وزهر وثمر
ارضعته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر



وامرحي ما شئت في الوديان او فوق التلال
واربضي في ظلها ما شئت ان خفت الكلال
وامضني الاعشاب والافكار في صمت الظلال
واسمعي الريح تغني في شماريخ الجبال



إن في الغاب ازاهير واعشابا عذاب
ينشد النحل حوالها اهازيجاً طراب

لم تـدنس عطرها الطاهر انفاس الذناب
لا ولا طاف بها الثعلب في بعض الصباح



وشذاً حلواً ، وسحراً وسلاماً وظلال
ونسيماً ساحر الخطوة موفور الدلال
وغصوناً يرقص النور عليها والجمال
واخضراراً أبدياً ليس تمحوه الليال



إن تملي يا خرافي من حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لالعـب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى في ملال فوق هاتيك السهول



لك في الغابات مرعـاي ومسعـاي الجميل
ولي الانشاد والعزف الى وقت الاصيل
فاذا طالت ظلال الكلا الغض الضئيل
فهلمي نرجع المسعى الى الحي النبيل

نشيد الجبار

أو

هكذا غنى بروميشيوس

سأعيشُ رغم الداء والأعداء كالنسر ، فوق القمة السماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازناً بالسحب ، والأمطار ، والأنواء
لا ألمح الظل الكئيب ولا أرى ما في قرار الهوة السوداء
واسير في دنيا المشاعر حالماً غرداً ، وتلك طبيعة الشعراء
اشدو بموسيقى الحياة ووحيتها وأذيبُ روح الكون في انشائي
واصيخ للصوت الآلهي الذي يحيي بقلبي ميت الاصداء

واقول للقدر الذي لا ينثي عن حرب آمالي بكل بلاء :
« لا يطفىء اللهب الموجج في دمي
موجُ الأسي ، وعواصف الأرزاء
فاهدم فؤادي ما استطعت فانه
سيكون مثل الصخرة الصماء

لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا

وضراعة الأطفال والضعفاء

ويعيش كالجبار يرئودائماً للفجر.. للفجر الجميل النائي

واملاً طريقي بالمخاوف والدجى وزوابع الأشواك والحصباء

وانشر عليه الرعب وانثر فوقه

رُجْم الردى وصواعق البأساء

سأظل أمشي رغم ذلك عازفاً

قيثارتي مترنماً بغنائتي

أمشي بروح حالم، متوهج في ظلمة الآلام والادواء

النور في قلبي وبين جوانخي فعلام أخشى السير في الظلماء؟

إني أنا الناي الذي لا تنتهي

انغامه ما دام في الاحياء

وأنا الخضم الرحب، ليس تزيده إلا حياةً سطوة الانواء

أما اذا خمدت حياتي وانقضى عمري وأخرست المنية نائي

وخبا لهيب الكون في قلبي الذي قد عاش مثل الشعلة الحمراء

فأنا السعيد بأنسي متحول عن عالم الآثام والبغضاء

لأذوب في فجر الجمال السرمدي وأرتوي من منهل الاضواء

واقول للجمع الذين تجشموا هدمي وودوا لو يخر بنائي

ورأوا على الاشواك ظلي هامداً
وغدوا يشبون اللبيب بكل ما
ومضوا يمدون الخوان ليأكلوا
اني اقول لهم بصوت حالم
« ان المعاول لا تهد مناكي
حتى ولو امسيت جسماً ميتاً
فارموا الى النار الحشائش والعبوا
وإذا تمردت العواصف وانتشى
ورأيتموني طائراً مترنماً
فارموا على ظلي الحجارة واختفوا
وهناك في أمن البيوت تبادلوا
وترنموا ما شتم بشائمي
اما انا فأجييكم من فوقكم
« من جاش بالوحي المقدس قلبه
فتوهموا اني قضيت ذمائي
وجدوا ... ليشووا فوقه اشلائي
لحمي ويرتشفوا عليه دمائي
وعلى شفاهي بسمة استهزاء :
والنار لا تأتي على اعضائي
ملقى لعصف الزعزع النكباء
يا معشر الاطفال تحت سمائي
بالهول قلب القبة الزرقاء
فوق العواصف في الفضاء النائي
خوف الرياح الهوج والانواء
غث الحديث وميت الآراء
وتجاهروا ما شتم بعدائي
والشمس والشفق الجميل ازائي :
لم يحتفل بحجارة الفناء » !!

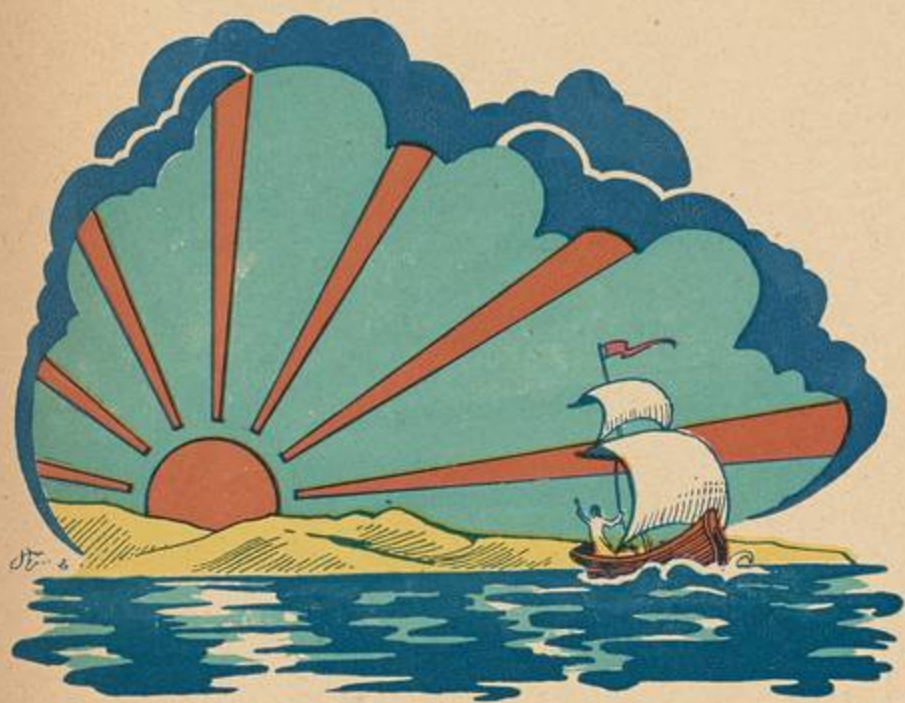


الصباح الجديد

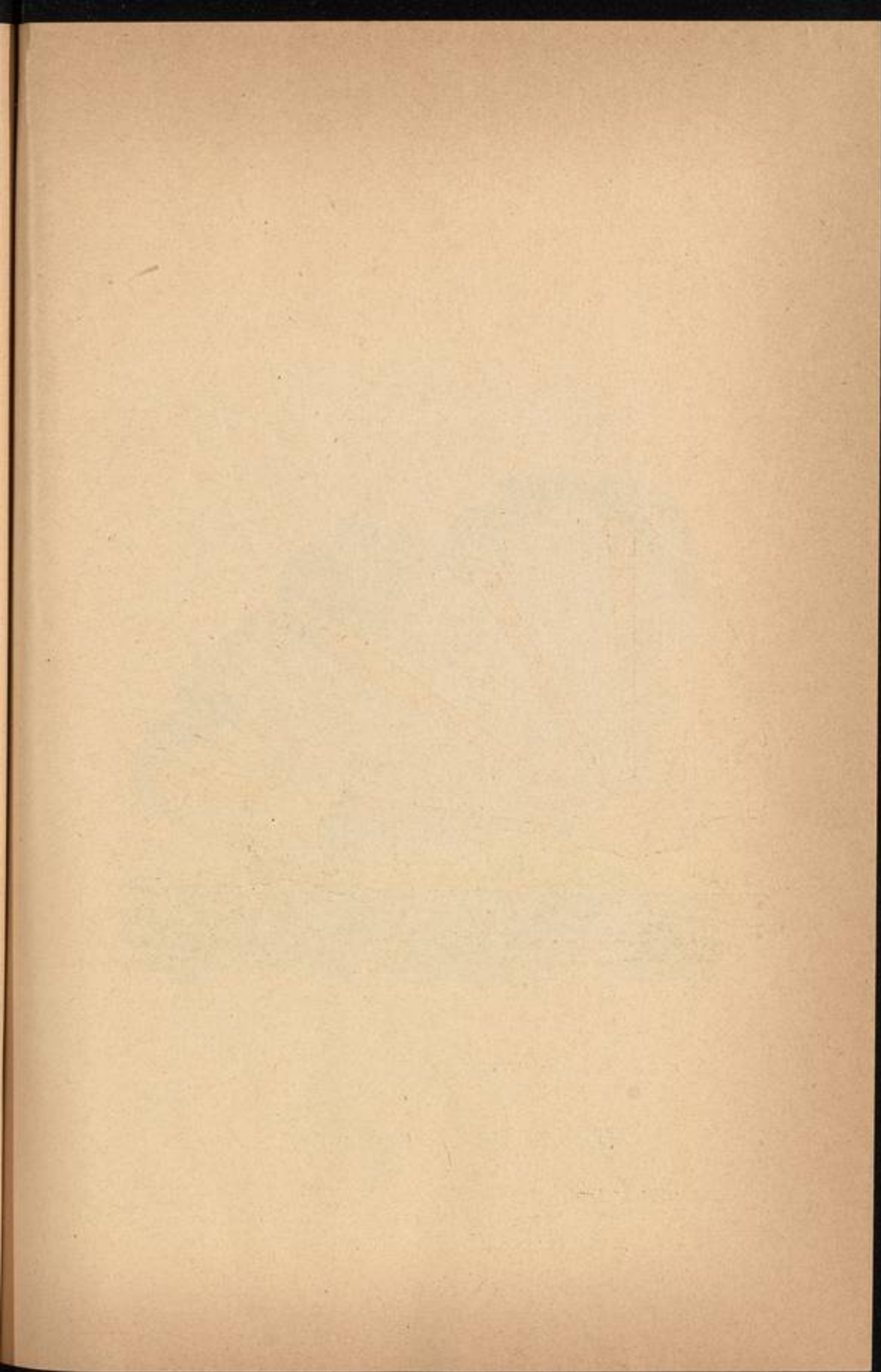
اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

في فجاج الهوى قد دفنت الالم
ونثرت الدموع لرياح العدم
واتخذت الحياة معزفاً للنغم
اتغنى عليه في رحاب الزمان

وأذبت الاسى في جمال الوجود
ودحوت الفؤاد واحه للنشيد
والضيا والظلال والشذي والورود
والجوى والشباب والمنى والحنان



ونشرت القلاع فالوداع.. الوداع
و الصباح الجديد



اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

في فؤادي الرقيب معبد للجمال
شيدته الحياة بالرؤى والخيال
فتلوت الصلاة في خشوع الظلال
وحرقت البخور وأضأت الشموع

ان سحر الحياة خالد لا يزول
فعلام الشكاة من ظلام يحول
ثم يأتي الصباح وتمر الفصول
سوف يأتي ربيع ان تقضى ربيع

اسكتي يا جراح واسكتي يا شجون
مات عهد النواح وزمان الجنون
وأطل الصباح من وراء القرون

من وراء الظلام وهدير المياه

قد دعاني الصباح وريبع الحياه
يا له من دعاء هزّ قلبي صده
لم يعد لي بقاء فوق هذي البقاع

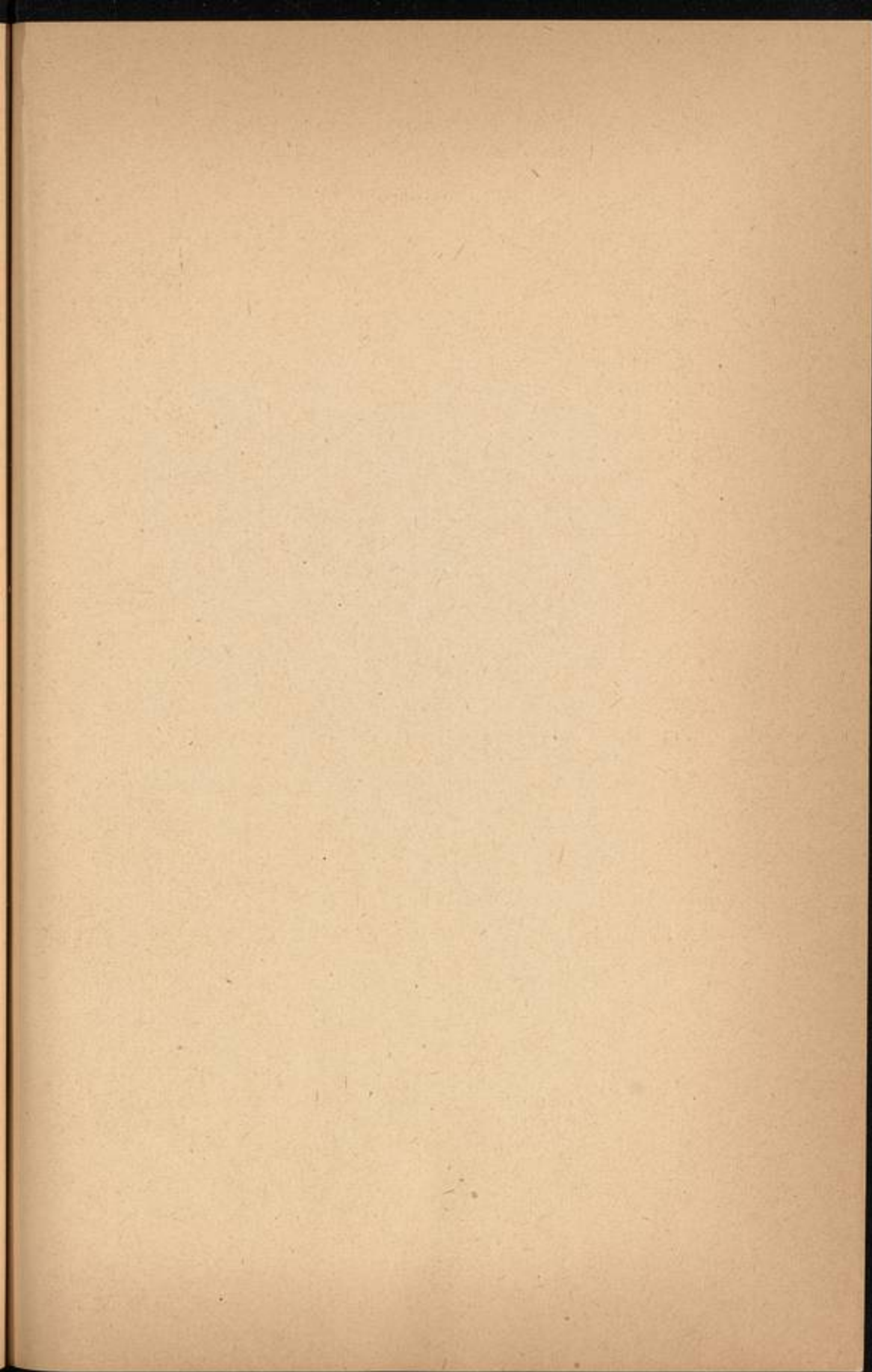
« الوداع الوداع يا جبال الهموم »
« يا ضباب الاسباب يا فجاج الجحيم »
« قد جرى زورقي في الخضم العظيم »
« ونشرت القلاع فالوداع الوداع !! »



نماذج

من

النشر



الشعرُ

ماذا يجب ان يفهم منه ؟ وما هو مقياسه الصحيح ؟

كثيراً ما تحدث الناس عن الشعر وكثيراً ما رتلوه .

فالشاعر والفنان ، والمؤرخ والفيلسوف ، والراهب في ديره ، والناسك في صومعته ، والشاب في مدرسته ، والغادة في خدرها ، والرعي بين الغابات والجبال ، والحصاد بين السنايل والاعمار ، والبحار يصارع الموج ويقاوم العاصفة في زورقه الصغير ، كل هؤلاء يتحدثون عن الشعر احاديث كثيرة متباينة ، ويصفونه بأوصاف غريبة ، ويتكلمون عنه بلغة يقرب بها كل بين ما في نفسه وبين حقيقة الشعر ، وكل هؤلاء يرتلون في اوقات الوحدة والانفراد ، ويتغنون به حينما يخلو كل واحد الى نفسه ويصغي الى احاديث قلبه الكثيرة ، ولكنك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن « الشعر » وعما يفهم من هذه الكلمة الصغيرة ، لتبليت السنة ، واختلجت شفاه ، ولرأيت بسمات حائرة ، واخرى ساخرة ، واخرى ساذجة طافحة بمسرات الحياة ...

الشعر ! وهل يسأل عن الشعر ؟

ان الشعر هو الحياة نفسها .. في حسنها ودمايتها ، في صمتها وضجتها ، وفي هدوئها وثورتها ، في نومها ويقظتها ، وفي كل صورة من صورها ولون من ألوانها .

الشعر ! وهل يسأل عن الشعر؟!

ان الشعر يا صاحبي ، هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار ،
وفي بسمه الوردية الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش ، وفي النعمة
المغردة يرسلها الطائر في الفضاء الفسيح ، وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين
الحقول ، وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار وفي مطلع الشمس وخفوق
النجوم ، وفي كل ما تراه وتسمعه ، وتكرهه وتحبه ، وتألفه وتخشاه . فهل بعد ذلك
تسألني عن الشعر ؟

هكذا يجيبك الشاعر وهكذا يتحدث اليك الفنان . ويقول لك المؤرخ : انما
الشعر يا هذا ما مثل عوائد الشعب وأخلاقه ، وعقائده وأوهامه ، وفضائله وورذائله .
واعطاك من كل ذلك صورة صادقة ناصعة للحق والتاريخ . ويجيبك قائلاً : هل
الشعر يا صاحبي الا ما اوقفك في هيكل الوجود ، وعلمك الحكمة واسمعك اغاني
الحياة وصلواتها . ويقول لك الراهب : هو الشعر يا بني كل ما تغنى بمجد الله في
السموات والأرض ، واقتلع الكفر والزيف من فؤاد الأنسان . ويقول لك الزاهد
الشعر يا ابن اخي ، هو ما حجب الى النفس القناعة والزهد وأبعدها عن ضجة العالم .
لتصغي الى الله متكلماً . ويقول لك الشاب : هو ما يتغنى به قلبي حينما يسكره رحيق
الحياة . وتقول لك العذراء : هو ما اسمعه من شفاه الشاب الجميل حينما يجالسنني
فأنسى العالم في جواره . ويقول لك الراعي : هو اغنيتي الجميلة في الصباح حينما
اسوق المواشي بين المزارع ، واطارد الطير فوق الجبال ، والحان شبابتي في المساء ،
حينما ارجع الى الحى وفي قلبي غبطة القناعة ، وفي عيني وميض السرور . ويجيبك

الحصاد قائلاً: هو تلك الاغاني البهيجة التي ترتلها جموع الشبان، واسراب الصبايا حينما يجتمعون بين الحقول لحصاد السنابل الشقراء وجمع الاغمار الناضجة. ويقول البحار: هو تلك الانشودة الساحرة التي اتلوها وانا بين أهوال البحر وزئير الامواج، قنسيني مخاوف اليم وتبعث في ساعدي قوة الجبار وفي قلبي عزم الشباب. هكذا يجيبك هؤلاء عن الشعر. وكل واحد منهم انما اعطاك صورة من نفسه ورسم لك احلام قلبه في هاته الكلمة الصغيرة الكبيرة.

أما أنا فلا اريد ان ابلبلك فأقول لك: ان الشعر هو كل ما قال هؤلاء. وان كان ذلك حقاً - ثم امضي صامتاً. لانني اعتقد انك ستظل مبلي النفس مضطرب المشاعر، تسائل نفسك من حين لآخر ما هو الشعر؟ بل انني سأخذ يمينك وامضي بك في طريق معبدة واضحة، لا ألتواء فيها ولا اشواك. وسأحدثك عن الشعر، حديثاً هادئاً لا عنف فيه ولا قوة، كحاديث الاصدقاء في ليالي الصيف الممطرة وسأحاول ان اجعله بسيطاً واضحاً سهلاً، يرسم لك صورة مجردة عن الشعر، ويعطيك مقياساً صحيحاً او قريباً من الصحة - على الاقل - لتفهمه وللحكم عليه. ولكنني ساوجز ما استطعت في تحدثي عن الشعر لانني وقد استوقفتك لتسمعني مكلماً عنه، لا اريد ان اخذ عليك وقتك.

الشعر يا صديقي «تصوير وتعبير» تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك: مغنية، ضاحكة، لاهية. او مقطبة، واجمة باكية. او وادعة حاملة، راضية، او مجددة، نائرة، ساخطة. او تصوير لآثار هذه الحياة التي تحس بها في اعماق قلبك، وتقلبات افكارك، وخلجات نفسك، ورفرفة احلامك وعواطفك.

وتعبير عن تلك الصور او هاته الآثار باسلوب فني جميل، ماؤه القوة والحياة، يقرأه الناس فيعلمون انه قطعة انسانية من لحم ودم وقلب وشعور لانهم يحسون انه قطعة من روح الشاعر ، وعبق من عواطفه ، او فلذة حية من فؤاد الحياة . هو هذا الاسلوب الذي يكون عنيفاً كالعاصفة حينما يمثل سحق الحياة او ثوران العواطف ، ويكون وادعاً كضوء القمر ، حينما يمثل طمأنينة الحياة وسكون النفس ، ويكون رقيقاً شجياً كأنات ناي بعيد ، حينما يمثل احلام الحياة ونجوى القلوب المتحابة ، ويكون كئيباً مظلماً كقلب الظلام ، حينما يمثل بؤس الحياة واحزان البشر .

فالتصوير الصادق الذي يريك تصورات الشاعر ارقى من تصورات البشر . والتعبير الفني الجميل الذي يكون قالباً انسانياً حياً لذلك المعنى الذي يشمله ذلك هو الذي ينبغي لك ان تبحث عنه ، كلما قرأت قصيداً او رتلت مقطوعاً ، او تصفحت ديواناً . فان وجدته فكن على يقين انك انما تقرأ شعر الحياة ، وانت اخطأته ، فاعلم انك تقرأ شعراً زائفاً لا قيمة له في سوق الخلود .

ولا يهملك بعد ان تجد «التصوير الصادق» و «التعبير الصحيح» أكان ذلك الشعر غنائياً يتغنى بخوالج النفس وعواطف الانسان ، ام كان قصصياً يقص عليك فصول الحياة كما هي او يرسم لك مثلها العليا كما توحيها اليه احلامه . ام كان تمثيلاً يمثل لك كثيراً من حقائق النفس وصور الحياة ، ومشاهد هذا الوجود . وانما الذي يهملك بعد ان استوثقت ان الذي بين يديك نتاج قريحة خصبة منتجة ،

وخيال حي صحيح ، هو ان تعرف هل انك تقرأ مثلاً أعلى من الشعر الانساني الذي يكاد يسمو الى درجة الألهام ، او انك تقرأ مثلاً دون ذلك !... ولكي تدرك هاته الحقيقة فانظر هل هو من ذلك النوع الذي يوسع افق الحياة في نفسك ، ويجعلها تحس بتيارات الوجود اكثر مما كانت تحس ، وتدرك من معانيه واصواته اكثر مما الفتان تدرك ، وينسيك وجودك الانساني لحظة ، لتستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حوالياً ويسبغ منه على نفسك . أقول انظر فان كان من هذا النوع فاعلم انك تقرأ شعراً الالهياً لا تجود بمثله الحياة كثيراً ، والا فاعلم انك تقرأ مثلاً دون ذلك .

ذلك هو الشعر في نظري يا صديقي ، وهذا هو المقياس الذي اعرف به الشعر من غيره ، وأدرك به المثل الاعلى مما عداه . ولكنني قبل ان افارقك اقول لك : ان هذا المقياس من شأنه ان يقضي عليك - ان اتبعه - ان تلقي بكثير من اصنام الشعر ودواوين الشعراء الى النار او الى سلة المهملات . فان كنت رقيق القلب جم العواطف فأنتي انصح لك في اخلاص ان لا تأخذ هذا المقياس يا صاحبي ، وان تقنع بمقياسك ان كان لك مقياس تقدر به قيم الشعر في عالم الأدب . وان كنت من الاخلاص للأدب والفن بحيث لا يحزنك مشهد الاصنام البشرية تحترق في جحيم الحياة ، ولا يحرك نفسك او يهز مشاعرك رؤية الاسفار الكثيرة تندثر في ظلام الاهمال وتنبعث منها رائحة الموت . فلتأخذ هذا المقياس ولتكن مخلصاً في استعماله ، وانا الكفيل بأنك تكون قد حزت مقياساً دقيقاً تعرف به كيف تفرق بين شعر الحياة الخالد ، وبين شعر السخافات والتقاليد .

يفظة الاحساس

واثر في الفرد والجماعة

تسمع الى هذا الشاعر فاذا أنت امام روح الاهي نبيل يسمو بنفسك الى افاق
الحق والفن والجمال ويجعل منك كتلة من شعور قدسي مشبوب . وتسمع الى آخر
فترى انك تسمع الى حديث ساذج بسيط لا يميزه عن احاديث الناس العادية إلا
رنة النغم وتواتر القوافي وجمال التعبير وتسمع الى غيره فتخال انك تجلد بالسياط
او تساق الى الموت على وجهك .

وتصغي لهذا المنشد او الموسيقىار فيستفز نفسك ويشير وجدانك ويهز عواطف
قلبك ويدكي خيالك الى اقصى مداه حتى تكاد تستحيل شعلة متوهجة من خيال
وذكريات واحلام . وتصغي لسواه فلا تشعر وانت تصغي اليه الا بحلاوة في
الصوت وجمال في المقاطع ورقة في النشيد وشيء من المتعة يخفف عن النفس
اعباء العيش وشقاءه ، وتصغي لغير هذين فيكاد الثاؤب ينيمك والضحجر يقضي
عليك . وترى صورة لهذا الرسام او تمثالا لذلك النحات فتشعر بلذة روحية سامية
تعرج بك الى سماء الالهام ومعارض الوحي البعيدة وترى لغير هذين فلا تحس في
نفسك بغير الأعجاب البسيط الفاتر . وترى الآخرين فتظل نفسك هادئة ساكنة

كانك ما رأيت او تشمئز وتنفرو وتفر بذوقك فراراً .

وهذا شعب من شعوب الارض ، يجد ويكدح وينتج وينصب اينع الثمار واحلاها ، فاذا له حياته الأدبية الناضجة وحياته العلمية الراقية وحياته العادية المهذبة ومشاعره الطامحة الى ما هو اجل من ذلك واسمى ، الى المثل الاعلى المحجب في ظلام المجهول . وهذا شعب آخر ، منصرف الى التبطل ، والفراغ ، مخلد الى الكسل والخمول لا يعمل ، ولا ينتج ولا يوجد على الانسانية بخير ، ليس له فن ولا علم ، ولا ادب ولا طموح ، بل ولا حياة ... ايضاً . الا كما تحيا ماشية الحقل وأبدة الجبل ...

فما هو السر يا ترى في هذا التفاوت الواضح بين هؤلاء ؟

ستقول : الحرية . فكلما كان الفنان حراً في فنه ، كلما اكتشف آفاقاً جديدة

من السحر والجمال . وبذلك يسمو على غيره ممن لا يعطي لفنه حرية الحياة .

وهذا حسن . لولا انه انصح صرفه الى الفنان فانه لا يصح صرفه الى الشعوب

لان كثيراً ما تجد الشعب حياً منتجاً تزخر في عروقه دماء الحياة وعزمها ، ومع ذلك

لا يملك من الحرية ما يتكافأ مع حيويته وتناجه . وهو فوق ذلك تعليل للشيء بغير

علته . وعندى ان السبب الحقيقي لهذا التفاوت هو : «يقظة الاحساس» لا الحرية .

لان حرية الفنان في فنه ، انما هي اثر من آثار هاته اليقظة الروحية وثمره من ثمارها ،

فاذا تيقظ الاحساس في قلب الشاعر والفنان - بتعبير اشمل - كان له - بالرغم عنه -

استقلاله الذاتي الذي يشعره بانه قوة حية منتجة ، من المستحيل ان تندمج في

سواها ، وان لا تشق لنفسها سبيلاً بكرراً للمجد والحياة . وكانت له كرامة ترفع

عن ان تذوب في غيرها او تنحط الى درك التقليد . وبذلك تصبح نفسه شعلة حية
نامية تتوهج في قلب الحياة . وطائراً سماوياً يتغنى بافكار واحلام البشر . واذا
تيقظ الاحساس في روح الشعب تحركت في صدره - رغم كل شيء - تلك
الاشواق الطامحة والرغبات الجارحة التي كانت مكبلة نائحة في ليل الدهور . وإذ
ذاك يشعر بنفسه - واذا قلنا « يشعر بنفسه » فقد قلنا كل شيء - ويعلم انه عضو
هاته الجامعة البشرية. عليه واجب السعي والعمل في سبيل كمال الانسانية المنشود،
في سبيل مثل الحياة العليا، في سبيل الحق والقوة والجمال .

واذا اردنا ان نستشهد التاريخ والواقع على ما نقول فهذا « المتنبى » الشاعر
العربي وهذا « بيتهوفن » الموسيقار الالماني . وهذا « واطس » الرسام الرمزي
الانكليزي . وهذا « ميكلائنجلو » الممثل الايطالي ، فكل من هؤلاء العظماء الاربعة
قد كان له معاصروه ومعارضوه والضاربون معه في سبيل واحد . ولكنهم انفردوا
دون معاصريهم بالعبقريّة الخارقة والمجد والخلود . فما هو هذا السبب الاعظم
الذي جعل الانسانية تمجد هؤلاء تمجيداً لا تمنح معشاره لمن عاصرهم مع
الفنانين والشعراء ؟

انه يقظة في ارواح هؤلاء عدما معاصروهم . يقظة روحية عميقة سامية هي
التي كانت تملؤهم شعوراً بانفسهم وبالحياة . ومن شعر بنفسه حق الشعور احترامها
وسما بها عن مواطن الضعة والحقارة . ومن شعر بالحياة حق الشعور لم يستطع
ان يكون بوقاً يردد صدى غيره ولا بركة آسنة تعكس صفحتها ظلاله ... بل كان
بحراً رحيباً داوياً يدمدم بما في اعماقه من قوة وعزم واهوال يقظة روحية عميقة .

وتلك هي التي كانت تعلم « المتنبى » من سنن الحياة وغرائزها وقواعد الاجتماع ونواميسه ما لا يعلمه سواه . وتنطقه بذلك الاسلوب الحي المتماسك الاجزاء الممتلىء قوة وجمالاً . وهي التي كانت تخلق حول روح « بيتهوفن » جواً شعرياً من الانغام السماوية الخالدة ، وتفيض على موسيقاه ما في هاته الحياة العاصفة وقلب الانسان من افراح راقصة في ضياء القمر ، وآلام متفجعة في ديجور الاسى ، واحلام تعني للفجر اناشيد الضياء . واشواق تلتهب بنار الوجد والحنين . وهي التي كانت تجسد لـ « واطسن » معاني الحياة والحب والموت ، وتريه من الاحلام والعواطف والافكار صوراً سحرية رائعة لم تخطر على قلب بشر . وهي التي كانت تنبه « ميكلانجو » الى ما في تماثيل عصره من مرض وحوار وجمال شاحب مهزول ، كاد ينقلب دمامة شوهاء في نظر الشعور الدافق والدوق القويم . وتهيب به ان ينهض بهذا الفن المحتضر وينفخ فيه روحاً جديدة ليمثل جمال القوة المهيبة . وهذه الامة العربية . كانت بالامس رائد العالم ورسول المدينة والنور حين كانت روحها مستيقظة ناهضة ، واحساسها مضطرباً مشبوباً . ثم امست في آخر القافلة الانسانية نائمة تلوك احلام الماضي لما تبدل احساسها وفقدت شعورها بنفسها وبالحياة . ثم ها هي اليوم تحاول النهوض واليقظة ثانية لان روحها قد اخذت تستيقظ من جديد .

ثم ان هناك ظاهرة قد تكون لأول وهلة غريبة ومثارا للحيرة والتساؤل وهي ان الآداب والفنون ، كثيراً ما تزدهر في عصور الثورات والانقلابات وبين الجماجم المشورة والدماء الجارية . بل وربما كانت احياناً ابهى منظراً وأعقب شذى

وأنطق بمعاني الحياة من آداب الراحة والأمن والسلام وفنونها . اما انا فلا أراها غريبة ولا مدهشة ، بل اراها نتيجة منطقية ومعقولة لنفسية الامة الجائشة ، لأن الثورات لا تحدث الا والنفوس اكثر احساساً بالحياة وملل من الحاضر ، وشوق الى المستقبل . وطموح الى المجهول ... وتلك هي يقظة الاحساس بمعناها الشامل العميق . وان شعبا يكون مستيقظ المشاعر متسع جوانب الحياة ، لجدير بان يستخرج خير ما في الطبيعة من فن وحق . وان فناً يكون مصدره ذلك العطش الروحي الذي يلهب النفوس ، وتلك العواطف الثائرة التي تعصف في قلب الشعب ، وبعبارة اخرى ، ان فناً يكون مصدره تلك اليقظة الروحية العميقة التي سمينها « يقظة الاحساس » لهو الفن الحي في صميمه ، الفن الذي لا ينصرف الى القشور ولا يقنع بما دون اللباب .

ومن هنا تفهم معي ان يقظة الاحساس هي روح الحياة المنتجة الولود التي تصقل العبقرية وتؤجج نيران النبوغ .



صَفْهَاتٌ وَآمِيَّةٌ

... تلك حياة بعيدة ... تجلت كالفجر ، وتوارت كاللحم ، واضمحلت في
ظلام القبور .

تلك حياة جميلة ... قد تهادت غيمة وردية في سماء الوجود ، وتدفقت نهراً
مترنماً بأحلام البحار ، ثم سارت جدولاً صامتاً في اودية الموت ...
تلك حياة شعرية ساحرة ... قد حاكها الامس من أصل الفردوس واستحاره ،
ووشتها انامل الدهر بأزهار الربيع ...

تلك حياة قصية نائية ... قد تألقت كالنجوم ، وتبخرت كالغيوم ، واضمحلت
كأنفاس الزهور ...

تلك حياة فتية حاملة ... ما استحمت في لجة الليالي والايام ، ونشرت غدائرها
الذهبية فوق المياه ... حتى تخطفها المنايا وسارت بها الى مأواها البعيد ...
وهناك ، في ظلمات الابد الغامض الرهيب ، تتألم تلك الحياة الشقية ، وتبكي
وحدها بين الصخور ...

... كنا نسير نحو الغاب ، وكانت غمامم الحقول تحدثنا عن الحب

والحياة ، وكانت تقنع السماء سحابة رقيقة ساجية ، كأنها قناع حورية من بنات
الاحلام ... او رداء ملك من ملائكة الفردوس ... وكان الغاب يبدو في ضياء
القمر كرؤيا نبي او خيال شاعر ... وكان الحب يتهادى امامنا ، ثملاً بين المروج
الناعسة في سكون الليل ، وعلى منكبيه درع قصير كضباب الصباح ، جميل كغيوم
الربيع ... ومن حوله بنات الربيع يتناغين بصوت اعذب من اغاني السواقي
بين الحقول ...

ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني انشودة القمر ... وسمعنا قيثارة
الحب تترنم في جواره ... وسمعنا صوتك العذب الجميل يتغنى بوحى الجمال ،
يا ابنة الليل ، ويا ربة الاحلام .

ولما جلسنا في ظلال الزيتون ، وبين اشجار اللوز المزهرة ، كان الطائر قد
سكت ، وكانت قيثارة الحب تتأوه في يديك ، يا ابنة الليل ويا ربة الاحلام ، وكانت
اناشيد الغرام تنزل علينا من مكان بعيد ...
ولبنا نصغي لانشودة الحب ، حتى توسط البدر قبة السماء ؛ واختلجت
كواكب الليل ، واذ ذاك شعرت بالحب يستجيش في قلبي ، وبالحياة تندفق
من شفتي .

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما كانت نفسي بخوراً يتضوع في معبد
الحب ، ورحيقاً يهرق تحت اقدام الجمال ، وانشودة الالهية ، تتغنى في هيكل
هذا الوجود ...

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما
تمايل غلائل الحور في ضياء القمر، واصطفقت في صدري احلام الشباب الاولى،
كما تصطفق امواج البحيرة الموردة بأشعة الشفق الجميل ...

تلك كانت حياتي بالامس ، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق
الحياة، ويتوهج بنار الخلود، ويزخر بشتى العواطف الاحلام... وحينما كانت
نفسي ترقع في محاريب الغاب الجميل، مرتلة صلاة الحب واغاني الفصول...
تلك كانت حياتي بالامس ، حينما طفح بقلبي خمر الحياة، وترنمت في
نفسي اغاني الوجود، وراقصت احلامي عرائس الغابات ...

تلك كانت حياتي بالأمس ، وما شيدته الأمس في ضباب الفجر المرصع
بالنجوم... قد هدمته الاهوال في احشاء الكهوف العابسة، وافنت بقاياها غيلان
الظلام ...

تلك كانت حياتي بالامس ، اما اليوم ، فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك
الزهرة السماوية الطاهرة، التي كانت تجب لي البقاء في هذا العالم ، وبقيت وحدي
بين الصخور ، أشبب بالموت وأتغزل بأهواء القبور ...



اغنية الألم

ما امرك ايها الألم وما اعذبك !

ايتها المرارة ، التي اترعت اودية الحياة بأمواج الدموع ، وملأت آفاق الوجود
بآيات النفوس الدامية !

ايتها اليد الرهيبة الهائلة ، التي حطمت على شفاه القلوب كؤوس الاحلام ،
واراقت رحيق النفوس بكهف الظلام .

ايها الهول الذي ترهبنا ملامحه وتخيفنا ذكرياته .

ايها الألم الرائع الذي نجبه ونخشاه ..

انك انت الشعاع الازلي الجميل ، الذي وشح ظلمة نفسي بالشفق ، ورصعها
بالنجوم ، وتوجها باضواء الصباح . !

وانت ، انت الصوت الالهي النبيل ، الذي اوحى الينا اناشيد السماء ، وعلمنا
كيف نغني للبشرية اغاني الجمال ...

وانت ، انت المنبع السحري الغريب ، الذي ينمق سبل الانسانية المضرجة
بالدماء ، بأوراد الحياة وازهارها .

ايها الألم الالهي النبيل ، الذي نجبه ونخشاه . ترى اية شفة ترشفت رضاب

الحياة، ولم يظهرها لهيب الحياة؟! واية زهرة تلفت قبل الربيع ولم يروع الشتاء
احلامها؟! واية نفس بشرية عانق الفجر روحها بجناحيه، ولم تراقصها احوال
الظلام، ولا عذبتها ابالسة الجحيم!؟

لنبحث ايتها الحياة، على قدمي ذلك الجبار الجميل، المحقق بما وراء
هذا الوجود.

ولنسجد ايتها الليالي والايام، الى تلك الاجنحة النارية المشبوبة باوجاع
القلوب، والتي تسمو بالنفس البشرية الى اقصى آفاق الخلود، وتنحدر بها الى
ظلمات الحياة. أيان تضطرب عواطف الوجود الغامضة، وترتعش شكوك البشر،
وتتمايل احزان الدهور. أيان تلقى (المعري) لزومياته، وتغني (الخيام) بربايعاته،
ويرتل الخالدون انجيل الحياة!!

ولتغن يا قلبي بأنشودة الاحزان المرة الى الابد!

لتركع ايها الوجود بخشوع امام تلك القوة الالهية، التي تصوغ من دماء
النفوس واناتها اقدس ما في هذا العالم، وابدع ما في مشاعر الايام، وتنشئ من
ظلمات القلوب صباحاً ساحراً سرمدياً، لا تكدره الرياح!

ولنقدس ايتها الليالي والأيام، تلك الاشعة الوردية الصافية، تنبت حول
جداول الاحلام الدامية، هاتيك الزهور النارية المقدسة، التي نستشئ عيبرها
من لوعة (المجنون) واغانيه. ولتترنم يا قلبي بأغنية الآلام المرة حتى الابد!

لنصل ايتها الكائنات بخشوع امام ذلك الضباب السحري، الذي يستر بنقابه
عراس الشعر وعذارى الاحلام!

ولتغز ايها الليالي والايام ، بمجد تلك الشعلة الخالدة ، التي انارت للبشرية
سبيل الحياة الغامضة ، وهدتها إلى شجرة المعرفة ، التي لا تنبت إلا على ضفة نهر
الدموع والاحزان . ولترتل يا قلبي في سكون ، اغاني الاوجاع المرة حتى الابد . !
ولتمجد ياها الغاب المتحجب ، وياها الوادي الكئيب . وياها الكهف
الاخرس ، وياها الحيرة الواجمة ، ويايتها الحياة المغمورة بالدماء ، ويايتها
الانسانية التائهة ، المتوجة بالاشواك ، الريانة بالدموع ، السائرة على بساط لبيب
الاجاع ، لنقدس لكنا ذلك الألم ، الذي يجعل من الشاعر قيثارة غريبة غامضة ،
منظرحة في ملتقى رياح الوجود ، صداحة باغاني الحب والجمال . !!
لنرتل يا قلبي الكئيب البائس ، انشودة الالام المرة بالدموع ، ولتردها على
مسمع الظلام حتى الابد . !!!



فهرس

الدراسة

البيئة الاجتماعية	٥٣	الاهداء	٣
الادب المهجري	٧٠	مقدمة	٥
تصوير وتعبير	٧٨	مقدمة الطبعة الثانية	١٥
زواج وحب	٨٩	كتب حية	١٨
مؤلفات الشابي	٩٧	رسالة خاصة من ميخائيل نعيمة	٣٥
خاتمة	١٠٧	الحياة الثقافية	٣٧
		حياة الشاعر	٤٥

المختارات

« ما قبل المشعرين »

مأتم القلب	١٣٤	شعري	١١٧
الأمل والقنوط	١٣٦	تونس الجميلة	١١٩
شكوى اليتيم	١٣٧	زئير العاصفة	١٢٠
ايها الليل	١٣٩	الحرب	١٢٢
الملل الاليم	١٤٣	لعلعة الحق	١٢٣
ايها الحب	١٤٤	في الظلام	١٢٤
حيرة	١٤٥	الزنبقة الذابلة	١٢٥
جدول الحب	١٤٦	الدموع	١٢٧
انشودة الرعد	١٥١	اغنية الاحزان	١٢٩
يا شعر	١٥٣	نظرة في الحياة	١٣٢

« ما بعد العشرين »

في ظل وادي الموت	٢٠٩	مناجاة	١٦١
النبي المجهول	٢١١	الايان بالحياة	١٦٤
الرواية الغربية	٢١٥	الجمال المنشود	١٦٥
الاشواق التائمه	٢١٦	يا ابن امي	١٦٧
الناس	٢١٨	الى طغاة العالم	١٦٩
امل الشاعر	٢١٩	إرادة الحياة	١٧٠
ايتها الحاملة بين العواصف	٢٢٠	صوات في هيكل الحب	١٧٤
في ظلال الغاب	٢٢١	الساحرة	١٧٨
فكرة الفنان	٢٢٤	أخاني السكري	١٨١
من اغاني الرعاة	٢٢٦	تحت الغصون	١٨٤
نشيد الجبار	٢٢٩	قلب الشاعر	١٨٨
الصباح الجديد	٢٣٢	الأبد الصغير	١٩٠
« نماذج من النثر »		قال قلبي للاله	١٩٢
الشعر ...	٢٣٧	زوبعة في الظلام	١٩٣
يقظة الاحساس	٢٤٢	قلب الام	١٩٤
صفحات دامية	٢٤٧	الجنة الضائعة	١٩٥
اغنية الالم	٢٥٠	انا ابكيك الحب	٢٠٥
فهرس	٢٥٣	اغاني التائه	٢٠٧

للمؤلف



كتب مطبوعة

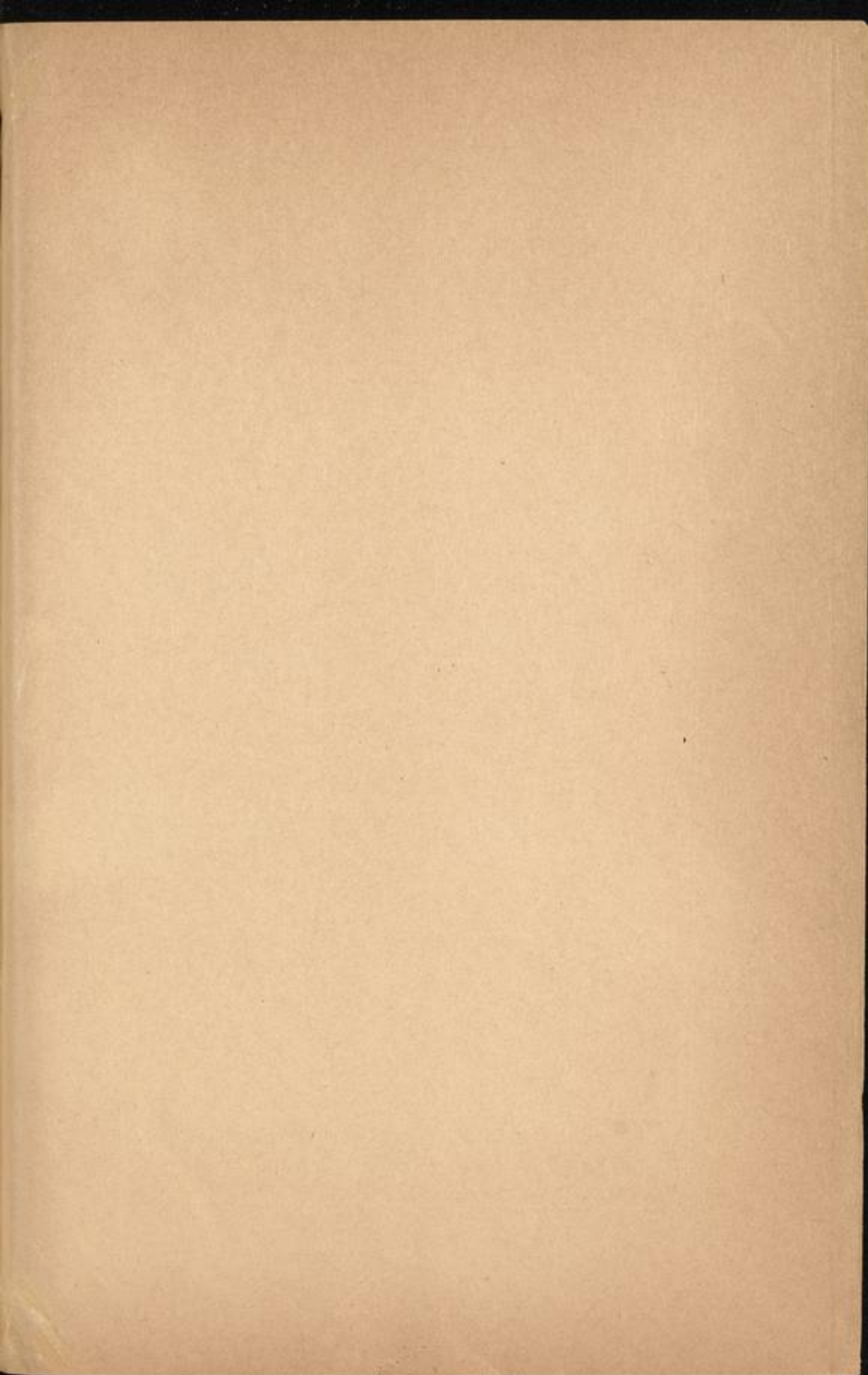
- ١ - مايس شهر الدماء والدموع في المغرب العربي « نقد »
مطبعة بغداد - بغداد ١٩٥١
- ٢ - الشابي - حياته وشعره الطبعة الاولى ١٩٥٢ نشر
المكتبة العلمية ببيروت « نقد »
- ٣ - كفاح وحب نشر المكتبة العلمية ببيروت
- ٤ - حصاد القلم نشر مكتبة الفرجاني بطرابلس الغرب
٩٥٤ « نقد »

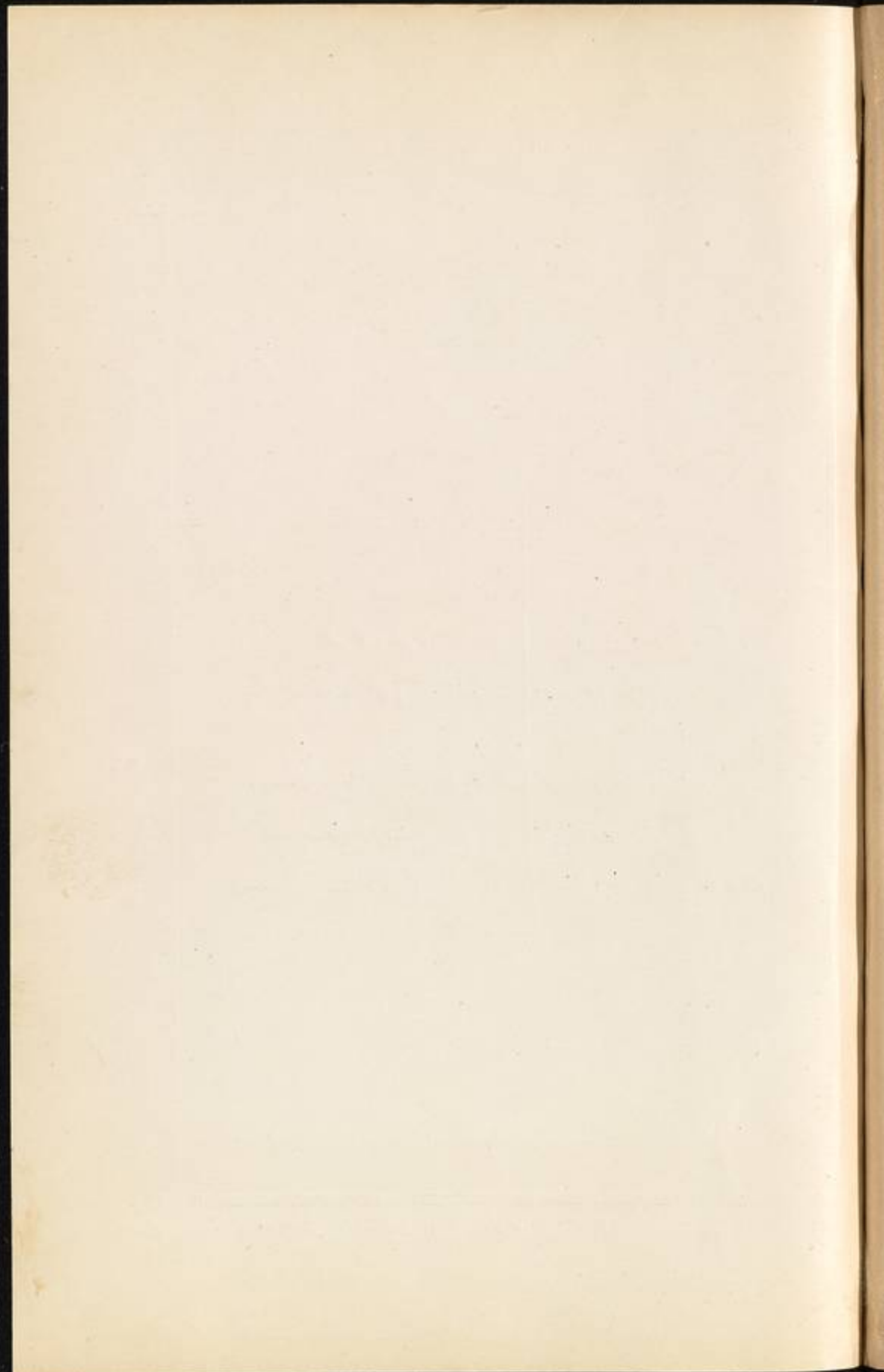
كتب للطبع

- ١ - شاعرات عراقيات
- ٢ - العرب وابن خلدون
- ٣ - تونس والشعراء
- ٤ - شعراء الحضراء
- ٥ - الشابي في حياته وبعد موته

تحت الطبع

الوطنية في شعر الشابي







من منشورات

المكتبة العامة ومطبعتها

شارع الأمير بشير - بيروت



الشابي - حياته وشعره الاستاذ ابو القاسم محمد كرو

شاعران معاصران (ابو القاسم الشابي و ابراهيم طوقان)

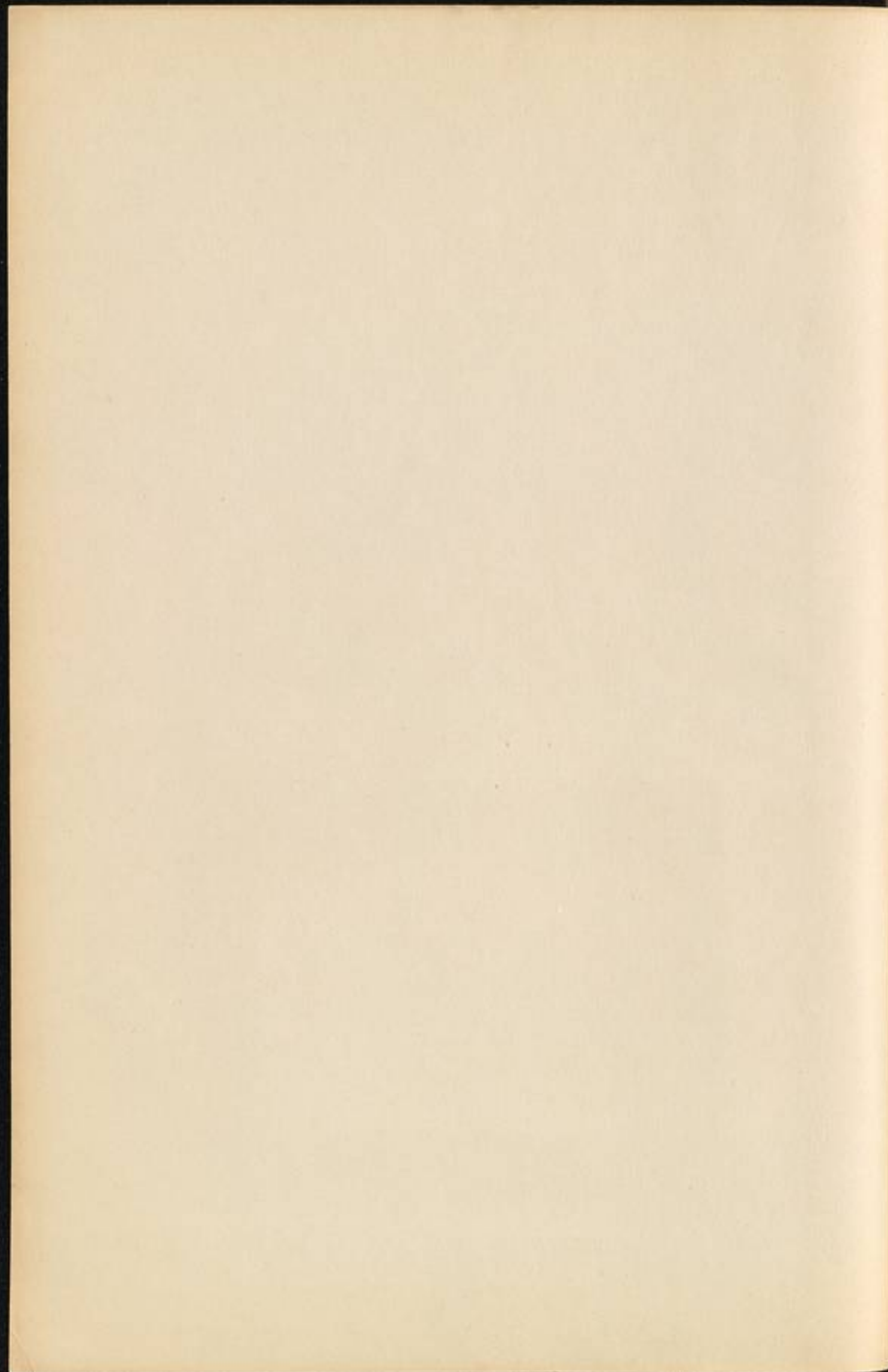
الدكتور عمر فروخ

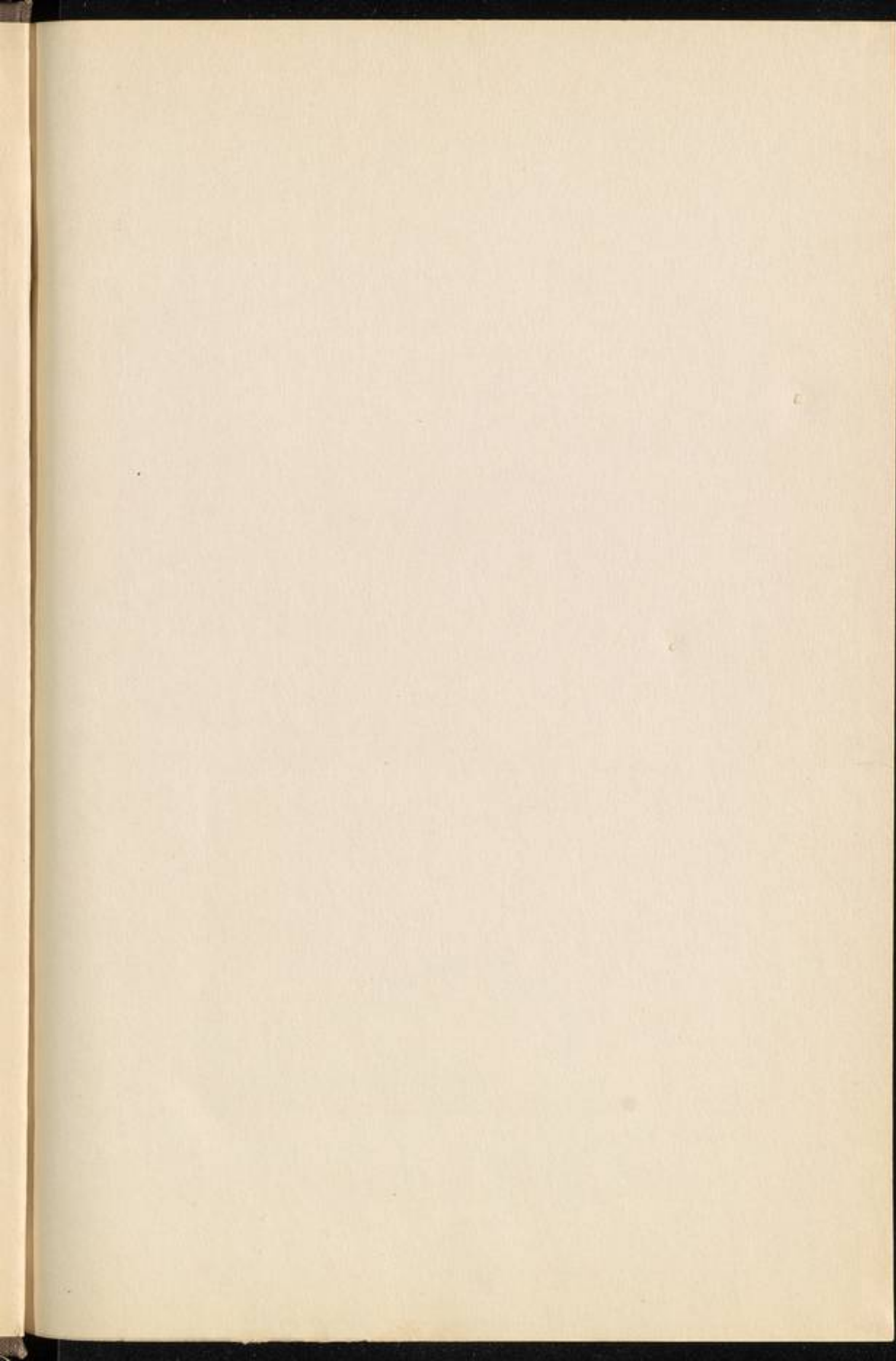
رباعيات الحيام (رباعيات فتزجير الد) الدكتور احمد زكي ابو شادي

كيف ينهض العرب الاستاذ عمر فاخوري

سلسلة كتب للأطفال الاستاذ وشاد المغربي دارغوث

الثنى ٣٥٠ قوشاً لبنانياً أو ما يعادلها مطبعة دار الكتب - بيروت - بنى العازارية





893.7 Sh11
DK

BOUND
JUL 19 1955

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58879110

893.7Sh11 DK

Shabbi : hayatuhu, s